

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفاظ الحجاء الاستغناء
في نهج البلاغة

دراسة في الحقول الدلالية



ISBN 978-9933-582-25-8



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

٢٨٧٣ لسنة ٢٠١٧

. IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

مصدر الفهرسة:

رقم تصنيف LC: 2017 .A4 K5 .BP38.09

المؤلف الشخصي: الكنانى، مخلص عبد الزهرة.

العنوان: الفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة: دراسة في الحقول الدلالية/

بيانات المسؤولية: تأليف مخلص عبد الزهرة الكنانى، تقديم السيد نبيل قدوري الحسنى.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - مؤسسة علوم نهج البلاغة.

١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م.

الوصف المادي: ٢٨٨ صفحة.

سلسلة النشر: سلسلة الرسائل الجامعية - العراق (٢٤): مؤسسة علوم نهج البلاغة.

تبصرة عامة: أصل الكتاب رسالة ماجستير

تبصرة ببليوغرافية: الكتاب يتضمن هوامش - لائحة المصادر (الصفحات ٢٧٧ - ٢٨٧)

تبصرة محتويات:

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ - ٤٠٦ هجرياً - نهج البلاغة .

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - أحاديث.

مصطلح موضوعي: اللغة العربية - ألفاظ.

مصطلح موضوعي: البلاغة العربية - لغة الجسد .

مؤلف إضافي: الحسنى، نبيل قدوري، ١٩٦٥-، مقدم.

عنوان إضافي: نهج البلاغة - شرح.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الفاظ الاحراء الانساب في نهج البلاغة

دراسة في الحقول الدلالية

تأليف

م.م. محمّد عبد الزهراء الكفائي

اصدار
من سلسلة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م



العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع: www.inahj.org

Email: Inahj.org@gmail.com

تنويه:

إن الأفكار والآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة
عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ
رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾

صدق الله العلي العظيم

(التين: ٤ - ٦)

الإهداء

إلى صاحب النهج القويم، والصراف المستقيم،
والحق المبين سيدي أمير المؤمنين عليه السلام
ثباتاً وولاءً

إلى مَنْ تحمّلاً من أجلي
الكثير من العناء وعلّمني الحبّ و الوفاء
أبي وأمي
إلى فلذة كبدي يوسف وأمه
حبّاً

مقدمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدّم من عموم نعم أباها
وسبوغ آلاء أسداها والصلاة والسلام على خير النعم وأفضلها محمد وآله الأطهار
الأخيار.

أما بعد:

إنّ مما ترشد إليه هذه الدراسة العلمية الجامعية التي أعدت لنيل شهادة الماجستير،
هي إظهار الملازمة المعرفية بين القرآن الكريم والإمام علي عليه السلام فكم من علم
وعلم قد تواشجت جذوره ونمت أغصانه في القرآن وحديث الإمام علي عليه
السلام، ومن بينها هذا العلم موضع الدراسة وموضوع البحث فهو من جهة خاص
باللغة ومكونها المعرفي، ومن جهة أخرى بالعلوم النفسية والسلوكية كلغة الجسد
وإيجاءاته، وبالعلوم الحكمية ودلالاتها في هذه الأجزاء والألفاظ الخاصة بجسم
الإنسان من جهة ثالثة، وغير ذلك من الحقول المعرفية التي أحفت بهذا الكائن الذي
اختاره الله تعالى على الملائكة والجن فجعله خليفة في أرضه، فبدى لغزاً محيراً منذ أن
عرفت البشرية معنى المعرفة وكيفية تحصيلها وفهم مكونات العلوم وتفسيرها.

وكفى بقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام كاشفاً عن مكنون الإنسان

١٢ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
الذي كَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى وَفَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ فَتَوَاشَجَ مَعَ الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ كَمَا فِي قَوْلِهِ
عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١).

فَلَا زَمَهُ قَوْلُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْبَيَانِ وَالتَّفْضِيلِ وَسِرَّهُ قَائِلًا.

وَتَزَعُمُ أَنَّكَ جَرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انطوى العالمُ الأكبرُ
وَأَنْتَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ الَّذِي بِأَحْرَفِهِ يَظْهَرُ الْمُضْمَرُ^(٢)

وَمِنْ ثَمَّ كَيْفَ لَا يَكُونُ هَذَا التَّكْرِيمُ وَالتَّفْضِيلُ خَالٍ مِنَ الْبَيَانِ فِي دَلَالَاتِ الْفَافِظِ
أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي الْقُرْآنِ أَوْ السُّنَّةِ أَوْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، فَجَزَى اللهُ الْبَاحِثَ فِي كِتَابِهِ هَذَا
فَقَدْ بَدَلَ فِيهِ جِهْدَهُ وَعَلَى اللهِ أَجْرُهُ.

السيد نبيل قدوري الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) الوافي للفيض الكاشاني، جواهر المطالب للباعوني الدمشقي، ج ٢، ص ١٣٦.

المقدمة

المقدمة

الحمدُ لله كما افتتحَ كتابهُ الكريم وفرقائهُ العظيم، الناشر في الخلقِ فضله، الباسِط بالجود يده، الذي أكرمنا بأفصح البيان، فبالحمدِ لله والثناء عليه نفتتحُ كُلَّ الأعمال، ونبتدئُ كُلَّ مقالٍ، وصَلَّى اللهُ على أطيب خلقه فرعاً وأصلاً، محمَّدَ الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد...

فإنَّ خلق الإنسان وأحواله وأعضائه من الموضوعات التي عني بها العرب القدامى؛ فألّفوا فيها كتباً كاملةً، ومنهم الأصمعيّ (ت ٢١٦هـ)، وثابت بن أبي ثابت من علماء القرن الثالث الهجري، وأبي إسحاق إبراهيم الزجاج (ت ٣١١هـ)، ومنهم من أفرد باباً من كتابه لهذا الموضوع كأبي منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ)، وابن سيده (ت ٤٥٧هـ) وغيرهم، لكنّهم لم يدرسوا الألفاظ في سياق كلاميٍّ معين، بل استشهدوا بما كان يناسب المعنى المراد من الموروث اللغوي، وعلى الرّغم من وفرة الدراسات التي تناولت خلق الإنسان بعد ذلك، لكنّي لم أجد من خصّها بدراسة بالاعتماد على نصّ متين سوى القرآن الكريم، وبحسنا هذا سيدرس ذلك في كتاب نهج البلاغة، ذلك الكتاب الخالد بعد القرآن الكريم، وما جاء في السّنة النبوية الشريفة، فهو يتلوها في المنزلة سواء أكان في عمق محتواه ومضامينه، أم في روعة نهجه وأدبه وأسلوبه، لما فيه من النّفحة القرآنية والموروث المحمدي،

١٦ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

وهذا ما يجعل البحث أرصنَ وأصونَ؛ فكلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جدير بالاستشهاد، وقد آثرت أن يكونَ بحثي في نهج البلاغة، فهذا ما كنتُ أتمنى أن أكتب فيه شيئاً—ولو كان يسيراً—حينما كنتُ أترددُ إلى مكتبة الروضة الحيدرية في السنة التحضيرية؛ ذلك أن هذا الكتاب يُستعان به على فهم القرآن، وعلى فهم أساليب الكلام، وكان لاقتراح الدكتور الفاضل سيروان الجنابي من جامعة الكوفة بالبحث في دلالة حركات جسم الإنسان في نهج البلاغة صدىً رحباً في نفسي من ناحيتي الموضوع والميدان، وذلك لأن البحث في الدلالة يستوعب موضوعات اللغة جميعاً ويتصل بها، بل هو محور اللغة، وقد أضاف أستاذي المشرف بصماته على الموضوع، فاقترح توسيع مجال البحث، ليكون العنوان (ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة دراسة في الحقول الدلالية)، فكان نهج البلاغة منهلاً تراً لها؛ إذ زادت شواهد الموضوع على ألف ومائة وخمسين شاهداً، ولا يخفى أن في الإنسان رغبة لمعرفة أسرار جسمه وما يتعلق به من دلالات في كلامٍ وُصِفَ بأنه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، فكان كل هذا من أسباب اختيار الموضوع.

بعد ذلك شرعتُ في الغور بمضامين النصوص؛ لاستخراج دلالات ألفاظ الأجزاء البالغ عددها قرابة المائة جزء، فتلمست أثرها في إيصال المعنى وفي التأثير في المتلقي، فكان البحث عن دلالة هذه الأجزاء وحركاتها هو هدف الدراسة.

ولابدَّ من الإشارة إلى أن ثمة دراسات لغوية عنيت بدراسة جسم الإنسان، كان منها ما هو قريب من دراستنا، وكان بعض منها بعيداً، غير أنَّها تختلف عنها في ميدان الدراسة، ومنها رسالة الباحث أسامة جميل عبد الغني ربابعة (سنة ٢٠١٠م) الموسومة بـ (لغة الجسد في القرآن الكريم)، ورسالة سلام محمد ياسين الحياحي (سنة ٢٠١١م) الموسومة بـ (الإنسان: الكليات والجزئيات في القرآن الكريم دراسة دلالية)، وقد اطلعَ الباحث على هذه الدراسات، وأفاد منها إذ

كانت تمثل جهداً طيباً، فقد اختصت الأولى بحركات الجسم وأعضائه الرئيسية، ولم تزد على عشرة أجزاء، وفي الثانية فصلٌ مختصٌ بأجزاء الإنسان المادية وغير المادية، وكان مما أحصيته من ألفاظ مادية في النهج يفوق كثيراً ما ورد في الذكر الحكيم بحسب الدراستين المذكورتين؛ فكان هذا مما زاد في رغبتني في إكمال مشروع بحثي، فضلاً عن اختلاف سياقات النهج وتغاير المنهج والهدف، وما اقترب منها من دراستي حاولت الانطلاق منه إلى فهم ما تعلق بالقرآن عن طريق استنباط مقاصد الإمام في كلامه.

أمّا عن طبيعة الموضوع، فقد اقتضت الدراسة تقسيمه على ثلاثة فصول رُتبت مباحثها على الترتيب المنطقي لجسم الإنسان، تسبقها مقدمة، وتقفوها خاتمة بينت خلاصة البحث، وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

أمّا الفصل الأول، فقد ضمّ دراسة الألفاظ الدالة على الرأس وما يلحق به، فوقع ذلك في ستة مباحث، وهي على التوالي: والألفاظ الدالة على الرأس وما يلحق به، والألفاظ الدالة على الوجه وما يلحق به، والألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها، والألفاظ الدالة على الأذن وما يلحق بها، والألفاظ الدالة على الأنف وما يلحق به، والألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به.

واختصّ الفصل الثاني بدراسة الألفاظ الدالة على جذع الإنسان وما يلحق به، أي ألفاظ الأجزاء الظاهرة والباطنة من الظهر والبطن، وقد قسّمتها على ستة مباحث، وهي على التوالي: الألفاظ الدالة على العنق وما يلحق به، والألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به، والألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به، الألفاظ الدالة على البطن وما يلحق به، والألفاظ الدالة على الجنب وما يلحق بها، والألفاظ الدالة على الظهر وما يلحق به.

وعُني الفصل الثالث بالألفاظ الدالة على الأطراف وما يلحق بها، فكان على

١٨ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

مبحثين، وهي على التوالي: الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها، والألفاظ الدالة على الرجل وما يلحق بها.

ثم أفضى البحث بعد ذلك إلى الخاتمة بأهم النتائج التي توصل إليها الباحث، ثم قائمة بمظان البحث.

أمّا نسخة نهج البلاغة المعتمدة في نقل الشواهد، فهي نسخة تكاد تكون فريدة؛ لأنها غير متوافرة في المكتبات العامة وأسواق بيع الكتب، وهي بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وشرحه، ومكوّنة من جزأين، حصلت على الجزء الأول منها من أستاذه المشرف، والثاني حصلت عليه بعد عناء بمساعدة أحد الزملاء من مدينة بغداد، وقد استعنت ببعض النسخ المحققة أيضاً، وقابلت أغلب نصوصها مع هذه النسخة، وأشارت إلى مواضع الاختلاف إن وجدت في الشاهد المدروس، وقد أشار أستاذه المشرف إلى نسخة قد حُقِّقت مؤخراً على أربع نسخ قديمة، وكانت الدراسة قد شارفت على الانتهاء، فقابلتها أيضاً، وهي نسخة السيد هاشم الميلاني. واعتمدتُ في الدراسة على مصادر ومراجع متنوعة، أفادت البحث أخصّ بالذكر مصادر المعجمات، وأكثرها استعانة العين للخليل (ت ١٧٥هـ)، ومقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ)؛ لكثرة ما وجدت فيه من استشهاد بكلام الإمام عليه السلام، وكتب خلق الإنسان ومنها (كتاب خلق الإنسان ضمن الكنز اللغوي في اللّسن العربي) للأصمعي، و(كتاب خلق الإنسان) لثابت بن أبي ثابت، و(كتاب خلق الإنسان) لأبي إسحاق إبراهيم الزّجاج، أمّا شروح نهج البلاغة، فكان منها (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، و(شرح نهج البلاغة) لابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، و(منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) لحبيب الله الخوئي (ت ١٣٢٤هـ)، وقد اختصرت بعض أسماء هذه الكتب في الهامش لشهرتها، ولا أنسى بعض الرسائل والأطاريح

الجامعية التي اهتمت بدراسة عن نهج البلاغة، واستعنت ببعض الدراسات القرآنية، ومصادر ومراجع متنوعة أُخر منها اللغوية، والأدبية، والبلاغية، التي لا يسع المقام لذكرها كلها.

واعتمدت في دراستي لهذه الموضوعات على المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ بنيت الدراسة على ما ورد من ألفاظ في نهج البلاغة بعد إحصائها وتقسيمها على مجموعات وحقول، واستخراج دلالتها المعجمية، والتماس الشاهد واستقرائه وتحليله دلاليًا، لاستنباط الدلالة وبيان التطور الذي لحق بها إن وجد، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الإحصاء الذي سيذكر لنصوص الألفاظ في الهوامش لا بد أن يجمع معه هامش النصوص المذكورة حتى يكون مطابقاً للعدد المذكور مع كل لفظ.

وبعد، فإن القلم كاد أن يضلّ في سيره لولا رعاية الله وتوجيهات أستاذي المشرف الدكتور علي فرحان جواد الذي كان اسماً على مسمى، علياً بأخلاقه وعلمه، فإليه تحية التلميذ البار.

وأخيراً فكلي أملٌ أن أكون قد وُفِّقت في هذا العمل، غير باخل بالجهد والوقت، فإن أصبتُ فذلك من فضل الله ربي وإنْ كانت الأخرى فحسبي شرف المحاولة والحمد لله أولاً وآخراً.

الفصل الأول

الألفاظ الدالة على الرأس

المبحث الأول

الألفاظ الدالة على الرأس وما يلحق به

المبحث الثاني

الألفاظ الدالة على الوجه وما يلحق به

المبحث الثالث

الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها

المبحث الرابع

الألفاظ الدالة على الأذن وما يلحق بها

المبحث الخامس

الألفاظ الدالة على الأنف وما يلحق به

المبحث السادس

الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به

المبحث الأول

الألفاظ الدالة على الرأس وما يلحق به

مما لا شكّ فيه أنّ تتبّع الكلمة في أساليب نهج البلاغة، والوقوف عند استعمالاتها، وتأمل السياق والنظم الذي نسجت فيه، يكشف عن كثير من الأسرار والمزايا، ويجلّي جانباً من جوانب الدلالة في هذا السفر الخالد، وهذا المبحث يختصّ بدراسة الألفاظ الدالة على الرأس وما يلحق به من الشعر، ويتتبع استعمالها في كلام أمير المؤمنين عليه السلام؛ ليظهر ما وراء تلك الاستعمالات، ويجلي ما يكمن وراء هذا النظم الذي سلكت فيه، من معانٍ، ومزايا، وأسرار دقيقة... ونحو ذلك^(١).

وبعد قراءة نصوص نهج البلاغة، لم يجد الباحث ألفاظاً دالة على الشعر في جسم الإنسان سوى ما أُشير به إلى الشعر النابت في رأسه، وذلك بألفاظ دالة على مظهر الشعر، وطوله، وهيأته، ومكانه في الرأس، وهو من الأجزاء الظاهرة في رأس الإنسان، ومنه ما صغر ومنه ما كبر^(٢)؛ لذا سندرس ألفاظ الشعر ضمن الأجزاء الملحقة بالرأس، ومن ألفاظه التي وردت في النهج هي: (الناصية، القنزعة، الذؤابة، القتير، الشيب)^(٣)، واللفظان (ذؤابة، وقنزعة) لم يختصا بالإنسان، بل

(١) ينظر: الإعجاز البلاغي للقران الكريم، بسيوني عبد الفتاح فيود: ٤١.

(٢) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ): ٨٣.

(٣) ورد الشيب في موضعين من نهج البلاغة في عبارات تُنبئ عن توجيه السؤال للإمام عليه السلام، الأول:

٢٤ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

وردا على سبيل الاستعارة لغيره^(١)؛ لذا سنعرض عن دراستهما، أما ما استعمل في نهج البلاغة من أَلْفَاظِ مَكُونَاتِ الرَّأْسِ الْأُخْرَى فَهِيَ الْأَجْزَاءُ الْآتِيَةُ: (الجمجمة، الهامة، اليافوخ)، وستُدرس الألفاظ المذكورة في كلام الإمام بطريقة أكثر تجميعاً ضمن حقل دلالي، بوصفها منهجية ووسيلة توصل إلى نتيجة معيّنة، فتكتسب الكلمة معناها في علاقاتها بالكلمات الأخرى، لأنَّ الكلمة لا معنى لها بمفردها، بل إنَّ معناها يتحدّد ببحثها مع أقرب الكلمات إليها في مجموعة واحدة^(٢)، وستكون دراسة هذه الألفاظ على مجموعتين، الأولى: تتضمن الألفاظ التي تشير إلى رأس الإنسان كما وردت في نصوص نهج البلاغة، والأخرى: تشير إلى شعره.

المجموعة الأولى:

تتضمن أَلْفَاظِ (الرأس، الجمجمة، الهامة، اليافوخ)، ومن شواهدنا:
- الرأس: استعمل عشر مرات^(٣)، منها قول الإمام عليه السلام في كتاب إلى مالك الأشتر عندما ولاه على مصر:

«وَأَجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ، لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَنْشَتُّ

السؤال عن قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «غَيَّرُوا الشَّيْبَ، وَلَا تَسْبَهُوا بِالْيَهُودِ»، والآخر: عندما قيل له: «لو غيَّرت شيبك يا أمير المؤمنين! فقال: الْخَضَابُ زِينَةٌ، وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ...»، (نهج البلاغة: ٢/ ٣١٠، ح ١٨، ٢/ ٤١٣، ح ٤٨١).

(١) ورد لفظ القنزعة في موضع واحد من نهج البلاغة في وصف خلقه الطاوس من قول الإمام: «وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قَنْزَعَةٌ خَضْرَاءُ مُوشَاةٌ»، (نهج البلاغة: ١١/ ٣٩٣، ح ١٦٦). أما لفظ الذؤابة فقد ورد في ذكر الإمام للنبي في قوله «اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَشَكَاتِ الضِّيَاءِ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ»، (نهج البلاغة: ١١/ ٢٤٢، ح ١٠٧).

(٢) ينظر: أصول تراثية في علم اللغة، كريم زكي حسام الدين: ٢٩٤.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، وهو ما جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق وشرح: محمد أبي الفضل إبراهيم: ١/ ٩٣، ح ٣٤، ١/ ٣١٩، ح ١٣٨، ١/ ٤١٥، ح ١٧٦، ١/ ٤٥٨، ح ١٩٠، ٢/ ٩٤، ٢/ ٢٣٨، ٢/ ٢٤٩، ٢/ ٥٣، ٢/ ٢٧٢، ٢/ ٥٨، ح ٣٢٣، ح ٧٩.

عَلَيْهِ كَثِيرُهَا»^(١).

وقوله عليه السلام ذاكراً لأصحابه الخُلص ممن مضوا على الحق:

«أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ... الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ»^(٢).

- الجمجمة: ذكرها الإمام عليه السلام مرة واحدة بقوله لابنه محمد بن الحنفية، لما أعطاه الراية يوم الجمل:

«تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُّ عَصَى عَلَى نَاجِدِكَ، أَعِزَّ اللَّهُ جُمُجَمَتَكَ، تَدُ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ... وَاعْلَمْ أَنَّ التَّصَرَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ»^(٣).

- الهامة: ذكرت سبع مرات في نهج البلاغة^(٤)، ومنها قول الإمام عليه السلام عن أحوال قوم من جند الكوفة، هموا باللحاق بالخوارج:

«أَمَّا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَقْلَهُمْ، وَهُوَ عَدَا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ...»^(٥).

وقال عليه السلام عن نفسه:

«...فَأَمَّا أَنَا فَوَ اللَّهُ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَأَشُ الْهَامِ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ»^(٦).

(١) المصدر نفسه: ٢/٢٥٥، ك٥٣.

(٢) المصدر نفسه: ١/٤٣٦، خ ١٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ١/٤٦، خ ١١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/٩٧، خ ٣٦، ١/١٣٢، خ ٦٥، ١/٢٧٨، خ ١٢٤، ١/٢٨٩، خ ١٢٤، ٢/٣٥، خ ٢١٦.

(٥) المصدر نفسه: ١/٤٢٨، خ ١٨٢.

(٦) المصدر نفسه: ١/٩٣، خ ٣٤.

- اليافوخ: ورد ذكره مرة واحدة في خطبة للإمام عليه السلام في بعض أيام صيفين يخاطب أصحابه:

«وَقَدْ رَأَيْتُ جَوَلْتَكُمْ، وَأَنْحِيَا زَكْمَ عَن صُفُوفِكُمْ... وَأَنْتُمْ لَهَا مَيْمُ الْعَرَبِ، وَيَأْفِيخُ الشَّرْفِ، وَالْأَنْفُ الْمَقْدَمُ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ»^(١).

ويمكن تلخيص المعنى اللغوي لهذه الألفاظ بالآتي:

الرأس من الجذر (رأس) وهو «أصل يدل على تجمّع وارتفاع»^(٢)، وقد ذكر الخليل الأصل الثاني للرأس بقوله: «رأس كل شيء: أعلاه... وفحل رأس: وهو الضخم الرأس، وأنا رأسهم ورئيسهم»^(٣) وفي خلق الإنسان لثابت قال: «فأعلى الرجل رأسه، وهو قلته، وعلاوته... وفي الرأس الفروة، وهي جلدة الرأس»^(٤)، وجمع الرأس: رؤوس^(٥)، ودلالة الاجتماع التي أشار إليها ابن فارس هي المشترك بين الرأس والجمجمة، ولكن الارتفاع غير مأخوذ به في أصلها، فالجمجمة عند الخليل «القحف وما تعلق به من العظام»^(٦)، وجاء في الصحاح أن الجمجمة «بالضم: عظم الرأس المشتمل على الدماغ»^(٧)، وربما سميت عظماً: لأن ما نعرفه اليوم عن الجمجمة يكاد أن يكون مختصراً على أنها تتألف من عدد من العظام المعقدة، وعددها اثنان

(١) نهج البلاغة: ١/ ٢٤١، خ ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه: ٣/ ٤٧١.

(٣) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): ٧/ ٢٩٤.

(٤) كتاب خلق الإنسان: أبو محمد ثابت بن ثابت، ٤٤. وينظر: كتاب خلق الإنسان، أبو إسحاق

إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ) الزجاج: ٢٤.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت

٥٠٢هـ): ١/ ٢٠٧.

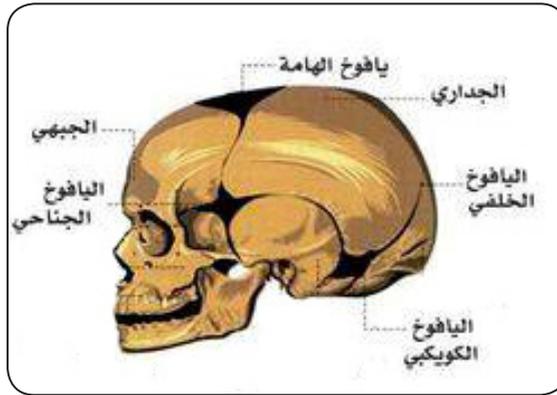
(٦) العين: ٦/ ٢٨.

(٧) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري

(ت ٣٩٦هـ): ٤/ ١٨٩١، وينظر: خلق الإنسان، الزجاج (٣١١هـ): ٢٥.

الفصل الأول: الألفاظ الدالة على الرأس ٢٧

وعشرون عظماً، قسم منها مسطحة وغير منتظمة، وهي تمثل عظام الرأس مع الفك وهو العظم الوحيد المتحرك في الجمجمة...^(١)، أما الآخر فعُرفت بثبات عظامها، والجمع جماجم، وجمجمات، وجمُّم^(٢)، وهي تقع ضمن الأصل الأول الذي وضعه ابن فارس للجذر (ج م م)، إذ ذكر «له أصلان الأوّل كثرة الشيء واجتماعه، والثاني عدم السّلاح... فالجمجمة: جمجمة الإنسان؛ لأنها تجمع قبائل الرأس...»^(٣)، ومن مشتركات الأصل اللغوي الأخر مع الرأس أصل لفظ الهامة، وهي من الجذر (ه ا م) و«يدلُّ على علُوِّ في بعض الأعضاء، ثم يستعار، فالهامة: الرّأس، والجمع هامّ وهامات»^(٤)، فهذا الأصل يشترك مع الرأس في الارتفاع ويفترق عنه في التجمّع، لكن ابن فارس لم يفرق بين الرأس والهامة كما نرى، أما في خلق الإنسان فقد قال ثابت: «وفي الرأس الهامة، وهي وسط عظم الرأس ومعظمه»^(٥)، ويظهر أن ثابت كان دقيقاً في تحديد المعنى، كما يتبيّن من (الشكل ١)،



(الشكل ١)

- (١) ينظر: علم التشريح، د. قيس إبراهيم الدوري: ٢٨.
- (٢) ينظر: كتاب المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (ت ٤٥٧هـ): ٥٥ / ١.
- (٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٥٩هـ): ١ / ٤١٩.
- (٤) مقاييس اللغة: ٦ / ٢٧.
- (٥) خلق الإنسان: ثابت، ٤٤. وينظر: المخصص: ١ / ٥٤.

الذي يوضح سمة التجمع للرأس والجمجمة أيضاً، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الهامة لم ترد في معجمي العين والجيم بمعنى هامة الإنسان^(١).

أمّا اليافوخ من الرأس فقد ورد في أفخ، ويفخ من المعجم^(٢)، قال الخليل: «من همز اليافوخ فهو على تقدير يفعل، ومن لم يهمز فهو على تقدير فاعول، من اليفخ والهمز أحسن... ورجل مأفوخ: سُجَّ في يافوخه وهي اليافوخ^(٣)، واليافوخ «يكون كيناً من الصبي قبل أن يتلاقى العظام السّاعة والرّماعة والنمّعة»^(٤)، وقيل في خلق الإنسان: «هو الموضع الذي لا يلتئم من الصبي إلا بعد سنتين أو نحو ذلك، وهو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره»^(٥)، كما يتضح من (الشكل ١)^(٦)، والمسمى يافوخ الهامة، وبعض العرب يسميه النمّعة، وتسمى من الصبي الرّماعة^(٧).

مما سبق يتضح أن المتربع على عرش العلاقات المتحصلة من هذه الأجزاء هو الرأس؛ فهو يتميز بسمة التجمع والارتفاع؛ وافتقدت الجمجمة سمة الارتفاع،

(١) كان الشائع في استعمال الهامة بأنها: رأس كل شيء من الروحانيين، وهي من طير الليل، وأمّا الهامة في الطير فليست في الحقيقة طيراً، إنما هو شيءٌ كما كانت العرب تقوله، كانوا يقولون: إنَّ رُوحَ القَتيل الذي لا يُدرَك بثأره تَصِيرُ هامةً فَتَرُفُو تقول: اسقوني، اسقوني، فإذا أُدرِك بثأره طارت، (ينظر: مقاييس اللغة: ٦/٢٧).

(٢) ينظر: على سبيل المثال: العين: ٣١١/٤. ولسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ): ٥/٣، ٦٧، ولم نجد له أصلاً في المقاييس.

(٣) العين: ٣١١/٤. وينظر: المخصص: ٥٥/١.

(٤) لسان العرب: ٥/٣.

(٥) كتاب خلق الإنسان: أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ): ١٦٦.

(٦) أطلس جسم الإنسان على الشبكة العنكبوتية، وكان اختيار هذا الشكل التوضيحي لجمجمة طفل صغير لتوضيح تكوّن اليافوخ أولاً؛ وتوضيح الأجزاء الأخرى المكوّنة للجمجمة بأدق صورة ممكنة ثانياً.

(٧) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ٤٦.

الفصل الأول: الألفاظ الدالة على الرأس ٢٩
وفقد كل من الهامة واليافوخ^(١) سمة التجمع، وبذلك تكون هذه الأجزاء تابعة
للرأس ليس في سماتها التركيبية، فحسب، بل الدلالية أيضاً، أما العلاقة التي تربط
اليافوخ الهامة فهي الاستعلاء والاحتواء.

وإذا ما تأملنا لفظ الرأس في نصوص نهج البلاغة، نجد اختلاف دلالاته كما أنه
قد اختلفت دلالاته من سياق إلى آخر في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ذلك قوله:
«وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ».

والناظر للنص يجد أن بناء التركيب له أثر كبير في دلالة لفظ الرأس وتحول
المعنى بتغيير عناصر التركيب المحيطة باللفظين، فالسياق هو الذي حدّد معنى كل
من الكلمتين وليس الشكل الصوتي للدال^(٢)، إذ استعير الرأس في المرة الأولى
بإضافته إلى شيء معنوي وهو الأمر، ومدلوله أعلاه أو قمته، أمّا في المرة الثانية،
فقد جاء مخصّصاً للإنسان بقرينة حرف الجر والضمير العائد إلى العاقل، ومدلوله
الرئيس، وعلى الرغم من اختلاف الدلالة، فإنّ وجه المناسبة بين الاستعمالين هو

(١) كان الشك يراود الباحث في مفهوم اليافوخ بعد اطلاعه على بعض كتب علم التشريح والرسوم
التوضيحية وتركيز أهل اللغة على ذكر يافوخ أعلى الرأس فقط، فحاولت أن ألتقي بأحد الأطباء
المتخصصين في طب الأطفال في عيادته الخاصة بقضاء المناذرة، وهو الدكتور علي حسين الفيداوي
تدريسي في كلية الطب في جامعة الكوفة، بتاريخ ١٩ / ٢ / ٢٠١٥م، الساعة (١٣:٦) من مساء يوم
الخميس، فسألته عن حقيقة اليافوخ، فأجاب مشكوراً بأن: هذه المنطقة اللينة في رأس الطفل هي
في الواقع ليست بفتحة واحدة، ولكن أبرزها فتحتان، واحدة تقع في الجزء الأمامي من الرأس،
والأخرى ورائها في الجزء الخلفي، وهما فجوتان بين عظام الجمجمة، لها دور مهم في أثناء الولادة،
وبعد أن يولد الطفل تبقى الجمجمة مفتوحة وتبدو هشة لإتاحة المجال لنمو دماغ الطفل وسوف
يغلق اليافوخ الخلفي أولاً ما بين عمر الشهرين والأربعة أشهر، أما الأمامي فسوف تبقى فتحة
وتلتحم تدريجياً قبل أن يبلغ الطفل عامه الثاني، فتيقنت أن التسمية التصقت بآخرها تماماً وهو
يافوخ الهامة في (الشكل ٥).

(٢) ينظر: علم الدلالة، بيرجيرو: ١٩٣.

٣٠ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ
مبدأ الأهمية والاختصاص في الإدارة والحكم^(١)؛ لذا نقل الإمام اللفظ في المرة الأولى من موضع استعماله الأصل إلى غيره، لغرض الإبانة والتأكيد^(٢)، فمن دواعي الدلالة لاستعمال لفظة (رأساً) ولم يقل (شخصاً منهم)؛ أنه ﷺ أراد العلو فينبغي على الأثر أن يكلف لكل أمر شخصاً عالي المرتبة صدرراً لقومه، فهو الذي يعول عليه، فضلاً عن أن الرأس يضم العقل ومن يدير الأمر فينبغي أن يكون حكيماً عاقلاً يحسن التدبير والتفكير، وهذا المدلول هو ما كشفت عنه القرائن في السياق، وبذلك يكون كلامه ﷺ أشبه ما يكون بالحكمة.

ومن الاستعمالات الأخر للفظ الرأس قوله ﷺ:

«أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ... أُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ»^(٣).

فبعد التقديم بالثناء للأصحاب الوارد في السياق، يأتي قول الإمام، أُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ، ليكون كناية عن القتل؛ لأن ذلك يعني أن رؤوسهم أرسلت بالبريد إلى الفسقة للبشارة والشفهي بها^(٤)، وذكر زوال الرأس عن مقامه من جسد الإنسان، وانتقاله ليكون في متناول الأعداء، هو من دواعي شحذ الهمم ورسم الصورة التي أراد الإمام إيقاظها في نفس المتلقي؛ لتهيئته للجهاد المصرح به في الخطاب نفسه^(٥)؛ لأنه ﷺ وظَّف علاقة الانعكاس الدلالي للرأس لخدمة ذلك الغرض، وبيان أهمية هذه الرؤوس وما تحمل من يقين ديني يفتقر إليه الخصم، فقد عبر الإمام عن الشخص برأسه للدلالة على قيمته وعلو شأنه.

(١) ينظر: دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين: ٨٠.

(٢) ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري ت(٣٩٥هـ): ٢٦٨.

(٣) نهج البلاغة: ١/٤٣٦، خ ١٨٣.

(٤) ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة، صفوة شروح نهج البلاغة، جمع وضبط أركان التميمي: ٤٣٥.

(٥) ينظر: سياق الخطبة في نهج البلاغة: ١/٤٣٦.

الفصل الأول: الألفاظ الدالة على الرأس ٣١
ويظهر من استقراء النصوص (١) أنّ المعاني التي استعملها الإمام للرأس لا
تحيد عن دلالة التقدم والصدارة وعلو الشأن والشرف، وما يرتبط بها من علاقات
دلالية، وتوظيفها في مقامات تجلي جانباً من جوانب هذه الدلالة.

أمّا لفظ الجمجمة الوارد في قول الإمام (عليه السلام) في الشاهد، فيلاحظ أنّه قد سبق في
سياق النصّ بعبارة «تزول الجبال ولا تزل»، وهو خبر في معنى الشرط، أريد به
المبالغة، أي لو زالت الجبال عن مواضعها لا تزل، وهو نهي عن الزوال مطلقاً،
فالإمام يأمر ولده محمّد بن الحنفية أو يشترط عليه الثبات في الحرب وعدم الزوال
تأكيداً وحرصاً منه على هذا الفعل (٢)، ومن مكملات هذا الثبات في الحرب قوله:
«أَعْرِ اللهُ جُمَّمَتَكَ»؛ إذ أمره أن يحسب جمجمته معارة لله تعالى؛ لأنّ المعار يردُّ إلى
صاحبه عند الله بأحسن منه (٣)، والمراد لا تحف على رأسك من السيوف وابدله
في سبيل الله فهو لا يعدو أن يكون مجموعة عظام صغيرة لا قيمة لها أمام خالقها،
ويتضح أنّ دلالة الاستعمال للجمجمة في النص هي التصغير، ومما يفيد هذه الدلالة
قوله (عليه السلام) «عَضَّ عَلَى نَاجِدِكَ»؛ لِأَنَّهُ أُنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنْ عِظَامِ الْجُمَّمَةِ كَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ
الإمام (٤)، وهذا المغزى لا يؤديه لفظ الرأس، ولا يتحقق معه، لو أُبدل بالجمجمة؛
لأنّ الرأس إذا ما قورن بأعضاء الجسد الأخر، فهو أشرف الأعضاء فائدة؛ إذ إنّ
فيه العقل المدرك المدبّر، واللسان الناطق المعبّر، والعين الناظرة، والأذن الواعية (٥)،

(١) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ٩٣/١، خ ٣٤، ٤١٥/١، خ ١٧٦، ٢/٢٤٩، ك ٥٣، ١/٣١٩،
خ ١٣٨ ...

(٢) ينظر: جهود حبيب الله الخوئي النحوية في شرح نهج البلاغة: ظافر عبيس عناد، (رسالة ماجستير)،
١٨٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، الحائري: ١/٢٣١.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: ١/١٣٢، خ ٦٥.

(٥) ينظر: الإعجاز البلاغي للقران الكريم: ٤١.

٣٢ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

وما سمي الرأس رأساً إلا لعلوه وارتفاعه.

أمّا لفظ الهامة فقد استعمله الإمام في نهج البلاغة بالجمعين المذكورين في التقديم اللغوي من دون المفرد، وهذا يدلُّ على تصرُّف الإمام في الصيغ والمباني، ومن ذلك قول الإمام عليه السلام:

«أَمَّا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَيْسَنَةُ إِلَيْهِمْ وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ».

والكلام هنا على أحوال قوم من جند الكوفة، هموا باللحاق بالخورج، وما يلحظ في النص أن الإمام استعار لفظ الصَّب المستعمل في صبِّ الماء، أو في قوله تعالى:

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾^(١).

لوصف كثرة وقع السيوف على الهامات^(٢)، وأكد ذلك بتوظيف جمع الكثرة للسيوف، واستعمل الإمام الهامة للوعيد للدلالة على شدة غضبه من القوم المنشقين إلى الحد الذي يريد أن يفلق هاماتهم؛ فهي أول جزء مرتفع من الرأس يطوُّه السيف عند الضرب عليه، وهدفٌ أسمى للمقاتل في غمار الحرب والفوز فيها^(٣)؛ لأن السياق سياق تنكيل وإهانته وغضبه.

وأما النص الثاني المذكور في استعمال هذا الجزء من الرأس، فيتحدث فيه الإمام عليه السلام عن نفسه إذ يقول:

«فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ».

وهذا كلام من خطبة في ذمِّ أصحابه^(٤)، لكنه عليه السلام ينأى بنفسه عن حالهم فيتكلم عن نفسه في هذا النص؛ ليرتفع شأنًا فيضع نفسه في مقام التهديد والوعيد بقوة

(١) الفجر: ١٣.

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي: ١٠ / ٢٩٠.

(٣) ينظر: الإنسان في الشعر الجاهلي: عبد الغني أحمد زيتوني، ٢١٤.

(٤) ينظر: قراءة راشدة لكتاب نهج البلاغة، عبد الرحمن بن عبد الله الجميعان: ٦٠.

٣٤ ألفاظُ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة
وظّفه مع مجموعة من المصاحبات اللغوية لغرض المدح، يقول صاحب اللسان:
«وفي حديث عليّ (رضي الله عنه) وأنتم لهايممّ العرب ويأفيخُ الشرف. استعار
للشرف رؤوساً وجعلهم وسطها وأعلاها»^(١)، ويمكن تعليل هذا الاستعمال
بأنه ﷺ لما أراد المبالغة في المدح وظّف موقع اليافوخ في وسط الهامة التي هي في
وسط عظم الرأس، وهذه المزية لا تكون إلا لليافوخ، فاستعاره للشرف ثم أسند
التركيب لمن يخاطب، وبذلك يكون الإمام قد قرر أصلاً للاستعمال دلالة الشرف
والسيادة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ البنية الصرفية التي استعملها ﷺ لليافوخ هي
(يفعل) وهي لغة الهمز، وجمعها يَأْفِيخُ على (يفاعيل) على أن الياء زائدة، ويضع
أحد الباحثين هذا المبنى من جملة ما بُني من ألفاظ اللغة على لسان الإمام ﷺ
في لسان العرب^(٢)، لأنّه جُمع (يوافيخ) ووزنه (مفاعيل) على أنّ ياء أصل^(٣)،
كجمع مفاتيح.

ومما سبق يُلاحظ أنّ ما تميز به لفظ الرأس وملحقاته من استعمال عند الإمام، هو
وجوده ضمن عبارات تقترّب من الحكمة تارة، ومن المثل تارة أخرى، في نصوص
دلّت في جلّها على الشرف والصدارة، ويتضح لمتدبر النصوص أثر المرجعية اللغوية
في بعض موارد كلامه ﷺ من الحديث الشريف مثل قوله:

«إِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيْمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»^(٤).

(١) لسان العرب: ٥/٣.

(٢) ينظر: ما بني من ألفاظ اللغة على أقوال الإمام علي في لسان العرب: رائد عبدالله احمد زيد، (رسالة
ماجستير)، ١٥٣.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٥/٣.

(٤) نهج البلاغة: ٢/٣٢٣، ح ٧٩، ومسنّد الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ):
٥١٧/٣٧، رقم (٢٢٨٧٧)، وسنن النبي، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٠٨.

ولا يفوتنا أن نذكر أن النهج الاستعمالي للجمجمة والهامة واليافوخ في خطب الإمام عليه السلام قد ظهر في إطار الحرب والقتال حصراً، فاستعملت الهامة للإهانة وشدة الغضب، واليافوخ لعلو الشأن والشرف لعلاقة العموم والخصوص بينه وبين الرأس.

المجموعة الثانية:

تتضمن ألفاظ (الشعر، الناصية، القتير)، ومن شواهدها:

- الشعر: ورد ذكره مرتين بصيغة الجمع فقط، وهما قول الإمام عليه السلام في حجّاج

بيت الله:

«يَهْلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أقدامِهِمْ شُعْثًا غُبْرًا... وَشَوْهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مُحَاسِنَ خَلْقِهِمْ...»^(١).

وقوله عليه السلام يصف جانباً من عدالة حكمه وعدم ظلمه للعباد:

«وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرْكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شُعْتَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الْأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ»^(٢).

- الناصية: جاء ذكرها أربع مرات في كلام الإمام عليه السلام^(٣)، منها قوله في الحثّ

على التقوى:

«فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعِينُهُ، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ»^(٤).

وقوله عليه السلام يحمد الله ويعظمه:

«فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ: حَيٌّ قَيُّومٌ... أَحْصَيْتَ الْأَعْمَالَ،

(١) نهج البلاغة: ١٠١/٢، خ ٢٣٨.

(٢) المصدر نفسه: ٤٨/٢، خ ٢١٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٣/١، خ ١٠٨، ١٦٩/٢، ك ٢٧.

(٤) المصدر نفسه: ٤٣٩/١، خ ١٨٤.

وَأَخَذَتْ بِالتَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ»^(١).

- القتير: ورد مرة واحدة في قول الإمام عليه السلام يحثُّ الناس على التوبة:

«أَيُّهَا الْيَفْنَ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمْتَ أَطْوَأَقَ النَّارِ
بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَنَشِبْتَ الْجَوَامِعَ حَتَّى أَكَلْتَ لَحُومَ السَّوَاعِدِ؟»^(٢).

ويمكن تلخيص المعنى اللغوي للألفاظ بالآتي:

الشَّعر: وهو من الجذر (ش ع ر) وله «أصلان معروفان، يدلُّ أحدهما على ثباتٍ، والآخر على عِلْمٍ وَعَلَمٍ، فالأوّل الشَّعر، معروف... والشَّعار: ما ولى الجسد من الثَّياب؛ لآنه يَمُسُّ الشَّعر الذي على البشرة، والباب الآخر: الشَّعار: الذي يتنادى به القوم في الحرب ليعرف بعضهم بعضاً، والأصل الثاني قولهم شعرت بالشَّيء، إذا علمته... ومشاعرُ الحجّ: مواضع المناسك، سميت بذلك لأنّها معالم الحجّ، والشَّعيرة: واحدة الشَّعائر، وهي أعلام الحجّ وأعماله»^(٣)، والشَّعر في الأصل الأول هو «نبتة الجسم مما ليس بصُوف ولا وبر، الواحدة شَعرة... جمع الشَّعر أشعار، وشُعور... رجل أشعُر وشِعِرٌ وشَعْرانيّ، كثير الشعر في رأسه وجسمه والأنثى شعراء... وقالوا الشَّعرةُ يُعنى بها الجميع كما قالوا الشَّيبة يُعنون بها الشَّيب»^(٤)، ومن الشَّعر أخذ المشعّر وهو محلّ الشعور أي: الإحساس، وهو الحاسة وجمعه مشاعر^(٥)، وهو مستعمل عند الإمام في نهج البلاغة ثلاث مرات^(٦)،

(١) نهج البلاغة: ١/ ٣٧٣، خ ١٦١.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٤٤١، خ ١٨٤.

(٣) مقاييس اللغة: ٣/ ١٩٣.

(٤) المخصص: ١/ ٣٨، وينظر: خلق الإنسان، الأصمعي: ١٧٢.

(٥) ينظر: لسان العرب: ٦/ ٤٩.

(٦) ينظر: نهج البلاغة: ٣٤٩١١، خ ١٥٢، ٦٤١٢، ٢٣١، ٦٩١٢، خ ٢٣٢.

الفصل الأول: الألفاظ الدالة على الرأس ٣٧

ويرتبط اللفظ الثاني (الناصية) بالشعر بعلاقة جزئية تبيّن حد من حدوده كما يظهر في أصل الجذر (ن ص ا) عند ابن فارس^(١)، فله «أصلٌ يدلُّ على نَحْيٍ وخطَرٍ في الشَّيءِ وعلوّ، ومنه... هذه نصيَّتي: خيرتي، ومنه النّاصية: سمّيت لارتفاع منبتها، والناصية: قُصاص الشَّعر»^(٢)، وقد وافق الراغب هذا المعنى، ثم أشار إلى أحد هذه الأصول بقوله: «وفلان ناصية قومه... كقولهم: رأسهم وعينهم، وانتصى الشعر: طال، والنصي: مرعى من أفضل المراعي، وفلان نصية قوم، أي: خيارهم تشبيهاً بذلك المرعى»^(٣)، أما عن تحديد الناصية فهي «شعر مقدم الرأس... والغُسن شعر الناصية»^(٤).

أمّا القتير فقد ورد في المعجم بمعنى الشيب، فقد قيل: أنَّ «الْقَتِيرُ: الشَّيبُ»^(٥)، لكنَّ الأصل مختلف، فالقتير من الجذر (ق ت ر) وله «أصلٌ صحيح يدلُّ على تجميعٍ وتضييقٍ... ومن الباب القتير»^(٦)، ونجد ابن منظور (ت ٧١١هـ) يصرح بأصل التسمية قائلاً: «وأصلُ القَتِيرِ رُووسٌ مسامير حَلَقِ الدرّوع تلوح فيها، شُبّه بها الشيب إذا نَقَبَ في سواد الشعر الجواهر، والقَتِيرُ رُووس المسامير في الدرّع»^(٧)، وبذلك يتجلّى الفرق بين صفتي الشيب والقتير للشعر؛ إذ إنّ الثانية تكون محددة بمرحلة معينة، وأمّا الأولى فمطلقة، ويمثل الشعر الوحدة الجامعة لهذه الألفاظ.

(١) يقول ابن فارس: (وهذا المعتلُّ أكثره واو)، وفي العين والأساس من (ن ص و)، وقيل (ن ص ي) أيضاً.

(٢) مقاييس اللغة: ٤٣٣/٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٣٤/٢.

(٤) فقه اللغة، الثعالبي: ٨٣. وينظر: المخصص: ٦٨/١.

(٥) العين: ١٢٤/٥. وينظر: المخصص: ٧٧/١.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة: ٥٥/٥.

(٧) لسان العرب: ٧٣/٥.

أما عن استعمال لفظ الشعر في نهج البلاغة، فقد جاء ذكره في الشاهد الأول من قوله عليه السلام عن حجاج بيت الله:

«شُعْنًا عُبرًا... شَوْهُوًا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مُحَاسِنَ خَلْقِهِمْ».

وفي النص بيان لجانب من جوانب تأدية الفرائض في الحج^(١)، وما خص الشعر من ذلك، لفظ الشعور، وهو جمع شعر، والشعث وهو «المُعْبَرُ الرَّأْسِ الْمُتَّيْفُ الشَّعْرَ الحَافُّ الذي لم يَدِهْنْ، والشَّعْتُ التَّفْرِقُ والتَّنَكُّثُ كما يَتَشَعَّثُ رَأْسُ المُسْوَاكِ وَتَشَعِيثُ الشَّيْءِ تَفْرِيقُهُ... والشَّعْثَةُ موضعُ الشعرِ الشَّعِيثِ»^(٢)، أمّا إعفاء الشعور، فهو ترك ما فضل من شعورهم أو ما نبت في الأعضاء التي جرت العادة بإزالتها؛ فتغيّرت أحوالهم ومحاسن صورهم^(٣)؛ لأنّ الحاج يترك شعره في بعض الأيام من دون قصّ أو حلق فيجعل لنفسه شعاراً أي علامة^(٤)؛ ليعت خطاباً عبر ممارسة جسدية تتلاءم مع اختبار العباد وإثابة المجيب، وتبقى بعض المصاحبات اللغوية للشعر ملازمة له في النص الثاني للشعر في قوله عليه السلام:

«وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْتَ الشُّعُورِ، عُبرَ الأُلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ».

فذكر الشعور في هذا النص والنص السابق قد اقترن بإحدى المصاحبات المعجمية وهي (شعث)، وأخرى سياقية وهي (عبر) غير أن السياق هنا لا يرتبط بممارسة دينية والتعليل مختلف أيضاً؛ لأنّ في ذكر وصف الشعر دلالة إشارية تفصح عن فقرهم وتؤكدده، والتصاحب اللغوي لألفاظ (الشعر والشعث والغبر)

(١) ينظر: الحج في نهج البلاغة، فارس الحسون: ١٠.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٢/١٦٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ): ١٣/١٥٩.

(٤) ينظر: المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية، الأب. أ. س. مرمجي الدومنيكي:

قد أنتج صورة إرهاق وتعب، وقد يكون هذا بدنياً كما في عبادة الحج، وقد يكون معنوياً بسبب ضنك العيش كما تبين في النص الثاني على أولاد عقيل، ومن المناسب هنا ذكر شيء قد إلتفتت إليه المعجمية العربية حديثاً وهو الاتساق المعجمي في ضوء الألسنية الثنائية، والذي تحقّق في لفظني (شعر، وشعث) عند الإمام، إذ إنّ أصلهما الثنائي هو (شع) الدال على البروز والانتشار، والتفرق والانتشار، وفي كلّها معنى الحركة، ويتحقّق ذلك في الكلمات التابعة:

شَعَّ: فرّق القوم: انتشروا

شُعُّ: سفا السنبيل وشوكة، وضوء الشمس المنتشر أي الشعاع.

أشَعَّ: الزرع أخرج شعاعه، والشعاع: المفترق من كل شيء.

فإذا اتضح ذلك، فإنّ (شعر) بمعانيه المختلفة صادر عن (شع) بزيادة الراء في آخره، من حيث نشوء هذه المادة وخروجها من الجسد، وارتباطه بخاصية التلبّد والالتصاق^(١)، وهذه الطريقة توصل إلى معنى اللفظين وتثبت الاتساق، وتزيل التنافر في النصوص، أمّا دلالة جزء الشعر في النصين عند الإمام عليه السلام فقد استعمله علامة ظاهرة، يُستدل بها على حال صاحبه بانسجام واضح مع الأصل اللغوي.

وفي اللفظ الآخر من الأجزاء الدالة على الشعر وهو الناصية فإنه عليه السلام يستعمله في بنية واحدة جمعت معرفة في نصوصها لما يخص الإنسان، أمّا مقام استعمال اللفظ، فمنه ما يتعلق بالدنيا، وشاهده قوله عليه السلام في النص الأول: «فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعِينُهُ، وَتَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ»، ويلحظ في سياق النص أنّ المصاحبات المنسوبة للفظ الجلالة قد أحاطت باللفظ؛ لأنّ فحوى خطاب الإمام أن الله متمكن منكم قادر عليكم، فأنتم في قبضته أي تصرفكم تحت حكمه لو شاء أن يمنعكم منعكم، كالإنسان القابض على ناصية غيره، إن شاء دام القبض عليه وإن شاء تركه وفق

(١) ينظر: المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية: ١٩٠-١٩٢.

٤٠ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
مسلمة السيطرة والتمكن في علاقة العبد والمعبود أو الخالق والمخلوق... الخ^(١)،
ويظهر أن الناصية المقصودة في النص، ليست ظاهر الناصية المشار إليها في المعنى
اللغوي، أمّا الاستعمال الآخر للفظ الناصية، فيتعلق بمقام الآخرة وهو قوله ﷺ
عن الْحَيِّ الْقَيُّومِ:

«أَحْصَيْتِ الْأَعْمَالَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ».

وفي هذا الكلام اقتباس قرآني من قوله تعالى:

﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^(٢).

ويمكن أن يكون القاسم المشترك بينهما نوعاً من العذاب الواقع على الأجساد
في الآخرة حذر الإمام منه في النص المذكور، إذ يؤخذ بالنواصي والأقدام من
المجرمين فيلقون في النار^(٣)، أو تُأمر بذلك، ويأتي توظيفه ﷺ للناصية لدلالاتها
على الانقياد، وارتباطها بمفهوم الدّل عند الإنسان، فهي علامة لقهره؛ لتقدمها
وعلوها على سائر أعضاء الجسد من واجهة الإنسان^(٤).

ويعد استعمال لفظ الناصية غنياً بالأثر القرآني في اقتباسه لفظياً ومعنوياً في نهج
البلاغة^(٥)، ويلحظ أن الإمام قد استعمله في النصين المذكورين ونصوص آخر^(٦)
لمعانٍ وعظية وإرشادية في سياق تحذير الذات الإنسانية من الخطر المحقق بها في

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ١٢٠، وينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢/ ٤٣٤.

(٢) الرحمن: ٤١.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي: ١٩/ ٥٨.

(٤) ينظر: الإنسان الكليات والجزئيات في القرآن الكريم دراسة دلالية، سلام محمد ياسين الحياحي،
(رسالة ماجستير): ١٤٢.

(٥) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا﴾ هود: من الآية: ٥٦، وقول الامام ﷺ:
«بِيَدِكَ نَاصِيَةٌ كُلِّ دَابَّةٍ».

(٦) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٢٥٣، خ ١٠٨، و٢/ ١٦٩، ك ٢٧.

الفصل الأول: الألفاظ الدالة على الرأس ٤١

الدنيا والآخرة؛ لأن هذا الموضوع يخشى عليه الإنسان؛ لارتباطه بمفهوم العزة والشرف، واشترائه بأصل الارتفاع مع الرأس ظاهراً، ومركز التخير باطناً.

وبعد الاطلاع على النصوص التي ورد فيها جزء الناصية في النهج وكذلك ما ورد في القرآن الكريم لم يرَ الباحث ما يؤيد المعنى اللغوي للناصية على أئها (قصاص الشعر) الذي وجده فيما وقع بيده من المعجمات والكتب اللغوية، وربما وجد ضالته في إشارات وجدت في لسان العرب، إذ قيل إن: «الناصية عند العرب مَنبَتُ الشعر في مقدّم الرأس لا الشعرُ الذي تسميه العامة الناصية وسمي الشعر ناصية لنباته من ذلك الموضوع»^(١)، وكذلك قول الفيومي (ت ٧٧٠هـ): «وتسميتهم كل موضع باسم يخصه كالصريح في أن الناصية مقدم

الرأس ... ومن كلامهم: جزّ ناصيته وأخذ بناصيته، ومعلوم أنه لا يتقدر»^(٢)، إذن الضابط فيها المشاهدة؛ لذا فإن الباحث يُرجح أنّ الناصية أوسع من أن تحدّ بقصاص الشعر أو مقدمته، وإلا كيف تحدّ عند غير المشعر، وكيف يؤخذ بالنواصي، وكيف تكون كاذبة خاطئة في قوله تعالى:

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾^(٣).

ولكن لو أخذنا التوسع ودققنا في دواعي الاستعمال على قصدية الظاهر والباطن لكان فهم النصوص يسيراً؛ إذ إنّ الناصية هي الجهة العليا للوجه ظاهراً، أمّا باطناً فإن مركز التعقل والإدراك في باطنها، كما يتضح من (الشكل ٢)، وبذلك تكون وسيلة التفكير، فكأنّها دلّت على حقيقة الإنسان^(٤)، وهذا لا

(١) لسان العرب: ٣٢٧/١٥.

(٢) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (ت ٧٧٠هـ): ٢٣٣.

(٣) العلق: ١٥، ١٦.

(٤) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن، حسن مصطفى: ١٦٥/١٢.

٤٢ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة
يتعارض مع الأصل، ففي المثال الأول والثاني للإمام المشفوع بالاعتباس القرآني
يمكن أن يكون الأخذ مادياً أو معنوياً في كلا النصين^(١).



(الشكل ٢) يوضح موقع الناصية

وقد أثبتت بعض بحوث الإعجاز العلمي صحة هذا الرأي، إذ ذكر أن قشرة
الفص الجبهي للدماغ أو الناصية هي المختصة بالتحكم في القيام بعمل ما، وهي
التي تتحكم بسلوك الإنسان^(٢)؛ إذ أثبت عدد من العلماء في جامعة بنسلفانيا بالمشح
المغناطيسي الوظيفي للدماغ أن المنطقة الأمامية من الدماغ أو منطقة الناصية هي
المسؤولة عن الكذب والصدق في الدماغ أيضاً^(٣)، و(الشكل ٢)^(٤) يبين موقع
الناصية بوضوح.

أما لفظ القتير فقد وظّفه الإمام (عليه السلام) في قوله:

(١) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٤٧٠.

(٢) ينظر: الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ، دراسة إعجازية لسورة العلق، د. محمد يوسف

سكر، بحث منشور بموقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي. www-cajaz-org.

(٣) ينظر: ناصيتي بيدك: عبد الدائم الكحيل، بحث منشور في موقع www-kaheel-com.

(٤) موقع عبد الدائم الكحيل، على الشبكة العنكبوتية www-kaheel-com.

«أَيُّهَا الْيَفْنُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ».

لتوجيه السؤال إلى من وصل إلى مرحلة الشيخوخة وبانت علاماتها عليه في سياق الترهيب من نار جهنم، واللَّهْزُ: الضَّرْبُ، ويقولون: لَهَزَهُ الْقَتِيرُ: فَشَا فِيهِ^(١)، ولتأكيد ذلك استعمل لِيُحَدِّثَ الحرف (قد) للتحقيق، وكأنه يخبر بأن الشيب متحقق بعد ذلك وواقع، وسياق الكلام يدل على ذلك؛ إذ ورد اللفظ في سياق يشير إلى تغيير لون الشعر من السواد إلى البياض إيداناً بضيق الوقت والتقدم في العمر؛ لإظهار الضعف عند بلوغ هذه المرحلة، ويمكن ترجمة ذلك على أنه لغة إشارية تداولية الغرض منها التذكير والموعظة، فقد قيل: «يشيب ابن آدم ويشبُّ فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل»^(٢)، وقد يسأل سائل: لم يستعمل لفظ الشيب بدلاً عن القتير؟ ويمكن الإجابة عن ذلك بأنه لِيُحَدِّثَ لو فعل ذلك لانتفى المغزى من الاستعمال، ذلك أن الْقَتِيرُ أَوَّلُ مظهر من الشَّيْبِ يخالط سواد الشعر^(٣)، و«المشيبُ: دخول الرَّجُلِ في حدِّ الشَّيْبِ من الرِّجال ذوي الكِبَرِ والشَّيْبِ»^(٤)، وبذلك لا تتحقق الفائدة من وعضه ونصحته، فالشيب أحد نعوت الشعر وقد يسمى به، والإمام أراد الدلالة الزمنية لبدء الشيخوخة بيزوغ الشيب في الشخص بأكمله بدلالة الفعل (لهز)، وهذا لا يتحقق مع غلبة الشيب ونعت الشعر به.

ويظهر من دراسة لفظ الشعر وما يلحق به من الألفاظ عند الإنسان أنها قد وضعت في نمط للاستعمال استوعب دلالة الاستعلام وما يتعلق به، فالشعر علامة على الحج بإعفائه وعلامة على الفقر بشعثه، والقتير علامة على الكبر وبلوغ الشيب

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/٢١٦. والعين: ٤/١٤.

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي: ٧٠/٢٢.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٥/٧٣.

(٤) مقاييس اللغة: ٣/٢٣٢، وينظر: المفردات في غريب القرآن: ١/٥٦٠.

٤٤ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغِ
بدايةً، والناصية علامة على السيطرة وتسليم الآخر لله وحده، أما السياقات التي
وظفت فيها هذه الألفاظ فهي دينية بحتة، وقد تميز فيها استعمال لفظ الناصية
بالأثر القرآني مطلقاً، سواء أكان لفظياً أم معنوياً.

المبحث الثاني

الألفاظ الدالة على الوجه وما يلحق به

يعدّ وجه الإنسان مرآته وهويته وعنوانه، إذ يرسم صورة كاملة عما يفكر ويشعر به، وقد أثبتت الدراسات أنه يرسم صورة كاملة عما نفكر ونشعر به في داخلنا، وهو وسيلة مهمة لإيحاء بعض الرسائل، كالثقة بالنفس، والتأثير على الآخرين، والتعبير عن إرادة الاتصال... الخ^(١)، ونظراً لما يمتاز به الوجه من أهمية، ولكثرة شواهدة في نهج البلاغة؛ فقد وجد الباحث ضرورة لدراسته بمبحث منفصل يضمّ ألفاظاً لأجزاء من قرص الوجه استعملها الإمام (عليه السلام) في كلامه وهي (الجبهة، الخد، صفحة الوجه^(٢)، الوجه)، وسوف يكون وكّد البحث الكشف عن دلالات هذه الألفاظ ومزايا الاستعمال لهذه الأجزاء، ومن شواهدها التي خصّ بها الإنسان ما يأتي:

- الوجه: ذكره الإمام (عليه السلام) ثمان وأربعين مرة^(٣)، انفرد بنصفها الإنسان، منها

(١) ينظر: أسرار لغة الجسد، ليلي شحرور: ٢٢٤.

(٢) الصفحة لا تكون جزءاً من الوجه إلا بكونها مضافة له، وقد ذُكرت مرة في شاهد مع اللفظ الدال على الوجه، وأخرى مطلقة في نهج البلاغة.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ١/١٨٠، خ ٨٨، ١/٢٨١، خ ١٢٠، ١/٢٩٩، خ ١٢٨، ١/٣٢٩، خ ١٤٤، ١/٣٥١، خ ١٠٨، ١/٣٥٤، خ ١٥٣، ١/٤٠٨، خ ١٧٣، ١/٤٢٥، خ ١٨٠، ١/٤٢٥، خ ١٨٠، ١/٤٢٥، خ ١٨٠، ١/٢٦٣، خ ١١٢، ١/٤٥٨، خ ١٩٠، ٢/١٠٣، خ ٢٣٨، ٢/١٦٧، ك ٢٧، ٢/٢٦٧، ك ٢٧، ٢/٣٨٣، ح ٣٣٩، ٢/٣٨٥، ح ٣٥٢، ٢/٢٨٩، ك ٩٧، ٢/٣٥٢، ح ١٩٦، ٢/٣٨، خ ٢١٦، ٢/٣٨٣، ح ٣٣٩، ٢/٣٨٥، ح ٣٥٢.

قوله يحذر من الدنيا:

«مَا بِالْكُمِّ ... يُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمُ؛ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ...»^(١).

وقوله عليه السلام في حكمة له:

«مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ»^(٢).

- الجبهة: ذكرت أربع مرات في كلام الإمام عليه السلام^(٣)، منها قوله قاصداً به أهل

الكوفة بكتابه:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَةَ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ...»^(٤).

وقوله عليه السلام يحمد الله:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ... هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِإِلَاحِ أَجَلٍ، خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَدَتْهُ الشِّفَاهُ، حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبَهَاتِهَا...»^(٥).

- الخلد: ورد ذكره ثمان مرات^(٦)، منها قول الإمام عليه السلام في عهد له كتبه للأشتر

التَّخَعِّي (رحمه الله) لما ولاه على مصر وأعمالها:

٤٨/٢، ٢١٩/٢، ٥٠/٢، ٢٢٠/٢، ٦٨/٢، ٢٣١/٢، ٩٦/٢، ٢٣٨.

(١) المصدر نفسه: ١/٢٦٣، خ ١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٣١٢، ح ٢٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/٢١٨، خ ٩٦، ١/٤٤٥، خ ١٨٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢/١٢٧، ك ١.

(٥) نهج البلاغة: ١/٣٨٥، ١٦٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١/١٣٦، خ ٦٨، ١/١٦٣، خ ٨٢، ٢/٨٨، خ ٢٣٧، ٢/٦٨، خ ٢٣١،

٢/٩٦، خ ٢٣٨، ١/١٣٦، خ ٦٨.

«فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ...»^(١).

وقوله ﷺ في أصحاب رسول الله:

«لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه)، فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا؛ قَدْ بَاتُوا سُجْدًا وَقِيَامًا، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ...»^(٢).

ولمعرفة دلالات هذه الألفاظ لابد من تقصي المعنى اللغوي لها، فالوجه منها من الجذر (وج ه) وله «أصلٌ واحد يدلُّ على مقابلةٍ لشيء، والوجه مستقبلٌ لكلِّ شيء، يقال وَجَهَ الرَّجُلِ وَغَيْرَهُ، وَرَبَّما عُبِّرَ عن الذات بِالوَجْهِ»^(٣)، وفي خلق الإنسان للأصمعي جاء «الوجه يقال لجماعته المحيًّا يقال فلان جميل المحيًّا، فأعلاه قصاص الشعر وهو منتهى منبت الشعر من مقدم الرأس ومن مؤخره»^(٤)، وعلى ذلك فهو مشتمل على أجزاء كثيرة ووظائف أكثر استمد منها الإنسان الأول أكثر من ألفاظ لغته المنطوقة والصامته التي نقف عند بعضها اليوم عاكفين على دراستها.

أمَّا الجبهة فقد حددها الخليل بـ «مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية...»^(٥)، وهي من الجذر (ج ب ه) عبَّر عنه ابن فارس بأنه «كلمةٌ واحدة، ثمَّ يشبَّه بها، فالجبهة: الخيلُ. والجبَّهة من الناس: الجماعةُ، والجبَّهة: كوكبٌ... ومن الباب قولهم جَبَّهْنَا المَاءَ إِذَا وَرَدْنَاهُ وَليست عليه قامَةٌ ولا أداة، وهذا من الباب؛ لأنَّهم

(١) المصدر نفسه: ٢/ ٢٧٥، ك٥٣.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢١٨، خ ٩٦.

(٣) مقاييس اللغة: ٦/ ٨٨.

(٤) خلق الإنسان: الاصمعي، ١٨٧. وخلق الإنسان: ثابت، ٩٨، وخلق الإنسان: الزجاج، ٤٤.

(٥) العين: ٣/ ٣٩٥.

٤٨ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

قَابَلُوهُ...»^(١)، وقال ثابت الجبهة من الإنسان «موضع السجود، وإذا رأيت في الجبهة كسوراً فقلتك غضونها، وهي أسرَّتْها، فإذا ضخمت جبهة الرجل قيل: رجلٌ أجبه، والجبهة يكتنفها الجبينان^(٢) من جانبيها»^(٣)، وما يلحظ أن ابن فارس لم يذكر الجبهة بالمعنى الذي ذكره الخليل أو ما زيد على ذلك في خلق الإنسان، على الرغم من ورودها بحقيقة اللفظ في قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ﴾^(٤).

فالجبهة أول جزء من الإنسان يعلو وجهه، ويتلو ذكره في نهج البلاغة الخدّ. وقد حدده الخليل «من لدن المحجر إلى اللحي من الجانبين»^(٥)، وأصله من الجذر (خ د د) وله «أصلٌ واحدٌ، وهو تأسُّلُ الشَّيْءِ وامتداده إلى السُّفْلِ، فمن ذلك الخدُّ خدَّ الإنسان، وبه سُمِّيَتِ المِخْدَةُ... والتخدُّد: تخدُّد اللّحم من الهزّال»^(٦)، وقيل «الخدان جانبنا الوجه، وهما ما جاور مؤخَّر العين إلى منتهى الشدق»^(٧)، وهو من أكبر أجزاء الوجه الظاهرة المكونة لقرصه، ويرتبط كل من الجبهة والخدّ مع الوجه بعلاقة الجزء من الكل.

وكانت طبيعة الاستعمال للفظ الوجه مختلفة عند الإمام، فهي تدور في بعضها

(١) مقاييس اللغة: ١/ ٥٠٣.

(٢) ذكر الرضي في نهج البلاغة وصف جبين الإمام مرة واحدة في تقديمه لخطبة رقم (١٨٣) بحسب تسلسل محمد أبي الفضل.

(٣) ينظر: خلق الإنسان: ثابت، ١٠٠-٩٩.

(٤) التوبة: من الآية ٣٥.

(٥) العين: ١٣٨/٤.

(٦) مقاييس اللغة: ٢/ ١٤٩.

(٧) ينظر: المخصص: ١/ ٩٠، والمفردات في غريب القرآن: ١/ ١٣٨.

الفصل الأول: المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على الوجه وما يلحق به ٤٩

على ما يتتابه وما يبدو عليه من أحوال يمكن معرفتها من باب مقابلة وجه الإنسان ومن أمثلتها: الوجه الفرح^(١)، والوجه الودود^(٢)، والوجه المتقلب^(٣)، والوجه الكريم^(٤)، والوجه العابس^(٥)، والوجه الذليل^(٦)، والوجه المتلون^(٧)... ونحو ذلك، فهذا اللوح الحساس الذي تنطبع عليه مشاعر الإنسان وأحاسيسه وترجم على شكل علامات تبعث برسائل كاشفة عن باطن المرء^(٨)، وهذا ما يدرج تحت مسمى لغة الجسد، أو اللغة الصامتة اليوم، وهي من الدراسات الحديثة في عصرنا، لكننا وجدنا أمير المؤمنين عليه السلام قد ساق لها كثيراً من الشواهد في نهج البلاغة قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فاستعمل عليه السلام الوجه من بين الأجزاء الأخر كمرآة تعرض هذه اللغة، فهو القائل في النص الأول للوجه: «حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ»، وكلام الإمام فيه تصريح لا تلميح بأن الوجه تظهر عليه سيئات ما يدور في خلجات النفس الإنسانية، فتعبيرات الوجه أحياناً تغني عن الكلام^(٩)، إذ إن أعضاءه تكون نظاماً متكاملماً يسهم كل منها في تكوين المظهر الكلي للوجه الذي تؤدي تعابيره دوراً مهماً بوصفها مصدراً للبيانات المتعلقة بالحالات الانفعالية للإنسان، كالفرح والحزن والخوف والغضب... ونحو ذلك^(١٠)، فالصورة تصبح أكثر فعالية عندما

(١) ينظر: نهج البلاغة: ٢/ ٣٨٣، ح ٣٣٩

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٦٧، ك ٢٧

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٥٤، خ ١٥٣

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٥٠، خ ٢٢٠، ٢/ ٣٨٥، ح ٣٥٢

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٣٨، خ ٢١٦

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٢٥، خ ١٨٠

(٧) ينظر: المصدر نفسه هج البلاغة: ٢/ ٤٨، خ ٢١٩، ١/ ٢٨١، خ ١٢٠

(٨) ينظر: أسرار لغة الجسد: ٢٢٤.

(٩) ينظر: لغة الجسد في القرآن الكريم، أسامة جميل عبد الغني ربايعه، (رسالة ماجستير): ٢٠.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٤٦.

٥٠ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

نأخذ الوجه بكامله؛ إذ تُتّرج كل الإشارات معاً لتحديد مواقف الآخرين وأفكارهم وما يجول في خاطرهم عند مراقبة الجزء الذي يقوم بهذه الإيماءات^(١)، مثل الوجه في النص أعلاه، قال تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَعَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وما جاء في الآية الكريمة يؤيد بيان علامات ما يخفي الإنسان على الوجه سواء أكان ذلك بأثر ظاهر أم باطن.

أما النص الآخر فيتجلى فيه استعمال الوجه بوصفه وسيلة تخاطب في فكر الإمام إذ يقول عليه السلام:

«مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ».

وصفحات جمع صفحة^(٣)، و«صَحِيفَةُ الْوَجْهِ، بَشْرَتُهُ وَمَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ مِنْهُ»^(٤)، وجاء استعمالها متعلقاً بالإضمار في النص، والذي دلّ على الصراع القائم في نفس الإنسان بين اللغة المنطوقة وغير المنطوقة؛ لذا يستعمل بعض الناس الوجه في مثل هذه الأحوال بوصفه قناعاً اجتماعياً لإخفاء بعض العواطف أو حينما يجدون

(١) ينظر: أسرار لغة الجسد: ١٩.

(٢) الفتح: من الآية ٢٩.

(٣) استعمل الإمام صيغة أخرى لجمع صفحة في قوله «يَرِضُدُونَكُمْ بِكُلِّ مَرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ».

(٤) المخصص: ٨٩/١، وينظر: لسان العرب: ٥١٢/٢.

الفصل الأول: المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على الوجه وما يلحق به..... ٥١

أنفسهم في حالة اجتماعية مربكة أو غير ملائمة^(١)، وفي مثل هذه الأحوال يجب أن يُستلهم معنى الخطاب من الخارج ليكتسب قيمة رمزية تنبع من التجارب الفردية والإيحاء ما يتطلب حضور أطراف الخطاب حضوراً عينياً^(٢)؛ لأن حضور طرفيه أصل فيه، فقد قيل إنّ للحقائق ثقلاً يقع عبئها على القلوب، وكلّما كان السرّ أستر كان على القلب أثقل، فيضيق ويضغط حتى يتخلّل روح الإنسان، فيظهر على صفحة الوجه نتيجة الوجدان الباطني الذي هو من أثر الأسرار الكامنة في القلب^(٣)، إذ إنّ معظم عضلات الوجه تقوم بوظيفة إظهار الانفعالات التي تظهر على الوجه؛ لذا فعند تلف التجهيز العصبي لهذه العضلات من جرّاء الأمراض يفقد الوجه قابلية التعبير عن الانفعالات التي تظهر عليه^(٤)، وعلم الفراسة اختص بلغة الجسد إذ يقوم بالانتباه على الملامح المرئية للوجه فقد قال أحد الباحثين: «لم تعط الطبيعة الإنسان الصوت واللسان فحسب ليستخدمها وسيلة للتعبير عن أفكاره ومشاعره ومكونات نفسه، بل استنطقت حتى جبهته وعينه لكي تكذّبه إذا حاول الغش بصوته ولسانه»^(٥)، فصفحات وجه الإنسان هي الواجهة التي تفصح عن نواياه الأكثر سرّاً^(٦)، وقد أثبتت الدراسات المعمّقة في لغة الجسد أنّ هناك عضلات معينة في الوجه يصعب التحكم بها وهذه العضلات هي المسؤولة عن كشف الكذب والخداع، فتعابير الوجه تُحرّك لا إرادياً تبعاً لغرائز الإنسان^(٧)،

(١) ينظر: أسرار لغة الجسد: ٢٢٥.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٢٥.

(٣) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٤٣/٢١.

(٤) ينظر: علم التشريح: ٢٣٣.

(٥) ينظر: علم الفراسة (قراءة الوجه والأفكار والحاسة السادسة): خليل حنا تادرس: ٩٣، ٩.

(٦) ينظر: السيميائيات مفاهيمها وتحليلاتها، سعيد بنكراد: ١٩١.

(٧) ينظر: أسرار لغة الجسد: ١٧٩-١٨٠.

٥٢ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

لذا يمثل استعمال الوجه وصفحته في قول الإمام المذكور أعلاه حكمة يستنار بها في الدراسات اللسانية، ووسيلة دالة للكشف عن الصدق والكذب بوساطة اللغة الصامتة والمنطوقة، والعلاقة بينهما؛ لأنَّ الخطاب قد ينتج بعلامات غير لغوية ما يفترض معرفة شروط إنتاجه وظروفه^(١)، إذن توظيف صفحة الوجه في قول الإمام أُريد منه الدلالة على ظهور المعنى على صفحة الوجه، وبعد هذا لم يبق لنا إلا أن نكرر قول ابن فارس بأن لصفحة الوجه «أصلٌ يدلُّ على عَرَضٍ وَعَرَضٌ»^(٢)؛ فقد استعملها الإمام عليه السلام على أنها مرآة عرض؛ لما يظهر عليها من العلامات غير اللغوية؛ لاشتمالها على أغلب أجزاء الوجه، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الإمام استعمل الوجه لدلالات أُخر متعلقة بما يواجهه به أو يواجهه وإن الفروع الدلالية المذكورة في النهج كلها نابعة عن هذا الأصل وترتبط به بعلاقات متباينة ذكر بعضها وهناك أُخر في نصوص كثيرة^(٣) لا يسعنا ذكرها هنا.

وقد كان توظيف الجبهة في نهج البلاغة باستعمالين مختلفين، الأول منها جاء في

الشاهد الأول، وهو قوله عليه السلام:

«جَبْهَةُ الْأَنْصَارِ وَسَنَامُ الْعَرَبِ».

وقد قصد الإمام بها أهل الكوفة بكتاب له، فكلمة الجبهة في النص أراد بها عليه السلام سادة القوم وأعيانهم، وهذا يوافق ما ذكره ابن فارس في تسمية أعيان الناس

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٩.

(٢) مقاييس اللغة، ٣/٢٩٣.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال لا الحصر: ١/٣٥١، خ ١٠٨، ١/٤٥٨، خ ١٩٠، ٢/٢٨٩، ك ٩٧، ١/٢٩٩، خ ١٢٨، ٢/٣٥٢، ح ١٩٦، ١/٤٢٥، خ ١٨٠، ٢/٣٨٣، ح ٣٣٩، ٢/١٦٧، ك ٢٧، ١/٣٥٤، خ ١٥٣، ٢/٥٠، خ ٢٢٠، ٢/٣٨٥، ح ٣٥٢، ٢/٣٨، خ ٢١٦، ١/٤٢٥، خ ١٨٠، ٢/٤٨، خ ٢١٩، ١/٢٨١، خ ١٢٠...

الفصل الأول: المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على الوجه وما يلحق به ٥٣
 بالجبهة وتسميتهم بذلك كتسميتهم بالوجه^(١)، لعلو شأنهم، وجاء في لسان
 العرب ما يؤكد ذلك إذ قيل أن الجبهة: هم الرجال الذين يسعون في حمالة أو مغرم
 أو جبر فقير فلا يأتون أحداً إلا استحيا من ردهم، وقيل لا يكاد أحد يردهم،
 فتقول العرب في الرجل الذي يُعطي في مثل هذه الحقوق: رحم الله فلاناً فقد كان
 يُعطي في الجبهة^(٢)، وهذا الاستعمال من باب التوسّع في دلالة اللفظ؛ إذ لم يظهر في
 معجمات عصر التدوين.

أما الاستعمال الآخر لجبهة الإنسان فتتضمني تحته حركات ثلاث هي (افتراش
 الجباه على الأرض، وسجودها، وسقوطها لله)، والحركة الأولى والثانية لها لواحق
 جسدية نذكرها في مواضع أخرى من البحث، وأما الثالثة فشاها قول الإمام عليه السلام:
 «خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَدَتْهُ الشِّفَا».

فالجباه جمع للجبهة^(٣)، وخَرَّتْ الجباه أي جباه بني آدم سقطت ساجدة له^(٤)،
 وللفعل خرّ أصل واحد وهو اضطرابٌ وسقوطٌ مع صوت^(٥)، فاستعمال الفعل
 خرّ مع الجباه لا يخلو من أمرين هما: السقوط، وصدور الصوت منهم بالتوحيد،
 فالجبهة تمثل إحدى سمات الاستعلاء عند الإنسان؛ لأنها قمة الوجه الظاهرة،
 وأقرب جزء علوي من الوجه إلى قصاص الشعر، والجبهة موضع السجود الذي
 ترتبط به ممارسة دينية صوتية مصاحبة لفعله، أكدها ذكر توحيد الشفاه لله بعد
 عبارة (خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ)، فضلاً عن التمهيد لذلك بالحمد والثناء لله قبلها كي

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٥٠٣/١١.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٤٨٤/١٣.

(٣) ينظر: المخصص: ٧٦/١.

(٤) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٢/١٠.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ١٤٩/٢.

يتحقق الاضطراب، ونجد في القرآن الكريم أصلاً لهذا المنوال في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٦).

فقد أراد عليه السلام من استعمال هذه الهيئة الجسدية دلالة العبودية المرافقة لفعل السجود لله الذي يقصده صاحب الحركة لا غير، ويلحظ في استعمال الإمام لهذا الجزء من الوجه في الشواهد الأخر^(٧) ارتباطه بحركة الإنسان وحال من أحواله يدل على العبادة والتقديس من جهة أو الخوف والذل من جهة أخرى؛ لأن هذه الحركة تارة تكون تعبدية وتارة أخرى خدمية؛ لارتباطها بمقدمة أعلى وجه الإنسان وشرفها. ويبدو أن الجبهة ليست هي الوحيدة التي استعملها الإمام لأغراض عبادية، فإذا ما توجهنا بالنظر إلى أسفل الجبهة نجد جزءاً ارتبطت به نظارة الإنسان وهو الخد، وقد جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام بمفرده ومثناه وجمعه، ومن المفرد قوله عليه السلام في النص الأول للخد:

«وَلَا تُصَعِّرُ خَدَّكَ لَهُمْ».

وهذه العبارة من عهد له كتبه للأشتر النخعي (رحمه الله) لما ولاه على مصر وأعمالها ومن دون شك فإن عبارة (وَلَا تُصَعِّرُ خَدَّكَ) وقعاً بالغ التأثير في نفس المتلقي؛ لما فيها من مفهوم قرآني يرتبط بقوله تعالى:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٨).

فتصعّر الخد في النهج يعدّ اقتباساً قرآنياً لفظياً، وأصل هذا من الصعر وهو داء

(٦) السجدة: ١٥.

(٧) ينظر: نهج البلاغة: ١/٢١٨، خ ٩٦. و١/٤٤٥، خ ١٨٦.

(٨) لقمان: من الآية ١٨.

الفصل الأول: المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على الوجه وما يلحق به ٥٥
يأخذ الإبل تلوي منها أعناقها فليل هكذا للمتكبر من باب الكناية؛ لأنه يلوي عنقه تكبراً ولا داء به^(١)، وهو في الإنسان ميل في العنق، وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين، مع إمالة الخد عند النظر إلى الناس تهاوناً من كبر وعظمة، وإعراضاً عن الناس^(٢)، إذن فالإمام قصد من الخد جهته وشيئاً معنوياً موصوفاً به وهو اللين وامتياز به؛ لذلك يقال: خد أسيل: سهل لين^(٣).

أما من جهة استعمال الخد للعبادة فيوضحه الشاهد الثاني، ومنه نقرأ قوله ﷺ:
«قَدْ بَاتُوا سُجْدًا وَقِيَامًا، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ».

وفي هذا الكلام يوظف الإمام حالاً من أحوال الخد في ممارسة عبادية، فالمرأوحة بين العملين: أن يعمل هذا مرة، وهذا مرة، وبين جباههم وخدودهم أن يضعوا الخدود على الأرض بعد الصلاة مرة ويسجدون على الجباه أخرى دلالة على الخضوع والتذلل لله سبحانه^(٤)، ويأتي ارتباط الخد بهذه الدلالة؛ ليمثل عظمة إنسانية فذة نابعة من أنبل عواطف الإنسانية القادرة على إنتاج أقوى الروابط الدينية بين الرسول وأصحابه على الإطلاق^(٥)؛ إذ يبدو أن الإمام ﷺ قد استعمل مزيته الخد المكانية وثنائيته في الوجه لتحديد دلالاته^(٦)، فهو يمثل عارضة لوجه الإنسان بجانيه؛ لذا ارتبط بدلالة الإمالة، وعلاقتها بمفاهيم الخضوع والخشوع... ونحو ذلك.

(١) ينظر: معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، ٥ / ٢٨٧.

(٢) ينظر: العين: ١ / ٢٩٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٧ / ٣٠١.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: تح: فارس الحسون، ١٨٦، والزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ): ٢ / ١١٦.

(٥) ينظر: في رحاب نهج البلاغة، مرتضى المطهري: ١٤٤.

(٦) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: نهج البلاغة: ١ / ١٣٦، خ ٦٨، ١ / ١٦٣، خ ٨٢، ٢ / ٨٨، خ ٢٣٧، ٢ / ٦٨، خ ٢٣١...

٥٦ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ
وبعد بيان ما تيسر من لغة الجسد لبعض أجزاء الوجه في فكر الإمام،
والدلالات الأخر المتعلقة به، يبدو للباحث أنّ الوجه بكامل أجزائه به حاجة إلى
دراسة مستقلة؛ لما يحمله من غوامض سيميائية وأبعاد دلالية في كلام الإمام عليه السلام،
وقد جاءت أغلب شواهد الألفاظ الدالة على وجه الإنسان وأجزائه في سياقات
الوعظ والعبادة، وورد لفظ الوجه بما يمثل دلالة مايجول في خاطر الإنسان ويعبر
عن هويته الداخلية في بعض الشواهد، وارتبطت بعض أجزائه بحركات أو أحوال
لها دلالات تعبدية مثل الجبهة، وارتبط الخدّ بدلالة الخضوع والخشوع؛ لما يصاحب
هذا الجزء من حركات وإشارات مرمزة في وجه الإنسان نتيجة علاقاته بأجزاء
الجسم الأخر.

المبحث الثالث

الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها

العين نافذة الإنسان على ما يحيط به؛ إذ إنّ الاتصال بالعين يزوده بمعلومات عدّة منها ما كان معرفياً أو عاطفياً... الخ؛ لأنّ إشارة العين جزء مهم وحيوي في قراءة تصرفات الشخص وأفكاره على أساس النظر بالعين؛ لارتباط حركة العين بالتفكير الشخصي، وقد انشغل القدماء عبر التاريخ بأسرار الأعين وتأثيرها في تصرفات الإنسان، فيصف ابن حزم (ت ٦٥٤هـ) الثراء الدلالي للعين بقوله: «الإشارة بمؤخر العين الواحدة نهى عن الأمر وتفتيرها إعلام بالقبول، وإدامة نظرها دليل على التوجع والأسف، وكسر نظرها آية الفرج، والإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد، وقلب الحدقة إلى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار إليه، والإشارة بمؤخر العينين سؤال، وقلب الحدقة من وسط العين إلى المآقي بسرعة، شاهد المنع، وترعيد الحدقتين من من وسط العين نهى عام...»^(١)، وإذا دققنا النظر في المتن المدروس (تهج البلاغة) لاحظنا عناية الإمام بالعين وألفاظها على الرغم من قدم هذه المدونة، وظهر ذلك في اشتغالها على عدد كبير من الألفاظ الدالة على العين وأجزاء كثيرة منها، وهي: (الجفن، الطرف، اللحاظ^(٢)، المقلة، الحدقة،

(١) طوق الحمامة في الألفة والألف، محمد بن علي بن حزم الأندلسي: (ت ٤٥٦هـ): ٢٩.

(٢) لم يذكر الإمام هذا الجزء بالبنية المذكورة، ولكن من مصاديق اهتمام الإمام ﷺ بهذا اللفظ ذكره بمشتقات من لفظ اللحاظ، دالة عليه وعلى فعله، ومن ذلك (اللحظة، ولأحظاً) في قوله ﷺ عن

الناظر، الأبصار، الدمع^(١)، الشؤون^(٢)، فضلاً عن كثرة استعمال النظر ومشتقاته، والبصر ومشتقاته؛ لذا سيكون هدف البحث الكشف عن الدلالات الكامنة وراء استعمال هذه الألفاظ بتوفيقه تعالى، أما عن طبيعة دراسة هذه الألفاظ فستكون على شكل ثلاث مجموعات حُصِّصَ بها الإنسان، هي:

المجموعة الأولى:

تتضمن الألفاظ الدالة على العين وملحقاتها الظاهرة، وهي (العين، الجفن، والطرّف)، ومن شواهدنا:

خلق الإنسان: «ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا، وَلِسَانًا لَافِظًا، وَبَصْرًا لَاحِظًا، لِيَقْتَفَهُمْ مُعْتَبِرًا...» (١/ ١٦٦)، (٨٢)، إذ يأتي لفظ (لَاحِظًا) صفة للبصر ضمن سلسلة من النعم التي أعطاها الله للإنسان إذ أعطاه عقلاً ونطقاً ونظراً، وفي نص آخر يدعو الله بالغفران للفعل من اللَّحْظِ بقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَحْظِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ، وَسَهَوَاتِ الْجُنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللَّسَانِ»، (١/ ١٤٦)، (٧٧)، واللَّحْظُ هو النظر بشقِّ العين الذي يلي الصدغ والأحظ جمع لحظ العين، وهذا ما ورد في جل الشروح، وفي المعجم لم يعرف له جمعٌ إلا (لَحُظٌ) بضميتين.

(١) ورد لفظ الدمع أربع مرات في كلام الإمام ﷺ، ومنها كلامه عن المنافقين: «...لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ»، (١/ ٤٥٠، خ ١٨٧)، وقوله ﷺ: «وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضُّ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقُ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ»، (١/ ٨٨، خ ٣٢)، إلا أنه ليس من ملحقات العين الثابتة، فهو كالعرق الخارج من جسم الإنسان يخرج في أوقات محددة، فهو اسم للسائل من العين، حتى أن الإمام استعمل الدمع لدلالاتٍ ارتبطت بأسباب خروجه لا بمعنى الدمع في اللغة، وكان لابد لهذا الماء من طالب، وهي الشؤون.

(٢) ورد هذا اللفظ مرة واحدة في قول الإمام ﷺ عندما كان يتولى غسل رسول الله وتجهيزه: «وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتِ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتِ عَنِ الْجُرْعِ، لَأَنْقَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا، وَالْكَمْدُ مُخَالِفًا...»، (٢/ ٩٣، خ ٢٣٠) والشؤون هي ما بين قبائل الرأس، الواحد شؤن، وإنما سميت بذلك لأنها مجاري الدمع، كأنَّ الدَّمْعَ يَطْلُبُهَا وَيَجْعَلُهَا لِنَفْسِهِ مَسِيلًا» (مقاييس اللغة: ٣/ ٢٣٨)، ودلالاتها ارتبطت بالدمع، كارتباط عملها؛ لذا سنعرض عن تحليل شواهدنا، كونها ليس من ثوابت الجسم.

- العَيْن: وردت اثنتين وستين مرة^(١)، ومنها قول الإمام عليه السلام في الحديث عن خلق الله:

«أَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفُسَهُمْ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، وَمُسْتَقْرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ»^(٢).

وقوله عليه السلام في ذكر أصحاب النبي:

«لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ... يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جَبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ؛ كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ؛ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبَلَّ جُيُوبَهُمْ...»^(٣).

(١) ينظر: نهج البلاغة: ١/١٩، خ ١، ١/٣٦٨، خ ١٥٨، ١/٣٤، خ ٣، ١/٤٣٢، خ ١٨٣، ١/٢٥٣، خ ٢٣٨، ٢/٩٧، خ ٢٣٨، ١/٤٢، خ ٧، ١/١٨٣، خ ١٨٠، ١/٤٤١، خ ١٨٤، ٢/٧٠، خ ٢٣٢، ٢/٢٢٨، ك ٤٥٥، ٢/٣٤٨، ح ١٧١، ٢/٤٦، خ ٢٨١، ١/٣٢٠، خ ١٣٨، ١/٣٧٥، خ ١٦١، ١/٤٤٥، خ ١٨٦، ٢/٣٠٨، ح ٧، ١/٣٧٧، خ ١٦١، ١/٤٤٤، خ ١٨٦، ٢/١٨٩، خ ٣٢، ١/٤٢٥، خ ١٨٠، ١/٦٦، خ ١٩٢، ١/٤٤٦، خ ١٨٦، ١/١١٧، خ ٥٢، ١/٩٢، خ ٣٤، ١/٤٤٤، خ ١٨٦، ٢/٣٧٢، خ ٢٨٢، ١/١٨٣، خ ١٨٩، ١/٣٠٦، خ ١٣٢، ٢/٨٢، خ ٢٣٦، ١/٣٠، خ ٣، ١/٢٤٧، خ ١٠٨، ١/٢٤٩، خ ١٠٨، ١/٢٤٩، خ ١٠٨، ٢/٣٩، خ ٢١٦، ٢/٤٤، خ ٢١٧، ١/١١٣، خ ٤٩، ٢/٩٢، خ ٢٣٨، ١/٤٥٢، خ ١٨٨، ١/٣٥٩، خ ١٥٥، ١/٢٤٧، خ ١٠٨، ١/٢٨١، خ ١٢٠، ١/١٣٧، خ ٦٩، ١/٣٧٧، خ ١٦١، ٢/٢٥، خ ٢١٠، ٢/٢٢٢، ك ٤٥٥، ٢/١٤٣، ك ١١، ٢/٢٠٤، ك ٣٣، ٢/٢٥٢، ك ٥٣، ٢/٢٥٢، ك ٥٣، ٢/٢٧٥، ك ٥٣، ٢/٢٤٩، ك ٥٣، ٢/٢٧٧، ك ٤٥، ٢/٢٦٣، ك ٥٣، ٢/٣٧٣، ح ٢٨٧، ٢/٣٥٩، ح ٢٣٣، ٢/٣٧٥، ح ٢٩٥، ٢/٣٧٥، ح ٢٩٥، ٢/٣٨٩، ح ٣٧٣.

(٢) المصدر نفسه: ١/٣٠٦، خ ١٣٢.

(٣) المصدر نفسه: ١/٢١٨، خ ٩٦.

٦٠ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

- الْجَفْنُ: جاء ذكره مرة واحدة في قول الإمام عليه السلام عن قدرة الله:

«عَالِمُ السَّرِّ مِنْ صَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ... وَمَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ، وَمَا صَمِنَتْهُ
أَكُنَانُ الْقُلُوبِ، وَغِيَابَاتُ الْغُيُوبِ...»^(١).

- الطَّرْفُ: ورد ذكره سبع مرات^(٢)، ومنها قول الإمام عليه السلام يخاطب العباد

ويصف حالهم في الدنيا:

«اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ
غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا»^(٣).

وقوله عليه السلام عن الإنسان عند الموت:

«فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ يُرَدُّ طَرْفَهُ بِالنَّظْرِ فِي
وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ رَجَعَ كَلَامِهِمْ»^(٤).

أما معنى هذه الألفاظ في اللغة، فإن العين منها هي «العين الناظرة لكل ذي
بصر»^(٥)، وهي للإنسان وغيره، والأصل اللغوي لها يشير إلى «أصل واحد صحيح
يدلُّ على عضو به يُبْصَرُ ويُنْظَرُ، ثم يشتقُّ منه، والأصل في جميعه ما ذكرنا»^(٦)،
والجمع عيون وأعيان وأعين وأعينات والأخيرة جمع الجمع والكثير عُيون^(٧)،
أما الجفن فهو مشتق من الجذر (ج ف ن) وله «أصل واحد، وهو شيء يُطِيفُ

(١) المصدر نفسه: ١/٢٠٣، خ ٩٠.

(٢) (٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/٣٧٤، خ ١٦٢، ١/٢٣٥، خ ١٠٤، ١/٤٤٤، خ ١٨٦، ١/٤٢٣،
خ ١٧٩، ٢/٤٦، خ ٢١٨.

(٣) المصدر نفسه: ١/٣٠١، خ ١٢٩.

(٤) نهج البلاغة: ١/٢٥١، خ ١٠٨.

(٥) العين: ٢/٢٥٤، وينظر: خلق الإنسان: ثابت، ١٠٦.

(٦) مقاييس اللغة: ٤/١٩٩.

(٧) ينظر: لسان العرب: ١٣/٢٩٨.

الفصل الأول: المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها ٦١

بشيء ويَحْوِيه، فالجفنُ جَفْنُ العين»^(١)، الذي هو غطاءُ العين من أعلى وأسفل، والجمع أَجْفُنٌ وَأَجْفَانٌ وَجُفُونٌ^(٢)، وفي خلق الإنسان قيل أنه: «غطاء المقلة من أعلى وأسفل، والواحد جفن، وجماع لحم الأَجْفَانِ يقال له اللخص»^(٣)، ومن ألفاظ ما تعلق بحدود العين الطَّرْفُ، وهو من الجذر (ط ر ف) وله «أصلان: فالأوّل يدلُّ على حدِّ الشيء وحرفه، والثاني يدلُّ على حركةٍ في بعض الأعضاء، فالأوّل طَّرْفُ الشيء... ومن الباب: الطَّوَارِفُ من الحَبَاءِ، وهي ما رفعت من جوانبه لتنظر... وأمّا الأصل الآخر فالطَّرْفُ، وهو تحريك الجفون في النَّظَر. هذا هو الأصل ثم يسمون العين الطَّرْفَ مجازاً»^(٤)، ويعلل الراغب هذه التسمية بقوله «وطرف العين: جفنه، والطرف: تحريك الجفن، وعبر به عن النظر إذا كان تحريك الجفن لازمه النظر»^(٥)، وهذا لا يبتعد عن قول ثابت في خلق الإنسان: «وفي العين الطَّرْفُ، وهي تحرك الأشْفَارِ، يقال طرفت عينه تطرف طرفاً، والواحدة طَرْفَةٌ»^(٦)، وقد ذكرها الإمام عليه السلام في النهج بقوله:

«لَوْلَا الْأَجْلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةً عَيْنٍ»^(٧).

ويبدو أن تقارب طرف العين مع الجفن هو في معنى الإحاطة لكنه يفترق معه في الغاية من حركته.

(١) مقاييس اللغة: ١/ ٤٦٥.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٣/ ٨٩.

(٣) خلق الإنسان، الأصمعي: ٨٠.

(٤) مقاييس اللغة: ٣/ ٤٤٧.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٢/ ٢٣.

(٦) خلق الإنسان، ثابت: ١١٣.

(٧) نهج البلاغة: ١/ ٤٤٤، خ ١٨٦.

وما ذكره الإمام في هذه المجموعة من الأجزاء كله يقع تحت الاسم الجامع (العين)، والتي تكرر ذكرها في نهج البلاغة خمساً وتسعين مرة، خصّ الإنسان منها باثنين وستين مرة، منها قول الإمام في الشاهد الأول للفظ العين:

«أَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفُسَهُمْ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ».

وكلامه عليه السلام في النص يوضح علم الله جل جلاله بأدق الأشياء وأصغرهما، ومن ذلك خيانة العين^(١)، وقد ورد هذا المفهوم في القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٢).

ويكشف كلام الإمام بوضوح لا لبس فيه قرآنية النهج؛ لأن القرآن هو مصدر ثقافته الأول، وعلى الرغم من الفارق في التعبير والسياق بين النص والآية، فقد أُشير إلى ما تختلسه الأعين من نظرات، وما يضمره الإنسان في نفسه من خير أو شر، فجاءت خيانة العين مقترنة بما تخفي الصدور في النصين؛ لأن الإنسان إذا كفّ لسانه وأشار بعينه فقد خان، فإذا كان ظهور تلك الحال من العين سُميت خائنة العين، وليس المراد بخائنة الأعين كل معصية من معاصيها بل المعاصي التي لا تظهر للغير كمسارقة النظر بدليل ذكرها مع ما تخفي الصدور، أو ما تسره النفس وتستره من وجوه النفاق وهيآت المعاصي^(٣)، وقد أُخرج المصدر على (فاعلة) كقوله تعالى:

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾^(٤).

(١) ورد هذا الاقتباس أيضاً في نص آخر وهو قوله عليه السلام «تَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى، الْبَاطِنُ لِكُلِّ حَقِيَّةٍ، الْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَحُونُ الْعُيُونُ» ١ / ١١٧، خ ٥٢.

(٢) غافر: ١٩.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي: ١٧ / ١٦٥.

(٤) الغاشية: ١١.

الفصل الأول: المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها ٦٣
 أي لَعْوًا ومثله سمعتُ رَاغِيَةَ الإِبِلِ، أي رُغَاؤَهَا، وكل ذلك من كلام العرب^(١)،
 وقد جاءت خائنة على زنة (فاعلة)؛ للدلالة على اسم الآلة، وكأن العين آلة للخيانة
 أحياناً، فخيانة الأعين هي استراق النظر مع طأطأة الرأس، مما يوحي لمن يشاهد
 أنّ هذا الشخص قصد إخفاء محاولته النظرَ إلى ما لا يريد أن يعلمه من يشاهده أنه
 ينظر إليه، وهذه الحركة للجارحة هدفها التستر، وقد جاء التعبير عنها بالخيانة؛
 حتى يوصل للسامع والمتابع شناعة الفعل فيتعد عنه^(٢)، وفي النص الآخر يذكر
 الإمام عليه السلام الأعين مجموعة مرتين بقوله:

«كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ؛ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ
 أَعْيُنُهُمْ».

ودلالة الأولى مكانية لا تخصّ سمات العين ووظائفها؛ فقد جاء استعمالها
 لتحديد علامة تميز بها المتقون من غيرهم، ويبدو ذلك من قرينة الظرف والسياق،
 ويمكن أن يكون ذلك مستوحى من قوله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ
 رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ
 السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ
 فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ
 اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

وأما الثانية فقد جاءت لتوضيح فعل ارتبط بالأعين لكن الإمام عبّر عنه
 بالفعل همل وذلك من باب الكثرة والخشوع، ويمكن أن يكون ذلك مستوحى

(١) ينظر: لسان العرب: ١٣/١٤٤.

(٢) ينظر: لغة الجسد في القرآن الكريم: ٣٣.

(٣) الفتح: من الآية ٢٩.

من قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١).

قال ابن أبي الحديد «وهملت أعينهم سالت تهمل وتهمل، ويروى حتى تبل جباههم أي يبيل موضع السجود فتبتل الجبهة بملاقاته... إما خوفاً من العقاب أو رجاء للثواب»^(٢)، وهذه حال معروفة في النفس البشرية حين يبلغ بها التأثير درجة أعلى من أن يفي بها القول فيفيض الدمع؛ ليؤدي ما لا يؤديه القول وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثير العميق، ولا شك في أن للبكاء تأثيراً ما يفوق أي كلام يمكن أن يقال، وحال خروج الدمع من العين هذه قد أفادت دلالة الصدق والإخلاص بموازاة حركات جسدية تعبدية أخر رافقت صدور الدمع^(٣)، في صورة معبرة للدموع وانسيابها من العين، ولذلك لم يقل الإمام: بَكَتْ أَعْيُنُهُمْ، كقوله في موضع آخر:

«أَسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولَ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطُولَ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ»^(٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أن أكثر ما استعمل لفظ العين في الخطب، وللعين بُنَاهَا المختلفة معانٍ ودلالات مختلفة استعمل الإمام أكثرها في نصوص نهج البلاغة الأخر، فمنها ما دلّ على الجاسوس^(٥)، ومنها ما دلّ على الرؤية^(٦)، ومنها ما دلّ على

(١) الأنفال: ٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٧/٧٨.

(٣) ينظر: لغة الجسد في القرآن الكريم: ٣٠-٣١.

(٤) نهج البلاغة: ٤٤١٢، خ ٢١٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/٣٦٨، خ ١٥٨، ٢/١٤٣، ك ١١، ٢/٢٠٤، ك ٣٣، ٢/٢٥٢، ك ٥٣،

٢/٢٥٢، ك ٥٣، ٢/٢٧٥، ك ٥٣، ٢/٢٦٣، ك ٥٣، ٢/٣٧٣، ح ٢٨٧.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١/٣٤، خ ٣، ١/٤٣٢، خ ١٨٣، ١/٢٥٣، خ ٢٣٨، ٢/٩٧، خ ٢٣٨.

الفصل الأول: المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها ٦٥
النظر بالعين^(١)، ومنها ما دلّ على امتناع النظر^(٢)، ومنها ما دلّ على قلته^(٣)، ومنها ما دلّ على النظر بكبر^(٤)، ومنها ما دلّ على النظر باستصغار^(٥)، ومنها ما دلّ على الإدراك^(٦)، ومنها ما دلّ على قرة العين العين^(٧)، وحركتها^(٨)، وخيانتها^(٩)، وبكائها^(١٠)، ومرضها^(١١)، وعمّاها^(١٢)... وجُلّ المعاني يمكن إرجاعها بالمناسبة إلى ما يصدر من العين من أفعال النظر، والبصر، أو غير ذلك.

ويتجلى معنى الإحاطة في توظيف الإمام عليه السلام للفظ الجفن في نهجه، فقد ذكره بقوله عن قدرة الله:

«عَالِمُ السَّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ... وَمَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ».

وعبارة (مسارق إيماض الجفون) تعنى خفيات إشارة الجفون، أو المراد بالجفون

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٤٢/١، ٧، ١٨٣/١، ١٨٠، ٣٠٦/١، ١٣٢، ٤٤١/١، ١٨٤، ٧٠/٢، ٢٣٢، ٢٢٨/٢، ٤٥، ٣٤٨/٢، ح ١٧١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٦/٢، ٢٨١.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ١/٣٢٠، ١٣٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٥/١، ١٦١، ٤٤٥/١، ١٨٦، ٢٣٠٨، ح ٧، ٣٧٥/٢، ح ٢٩٥، ٣٨٩/٢، ح ٣٧٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٧/١، ١٦١، ٤٤٤/١، ١٨٦، ٨٩/٢، ٣٢، ٢٢٢/٢، ٤٥، ٣٥٩/٢، ح ٢٣٣، ٣٧٥/٢، ح ٢٩٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٤٢٥/١، ١٨٠.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٦٦/١، ١٩٢، ٤٤٦/١، ١٨٦، ٢٤٩/٢، ٥٣، ٢٧٧/٢، ٤٥.

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ١١٧/١، ٥٢، ٩٢/١، ٣٤، ٤٤٤/١، ١٨٦، ٣٧٢/٢، ح ٢٨٢.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٣/١، ٨٩، ٣٠٦/١، ح ١٣٢.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٨/١، ٩٦، ٨٢/٢، ح ٢٣٦.

(١١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠/١، ٣، ٢٤٧/١، ١٠٨، ٢٤٩/١، ١٠٨، ٢٤٩/١، ح ١٠٨، ٣٩/٢، ح ٢١٦، ٤٤/٢، ح ٢١٧.

(١٢) ينظر: المصدر نفسه: ١١٣/١، ٤٩، ٩٢/٢، ح ٢٣٨.

العيون مجازاً وبالمسارق النظرات الخفية للعيون^(١)، والباحث يميل للرأي الثاني؛ لأن حركات الأعين أكثر خفاءً، وملائمة مع فعل الاستراق والوميض وسرعة النظر المقصود، وهذا لا يعني إغفال دور الوحدة الدلالية النواة في العبارة^(٢)، فقد استعمل عليه السلام الجفون لمعنى التحديد والإحاطة وهو أصل فيه؛ لأنه أراد علم الله بحدود تلك النظرات الخفية للأعين حين تومض أي تلمع لمعاً خفيفاً فيبرز لمعانها تارة ويختفي أخرى عند فتح الجفون وطبقها كوميض البرق^(٣)، فكان معنى التحديد للنظرات والإحاطة بها مقتصرأ على الله تعالى، وقد فضل الإمام ذكر الجفون على ذكر العيون؛ لأن السياق يتكلم عن علم الله تعالى بكل مخفي كما يتضح من القرائن (عَالِمُ السِّرِّ مِنْ صَمَائِرِ الْمُصْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَفِتِينَ، وَخَوَاطِرِ رَجَمِ الظُّنُونِ، وَمَا صَمِمْتَهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ، وَعَيَابَاتُ الْغُيُوبِ)، فلو قال: مَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْعُيُونِ؛ لخرجت عن جنس ما قبلها؛ لأن العين جزء ظاهر، فعبر عليه السلام عن خفائها بالجفون.

ويذكر الإمام عليه السلام الجفن بغير لفظه في قوله عن رب العزة والجلال:

«الْحَالِقُ لَا يَمَعْنَى حَرَكَةَ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعُ لَا بِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرُ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدُ لَا بِمِمَّاسَّةٍ، وَالْبَائِنُ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرُ لَا بِرُؤْيَاةٍ...»^(٤).

ويستوقفنا من النص في هذا المقام جملة (الْبَصِيرُ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ) وَالْبَصِيرُ معروف من أسماء الله تعالى «وهو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيتها بغير جارحة، والبَصْرُ عبارة في حقه عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المُبَصِّرَاتِ»^(٥)، أما

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٥٣/٧.

(٢) ينظر: السياق والتأويل، بحث: أحمد حساني: ٦٦.

(٣) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٥٣/٧.

(٤) نهج البلاغة: ١/٣٤٩، خ ١٥٢.

(٥) لسان العرب، ٤/٦٤.

الفصل الأول: المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها ٦٧
نفي فعل التفريق عن الله فيستدعي استحضار ما يحيط بعضو الإبصار، وما يدور
حوله في ذهن المتلقي، وهو جفن العين في الحلقة، وبتفريق الجفنين يحدث الإبصار
ويطابقهما يذهب، قال الإمام في صفة الخفافيش:

«... أَطَبَقَتِ الْأَجْفَانَ^(١) عَلَى مَا قِيَهَا^(٢)».

إذن فالآلة تقابل الجفنين في النص، وهذه من الصور الحسية الظاهرة استعملها
الإمام؛ لتقريب معنى سرعة البصر ودوامه.

أما الطَّرْف فقد ذُكر في نهج البلاغة كثيراً، وقد توخى الباحث في اختيار
الشواهد لهذا اللفظ ما يعبر عن عضو الإبصار لا فعله، وما يخص الإنسان لا غيره،
فوقع ذلك في سبعة نصوص منها قول الإمام عليه السلام المذكور آنفاً:

«اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا...».

والمقصود بِطَرْفِكَ أي: انظر بقدر ما ترى من أطراف الأرض^(٣)، والمراد اضرب
بنظرك؛ لأن الضرب يكون بالنظر لا بالعين بدليل قوله عليه السلام: حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ
فَهَلْ تُبْصِرُ؟؛ فلو قيل: اضرب بعينك، لما تحققت هذه الدلالة، وما يؤكد هذا المعنى
ما أورده ابن منظور إنَّ الطَّرْفُ: هو تحريك الجُفُونِ في النظر؛ لذلك سميت الأعين
بالطَّوَارِفِ^(٤)، فضلاً عن أنَّ النظر سابق للبصر إذ يحدث النظر أولاً ثم يليه البصر،
وهذا التسلسل المنطقي العلمي عبر عنه الإمام بالنظر بحركة الطرف وحدّ البصر.
وفي شاهد لفظ الطَّرْف الثاني يُلاحظ أنَّ للطَّرْف حركة جسدية ذات دلالة
مخصوصة، كما في قوله عليه السلام:

(١) وهذه صيغة أخرى لجمع الجفن استعملها الإمام في النهج.

(٢) نهج البلاغة: ١/ ٣٦٠، خ ١٥٥.

(٣) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري: ٨/ ١٧٣.

(٤) ينظر: لسان العرب: ٩/ ٢١٣.

«يُرَدُّ طَرَفُهُ بِالنَّظْرِ فِي وُجُوهِهِمْ».

والكلام هنا عن الإنسان عند الموت فحركة تردد الطرف في النص تبعث برسائل صامتة توحى بدلائل العجز التام عن مخاطبة الإنسان من حوله، مثل تحيّر العين، وكثرة تحريك الجفنين نحو ما يحيط بها فقط^(١)؛ لذا لم يستعمل عليه السلام لفظ الجفن في هذا المقام لما أراد محدودية النظر، ويتكرر لفظ الطرف في شواهد أخر أيضاً^(٢)، لا تخرج دلالاتها عن النظر بطرف العين ومدته.

المجموعة الثانية:

تتضمن ألفاظ داخل العين ومنها (المقلة، الحدقة)، ومن شواهدها:

- المقلة: وردت مرتين في نهج البلاغة، في كلام الإمام عليه السلام عن رفضه للحياة الدنيا:
«لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا،
وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَا دُومًا؛ وَلَا دَعَنَّ مُقَلَّتِي كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرَعَةً
دُمُوعَهَا»^(٣).

وكلامه عليه السلام يحمده الله ويشني عليه:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِيهِ، وَجَلَالَ كِبْرِيَايِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَّ الْعُقُولِ
مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ...»^(٤).

- الحدقة: ورد ذكرها مرة واحدة للإنسان في قول الإمام عليه السلام في الخالق:

«لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ... يَعْلَمُ

(١) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٢٥١، خ ١٠٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، على سبيل المثال لا الحصر: ١/ ٣٧٤، خ ١٦٢، ٢/ ٤٦، خ ٢١٨، ١/ ٢٣٥، خ ١٠٤.....

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٢٧، ك ٤٥.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٤٥٢، خ ١٨٨.

مَسَاقِطُ الْأُورَاقِ، وَخَفِيِّ ظَرْفِ الْأَحْدَاقِ^(١).

أما المعنى اللغوي لهذه الألفاظ فإنَّ مقلة العين منها «سوادها وبياضها الذي يدور في العين كله»^(٢)، وترجع إلى الجذر (م ق ل) وفيه «ثلاثُ كلماتٍ غيرٍ مُنقَاسَة، قالوا: مُقَلَّةُ الْعَيْنِ، وهي ناظِرُها، ومَقَلَّتُه: نظرتُ إليه، والكلمة الأخرى المَقَلَّة: الحصاة تُلقِيها في الماء تعرفُ قَدْرَه... والكلمة الأخرى المَقَل: حَمَلُ الدَّوْمِ»^(٣)، وقيل المَقَلَّة هي العين^(٤)، ومن أكبر أجزاء العين المَقَلَّة وفيها مركز النظر، وربما سميت العين باسمها تبعاً لذلك، والباحث يميل إلى رأي الخليل، فقد كشف العلم الحديث كما اتضح في (الشكل ٣)^(٥) دقة هذا الرأي؛ إذ إنَّ المَقَلَّة تمثل الجزء المتحرك من العين، والحدقة هي من متضمنات سواد المَقَلَّة لا غير، ويؤصل ابن فارس للحدقة بالجذر (ح د ق)، وله «أصلٌ واحدٌ، هو الشيء يحيط بشيء. يقال حَدَقَ القومُ بالرَّجُلِ وأحدقوا به... وهي السَّواد... والتَّحْدِيقُ: شِدَّةُ النَّظَرِ، والحديقة: الأرض ذاتُ الشَّجَرِ، والحديقة: الحدِّقة»^(٦)، وجاء في المخصص «وفي المَقَلَّة الحدِّقة، وهي السَّواد الذي في وَسَطِ البياض»^(٧)، إذن فهي «في الظاهر سواد العين وفي الباطن خرزتها»^(٨)، والجمع حَدَقٌ وأحداق وحِداق^(٩). ويلحظ أن هذا اللفظ يشترك في سمة الإحاطة مع العين، لكن

(١) المصدر نفسه: ١/٤٢٣، خ ١٧٩.

(٢) العين: ٥/١٧٥.

(٣) مقاييس اللغة: ٥/٣٤١.

(٤) ينظر: لسان العرب: ١١/٦٢٧.

(٥) أطلس جسم الإنسان على الشبكة العنكبوتية. www-google-iq.

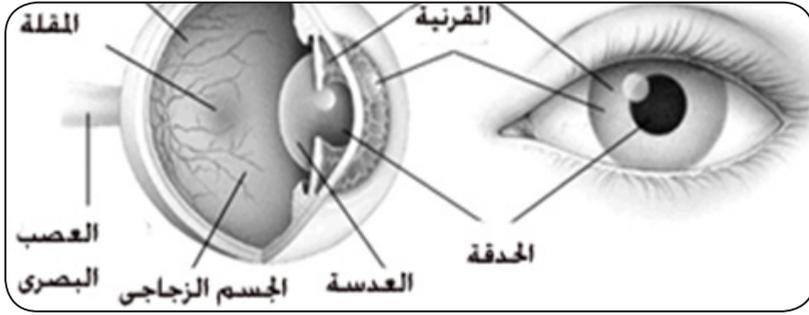
(٦) مقاييس اللغة: ٢/٣٣.

(٧) المخصص: ١/٩٤.

(٨) لسان العرب: ١٠/٣٨، وينظر: العين ٣/٤١.

(٩) ينظر: المخصص: ١/٩٤.

هنا بعدسة العين كما يتضح في (الشكل ٣).



(شكل ٣) يوضح أجزاء العين

وفي استعمال ألفاظ هذه المجموعة جاء الشاهد الأول للمقلة في سياق يُنبئ بالرياضة النفسية، وذلك في قوله عليه السلام:

«وَلَا دَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا».

لذا أنكر على نفسه ملاذ الدنيا ومشابهة البهائم في سياق النص، أما لفظ المقلة فقد جاء مشبهاً بعين الماء، وهو تشبيه صورة بصورة لما بينها من صلة من حيث المعنى^(١)؛ فشبّه المقلة بعين غار ماؤها، واستعمل الإمام المعين لأنّه الماء الجاري الذي تراه العيون^(٢)، والمراد: لأتركّن عيني كعين ماء نفذ ماؤها الجاري، فاستفرغ دموعي وأريقها جميعاً^(٣)، ودلالة ذلك كثرة البكاء، وقد عبر الإمام عن مراده بالمقلة بدل العين؛ لأن مجاورة لفظ (مقلتي) للفظ (عين ماء) له أثر في الركافة في التعبير، الذي هو بعيد كل البعد عن أسلوب الإمام كما تبين، فضلاً عن أنّ ذلك جاء للتقارب في الشكل والنتيجة؛ لأن المقلة هي الجزء الغالب من العين الذي يحيط به ماؤها، فضلاً عن ذلك فإنّ لفظ العين يذهب بالذهن إلى

(١) ينظر: البلاغة العربية: طالب الزوبعي، وناصر حلاوي: ١٠٠.

(٢) ينظر: منهاج البراعة، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي: ٣/ ١٥٥.

(٣) ينظر: نهج السعادة، محمد باقر المحمودي: ٣٩/ ٤.

الفصل الأول: المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها ٧١
صورة العين بأجزائها عامة لا حدود المقلّة التي تُغرورق بالدمع بداعي الأحوال
التي تعتري الإنسان.

أمّا الشاهد الثاني الذي ورد فيه لفظ المقلّة، فهو قوله عليه السلام:

«الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلَالَ كِبَرِيَّائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَّ الْعُقُولِ مِنْ
عَجَائِبِ قَدَرَتِهِ».

وهذا الكلام عن الله تعالى وعجائب خلقه، وفي هذا النص قد أضاف الإمام
لفظ المقلّة إلى العقول؛ لأن ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة^(١)،
وهذا النمط المجازي ليس بغريب عند الإمام؛ فطالما يستعمل جزءاً من جسم
الإنسان لغيره في نصوص كثيرة سوف يأتي بيان بعضها في البحث، فتصبح جزءاً
لا يتجزأ من نسيج لغة النص وإدراكها، ولا بد في ذلك من علاقة معروفة فكأن
هناك عنصرين: الحقيقة الموضوعية بذاتها من جهة، ومحاولة توصيلها واستعمال
آليات المجاز في التوصيل من جهة أخرى^(٢)، والعلاقة يمكن أن تكون في معنى
العلم والتبصر؛ لأنه مجاز عقلي، وعلى ذلك فإن المراد نفاذ البصائر^(٣)، الذي شابه
نفاذ البصر؛ لأن الإبصار يكون بجزء من هذه المقلّة، وهو ناظرها، وذلك بتسلط
الإشعاعات الضوئية التي تتسلط على الشيء المرئي ونفاذها إليه، ثم تتحول إلى
أعصاب النظر التي بدورها تنقل الصورة والمعلومات إلى الدماغ، فتحدث
الرؤية^(٤)، والمقلّة جاءت أداة للتعبير عن ذلك لتضمّن معناها معنى البصر، ومركز
وجودها في العين، فضلاً عن أنّها قد جاءت لدلالة أبعده فوظفت المقلّة كأداة

(١) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: ١٢٧

(٢) اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، عبد الوهاب المسيري: ١٢-١٣.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: تح: محمد أبو الفضل، ١/٤٢٥، وصفوة شروح نهج البلاغة: ٥٠١.

(٤) ينظر: أسرار لغة الجسد: ٧٧.

لعلاقتها الباطنة في مقاصده عليه السلام.

وينهاز لفظ الحدقة بتنوع الاستعمال للمخلوقات، وقد جاء اللفظ فيما يخص الإنسان في قوله عليه السلام:

«يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأُورَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ».

والنص جاء في مقام بيان قدرة الله من تقديم لخطبة في أول خلافته عليه السلام، وعبارة (خفي طرف الأحداق)، جاءت لتدل على عموم علم الله، فأراد عليه السلام بالطرف انطباق أحد الجفنين على الآخر، وهو من تحريك الجفون للنظر، والخالق يعلم ما خفي، ويخفي من ذلك على الناس^(١)، ويرى الباحث أن تفسير النص هذا لا يناسب الرؤية الإلهية وعلمه عليه السلام بما ورد في السياق، ولا يستقيم معناه مع جزء الحدقة، فقد تقدم في البحث اللغوي أن للحدقة أصلاً يدل على شيء يحيط بشيء، ثم قيل إنها سواد العين الذي يحيطه بياضها، وتحيط هي بإنسان العين أيضاً، وقد أثبت العلم حديثاً أن هناك ثقباً في مركز سواد العين يدعى الحدقة تتقلص وتمتد حسب درجة التحديق وشدة الضوء الذي يسقط عليها بفضل عضلتين متعاكستين^(٢)، تعملان كعمل الأشفار، فيمكن أن يكون تحريكها هو المقصود بطرف الأحداق، وبذلك تكون الحدقة في النص دالة على شدة الخفاء، ويكون المراد أن خالقها محيط بما خفي على الناس حتى حدود نظر إنسانها تأكيداً على دقة علمه، وجاء استعمال الحدقة من دون غيرها من أجزاء العين في النص؛ لأن دلالات النظر هذه تبقى عسية على الإنسان، ولا يمكن للإنسان إدراكها إلا بالمشاهدة والمعاناة، وهذا ما يناسب رؤية الخالق وعلمه بما يمور في ذهن الإنسان ووجدانه^(٣)؛ إذ يعلم ما يرى

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٥٢/١٠.

(٢) ينظر: أسرار لغة الجسد: ٧٤، ٨١.

(٣) ينظر: لغة الجسد في القرآن الكريم: عمر عتيق، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية على الرابط التالي:

الفصل الأول: المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها ٧٣
الإنسان ويخزن في ذهنه وما لا يراه، ويبدو أن الإمام قد أراد من هذا الاستعمال
الدلالة النفسية أيضاً؛ لعلمه تعالى ببواعث الدلالاتين.

المجموعة الثالثة:

وتتضمن لفظي (الناظر، البصر)، ومن شواهدهما:

- الناظر: جاء ذكره أربع مرات^(١)، ومنها قول الإمام عليه السلام في إحدى حكمه
يصف الحياة الدنيا:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ... مَنْ رَاقَهُ زَبْرُجَهَا أَعْقَبَتْ نَاطِرِيهِ كَمَهَاءَ
وَمَنْ اسْتَشَعَرَ الشَّغْفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرُهُ أَشْجَانًا»^(٢).

وقوله عليه السلام يحمد الله:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ... وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ،
الدَّالُّ عَلَى قَدَمِهِ مَجْدُوتٌ خَلَقَهُ...»^(٣).

- البصر: ورد ذكر البصر ستاً وعشرين مرة^(٤)، منها قول الإمام عليه السلام في حال من
أحوال الموتى:

[http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/researchersPages/
omarAteeq/search_v.pdf](http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/researchersPages/omarAteeq/search_v.pdf)

(١) ينظر: نهج البلاغة: ١/١٨٧، خ ٨٧، ٢/٤٦، خ ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٣٨٩، ح ٣٧٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢/٦٤، خ ٢٣١.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: ١/٣٧٧، خ ١٦١، ١/٣٧٢، خ ١٦٠، ١/١٦١، خ ٨٢، ١/٢٥٠، خ ١٠٨،
١/٢١٧، خ ٩٦، ١/١٢٨٧، خ ١٢٤، ١/٢٣٥، خ ١٠٤، ١/١٦٣، خ ٨٢، ١/١٦٧، خ ٨٤،
١/٣٢٩، خ ١٤٤، ١/١٥٦، خ ٨٢، ١/٤٦٠، خ ١٩١، ١/٢٨٠، خ ١٦٢، ١/٨٨، خ ٣٢،
١/٣٧٣، خ ١٦١، ١/٤٤٤، خ ١٨٦، ٢/٩٠، خ ٢٣٨، ٢/٩٨، خ ٢٣٨، ٢/١٤٩، ك ١٥٥،
٢/٢٠١، ك ٣١، ٢/١٩٢، ك ٣١، ٢/٢٠٤، ك ٣٣، ٢/٢٨٦، ك ٦٥، ٢/٤٠١، ح ٤٢٨.

«فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كَشَفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبَ الْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدْ اِرْتَسَخَتْ
أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ، وَاکْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ»^(١).

وقوله عليه السلام في الحثّ على التقوى:

«أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا الزَّمَامُ وَالْقِيَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا،
وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَوَلُّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاوِلِ الْحِرْزِ،
وَمَنَازِلِ الْعِزِّ، فِي يَوْمٍ تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْفَارُ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ
الْعِشَارِ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ...»^(٢).

وللكشف عن دلالات استعمال هذه الألفاظ لابد من معرفة معانيها في اللغة
أولاً، فأما الناظر فهو «النقطة السوداء الخالصة في جوف سواد العين»^(٣)، أو
حدقتها كما تبين من (الشكل ٣) سابقاً، وبها يرى الناظر ما يرى^(٤)، وفضلاً عن
ذلك فابن فارس يرى أنّ الجذر (ن ظ ر) له «أصل صحيح ترجع فروعه إلى معنى
واحد وهو تأمل الشيء ومعانيته»^(٥)، وهذا لا يتحصل بمجمل المقلّة بل بناظرها؛
لأنّ العين «كالمرآة إذا استقبلها شيء رأت شخصه فيها لشدة صفاء الناظر... وهو
موضع البصر منها الذي تراه كأنه صورة»^(٦).

أما البصر، فهو اسم اقترن به فعل العين، لكنّ البحث باللفظ هنا ليس بصدد
فعل الإبصار، بل بصدد عضو الإبصار، والأصل اللغوي من ذلك (ب ص ر) وله

(١) المصدر نفسه: ٣٨/٢، خ ٢١٦.

(٢) المصدر نفسه: ٤٥٤/١، خ ١٨٨.

(٣) العين: ١٥٥/٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٥/٨.

(٥) مقاييس اللغة: ٤٤٤/٥.

(٦) المخصص: ٩٤/١.

الفصل الأول: المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها ٧٥
«أصلان: أحدهما العِلْمُ بالشيء؛ يقال هو بَصِيرٌ به، ومن هذه البَصِيرَةُ... وأصل ذلك كله وُضُوحُ الشيء... وأما الأصل الآخر فبُصْرُ الشَّيْءِ غَلْظُهُ، ومنه البَصْرُ، هو أن يضمَّ أديمٌ إلى أديم، يخاطن كما تُخاطُ حاشيةُ الثَّوبِ»^(١)، ويذكر الراغب الأصل الأول بقوله: «البصر يقال للجارحة الناظرة... وللقوة التي فيها ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر... وجمع البصر أبصار، وجمع البصيرة بصائر»^(٢)، ويقال للبصر حسّ العين^(٣)، وعلى هذا يمثل البصر لفظاً مشتركاً لجارحة العين ووظيفتها بأجزائها المختلفة.

ولنظر العين ومشتقاته استعمالات عدّة في نهج البلاغة، تربو على الستين استعمالاً، وليس من وكد البحث هنا دراسة المادة اللغوية (نظر)، أو ما وصف به النظر من أحوال، بل تقصي ما دل منها على آلة النظر، وقد ظهر ذلك في بنى محددة هي (ناظر، وناظرين، وناظر)، وفي أربع شواهد من النهج، دلّت على توجيه العين نحو الشيء وليس إدراكه، منها قوله الإمام في الشاهد الأول للناظر:
«مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ... مَنْ رَاقَهُ زَبْرُجُهَا أَعْقَبَتْ نَاطِرِيهِ كَمَهَاءً».

وذكر أهل اللغة أن الكَمَةَ يكون خِلْقَةً ويكون حادثاً بعد بَصْرٍ، والكَمه قد استعمل مجازاً، لأنّ العينَ بالكَمَةِ يُسَلَبُ نُورُهَا^(٤)، والمراد أورثت عينيه أبلغ العمى عن الحق^(٥)، فلما أراد الإمام المبالغة استعمل الناظرين ولم يستعمل لفظ العينين؛ لأنها مرتبطان بالدماغ الذي يتأثر بما يثيرهما من معطيات اتضحت في مساق

(١) مقاييس اللغة: ٢٥٣/١.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٩/١.

(٣) ينظر: المخصص: ١١٣/١.

(٤) لسان العرب: ٥٣٦/١٣.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٨٧/٩.

النص^(١)، أمّا دلالة الاستعمال في الشاهد الثاني للناظر في قوله ﷺ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي... لَا تَرَاهُ النَّوَظِرُ».

فلا يخفى أن اللفظ قد جاء بصيغة الجمع مع متواليات مماثلة في النص فأضاف بعداً دلاليّاً من المبالغة في نفي الرؤية، على الرغم من وجود إمكاناتها في النص كقوله ﷺ: «لا تحجبه السّواتر»، ويأتي تخصيص النواظر بالذكر من دون الأبصار؛ لأن النظر مجرد تقليب الحدقة باتجاه الشيء إلتماساً لرؤيته من دون إدراكه، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنِ انظُرِ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

فكأنه ﷺ أراد القول بأن المرحلة الأولى من الرؤية لا يمكن تحقيقها فكيف تتحقق مرحلة التشخيص بالأبصار، إذن فالأبصار من المحال أن تدرك الخالق أو تراه؛ لأنها تدلّ على إدراك الشيء عياناً، وهذا ما ينفي «وقوع الشبهة في أذهان أكثر الجاهلين في جواز إدراكه تعالى بها كما هو مذهب المجسّمة والمشبّهة والأشاعرة المجوّزين للرؤية»^(٣)؛ إذ يتميز النظر عن البصر بمعنى الإقبال على المرئي، وبناءً على ذلك يبدو أن توظيف الإمام لجزء الناظر من العين في هذه النصوص ونصوص أُخر^(٤)، لوحظ فيه معنى الإقبال والتّماس الرؤية إلى الشيء المنظور في النصوص؛

(١) ينظر: أسرار لغة الجسد: ٧٦، والقوى العقلية الحواس الخمس، مايكل هاينز، ترجمة: عبد الرحمن الطيب: ٢٩٣.

(٢) الأعراف: من الآية ١٤٣.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٩/١١.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: ١/٣٥٥، خ ١٥٤، ٤٦/٢، خ ٢١٨.

الفصل الأول: المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها ٧٧
لأن الرؤية _ في الغالب _ ناشئة عن النظر بالعين، وبذلك يفترق عن الإبصار في
المعنى والاستعمال كما تبين آنفاً.

ويمثل البصر الأساس الوظيفي للعين بكل أنسجتها وأجزائها، وهو من أهم
وظائفها؛ لذا سُميت العين حاسة البصر^(١)، وتكرر لفظ البصر والإبصار ستاً
وستين مرة في نهج البلاغة، وتتبع نصوص النهج ظهر أن ما قصد به عضو الإبصار
هو ست وعشرون مرة، من ذلك قول الإمام عليه السلام في شاهد لفظ البصر الأول:
«اكتحلت أبصارهم بالتراب فحسفت».

والحسْفُ «غُورُ العين، وحُسوفُ العينِ ذهابُها في الرأسِ... وعينٌ حاسِفةٌ
وهي التي فُقتت حتى غابت حدقتاها في الرأسِ، وعينٌ حاسِفةٌ إذا غارتُ وقد
حَسَفَتِ العينُ نَحِسَفُ حُسُوفاً»^(٢)، فقوله عليه السلام عن الموتى واكتحلت أبصارهم
بالتراب فحسفت، أي غارت وذهبت في الرأس^(٣)، ويتضح من هذا التصوير في
النص دلالة اللفظ على عضو الإبصار، وقد عبر الإمام عن مراده بهذا اللفظ؛ لأنه
أراد ذهاب قوة الإبصار بذهاب مركزها؛ إذ اختار عليه السلام (الأبصار) من دون (العيون)
بلحاظ قوته وعمله، فبعد أن كان هذا العضو أداة للبصر وإذا به بعد الممات يكتحل
بالتراب فيذهب جماله؛ لحسوفها في الرأس، فلو قال العيون بدل الأيصار لما كان
هناك إشارة لعمل هذا العضو، أما ما يتعلق بعضو الإبصار هذا من حركة وفعل
فهناك شواهد أكثر نقرأ منها قوله عليه السلام في النص الثاني للفظ البصر:

«في يوم تشخص فيه الأبصار، وتظلم له الأقطار، وتعتل فيه صُروم العُشائر،
ويُنْفَخُ في الصور».

(١) ينظر: القوى العقلية الحواس الخمس، ٢٩١-٢٩٢

(٢) لسان العرب: ٦٧/٩، وينظر: الغريب المصنف، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): ٣٨٧.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١/١٦٣.

ويستوقف المتأمل في سياق النص ثلاثة اقتباسات قرآنية^(١)، وهي على التوالي

قوله تعالى:

﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدَ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(٢)، وقوله:
﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾^(٣)، وقوله:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٤).

وهذا ما يكشف ثراء النهج بالمفاهيم القرآنية، وتمكن الإمام من إذابتها في كلامه؛ إذ مثل حضور النص الآخر انسيابية في التلقي، وما يخصّ الأبصار من ذلك قول الإمام في الآية الكريمة الأولى، يقال: «شَخَصَ الرَّجُلُ بِبَصَرِهِ يَشَخَصُ شُخُوصًا رَفَعَهُ فَلَمْ يَطْرِفْ، وَشَخَصَ بَصَرٌ فَلَانٍ فَهُوَ شَاخِصٌ إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَعَلَ لَا يَطْرِفُ، وَشُخُوصُ الْبَصَرِ ارْتِفَاعُ الْأَجْفَانِ إِلَى فَوْقٍ وَتَحْدِيدُ النَّظَرِ وَإِنْزِعَاجُهُ»^(٥)، فمقلة العين كروية الشكل وتمتاز بأنها مرنة الحركة في الاتجاهات كافة، وذات مساحة بيضاء تساعد على تحديد اتجاه النظرات التي تدل على حالات ومواقف معينة^(٦)، وغالباً ما يحدث ذلك حين يرى الإنسان شيئاً لا يتوقعه فينظر مندهشاً لا يستطيع أن يرمش أو يطرف أو يُنزل جفنه متأثراً من دون شعور^(٧)، وهذا الوصف

(١) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة، عباس علي حسين الفحام: ١٦٢.

(٢) الأنبياء: ٩٧.

(٣) التكوير: ٤.

(٤) الزمر: ٦٨.

(٥) لسان العرب، ٧/ ٤٥.

(٦) ينظر: القوى العقلية الحواس الخمس: ٢٩٢.

(٧) ينظر: لغة الجسد في القرآن الكريم: ٣٨.

الفصل الأول: المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها ٧٩
للإنسان عامة وللأبصار خاصة، دلالته شدة الخوف والهلع من فضيع ما يشاهده
الناس من هول الموقف يوم الحساب، وقد استعمل الإمام لفظ الأبصار من دون
العيون؛ لأنه إذا عبر بالعيون فإن ذلك يدل على اتصال عملها وذهاب البصر، لكن
استعمال الأبصار دل أن عملها لازال مستمراً لكنه جامد على اتجاه واحد، وهذا ما
يمنه الاستبدال بين اللفظين في النص.

ومن متابعة النصوص الوارد فيها لفظ هذا الجزء من الإنسان^(١) يتبين أن
الإمام استعمل اللفظ في سياقات تدل على الجارحة وقوة البصر أو ضعفه وأشار
إلى ما تعلق بهما من حركات إرادية أو لا إرادية سواء أكان ذلك على سبيل الحقيقة
أم المجاز؛ لأن الإنسان غالباً ما يستطيع أن يتحكم بصره بجفن عينه، وذلك من
مصاديق العلم به.

ومن دراسة الألفاظ التي تشير إلى العين وأجزائها يتبين أن الإمام قد استعمل
ثلاثة أنواع من ملحقات العين، ويمكن عن طريقها تحديد العلاقات الدلالية للعين
وملحقاتها وضوابط الاستعمال، فلفظ العين جمع لكل ما يحيط بمقلتها كأجزاء مادية
تابعة لها تقع ضمن مجموعة دلالية واحدة، وترتبط بعلاقات مختلفة، فمنها ما مثل
الأداة، وهي ألفاظ (المقلة، والحدقة، والناظر)، وهي من أجزائها الداخلية، ومنها
ما مثل القوة، متمثلة في لفظ (البصر)، وهو من أجزائها الحسية، ومنها ما مثل
الوسيلة، وهما لفاظا (الطرف، والجفن)، وهما من أجزائها الخارجية، ويُلاحظ أن
نسبة ارتفاع شيوع لفظتي العين والبصر في النهج قد فاقت بكثير الأجزاء الأخرى،
وقد كثر في استعمال العين الاقتباس القرآني، واقرنت بها ضمائر كثيرة ومصاحبات

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نهج البلاغة: ١٩/١، خ ١، ٨٨/١، خ ٣٢، ٢١٧/١، خ ٩٦،
٢٨٧/١، خ ١٢٤، ١٧/٢، خ ٢٠٦، ١٩٢/٢، ك ٣١، ٢٠٤/٢، ك ٣٣، ٢٨٦/٢، ك ٦٥،
٤٠١/٢، ح ٤٢٨....

٨٠ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
لغوية، فأصبحت لها دلالات مختلفة مثل الجاسوس وغيرها، ولما كان اهتمام الإمام
بإدراك الحقائق أكثر، فقد جاء ذكر البصر بالمرتبة الثانية، ولكن أهم ما ميّز استعمال
العين عند الإمام أنها عبّرت عن الرؤية المادية، والرؤية المعنوية، وبذلك تكون
جامعة لسمة البصر بالقوة الباصرة فيها، وسمة النظر وهي التحديق والتقليب في
حدقة العين لرؤية الصُّور، أمّا لفظ الجفن عند الإمام فقد جاء مراداً به نظر العين،
فكأن الجفن لم يكن عنده عليه السلام أداة للإحاطة والحماية بقدر ما كان أداة للرؤية، وقد
قام مقامه الطرّف ولكن مقيداً بالنظر.

المبحث الرابع

الألفاظ الدالة على الأذن وما يلحق بها

عُرف عن الأذن أنّها الأداة المسؤولة عن السمع في جسم الإنسان، وقد صورها الله بإبداع وحكمة لا تتجلى إلاّ له سبحانه، وقديماً حاول أصحاب المعجزات وكتب خلق الإنسان اكتشاف أسرار هذه الأذن وما فيها لكنهم لم يتعدوا الوصف الظاهري لها، وفاتهم أنّ أمير المؤمنين قد جاء بسبق علمي في زمانه عندما عبّر عن الأذن بغير لفظها بقوله ﷺ:

«اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم»^(١).

فقد أثبت العلم حديثاً أنّ السماع يكون بحركة أصغر العظيما في ثقب الأذن التي تسمى (المطرقة، والسندان، والركاب)، فهي تنقل الاهتزازات الصوتية النافذة من الطبل المهتزّ إلى مراكز السمع العليا في المخّ عبر العصب السمعي ليقوم بتفسيرها إلى مدلولات لغوية^(٢).

أما ما ذكره الإمام في نهج البلاغة من ألفاظ دالة على الأذن ماثلت معجمية اللغويين، فهي ألفاظ (الأذن، الصماخ، والسمع)، وتعدّ الأذن من أهم أدوات

(١) نهج البلاغة: ٢ / ٣٠٩، ح ٨.

(٢) ينظر: أطلس جسم الإنسان، الدكتور أحمد الخزاعي: ٤٠-٤٢.

٨٢ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

التواصل؛ إذ إنها أول عضو من مداخل الحس يؤدي وظيفته في الدنيا^(١)، ومن شواهد هذه الألفاظ التي خص بها الإنسان ما يأتي:

- الأذن: ورد استعمال الأذن للإنسان إحدى عشرة مرة في نهج البلاغة^(٢)،

ومنها قول الإمام عليه السلام في ذكر النبي:

«طَيْبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَمْضَى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبِ عُمِي، وَأَذَانِ صُمَّ، وَالسِّنَّةِ بُكُمْ؛ مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ»^(٣).

وقال عليه السلام في حديثه عن الهجرة:

«لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ... وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْأَسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ»^(٤).

- الصَّاحُ: استعمل اللفظ مرة واحدة في قول الإمام عليه السلام يصف قدرة الخالق

وعلمه:

«عَالِمُ السِّرِّ مِنْ صَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ،... وَعَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، وَمَا أَصَعَّتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ، وَمَصَائِفُ الدَّرِّ، وَمَشَاتِي الْهُوَامِّ...»^(٥).

(١) ينظر: القوى العقلية الحواس الخمس: ٣٠٩.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ٢٤٩/١، ١٠٨/١، ٢٥٠/١، ١٠٨/١، ٢٦٢/١، ١١٢/١، ٣٠١/١، ١٢٩/١، ٣١٠/١، ١٣٣/١، ٤١٥/١، ١٧٦/١، ٤٤٥/١، ١٨٦/٢، ١٧٣/٢، ٢٧/٢، ٣٨٩/٢، ٣٧٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٣/١، ١٠٧.

(٤) المصدر نفسه: ٧٩/٢، ٢٣٥.

(٥) نهج البلاغة: ٢/٢٠٣، ٩٠، وقد ورد شاهدا بالحديث في: النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ): ٣/٩٨، ولسان العرب: ٣/٣٤، هكذا (أصَعَّتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ).

الفصل الأول: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على الأذن وما يلحق بها ٨٣

- السَّمْع: وأما السَّمْع، فقد جاء ما يدل منه على آلة السمع عند الإنسان في واحد وثلاثين نصاً^(١)، منها قول الإمام عليه السلام في الحثّ على التقوى ونبذ الدنيا:

«...فِيَالهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وَآرَاءَ عَازِمَةً، وَالْبَابَ حَازِمَةً! فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَةً مَنْ سَمِعَ فَخْشَع»^(٢).

وقال عليه السلام عن يوم النُّشُور:

«...وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مَهِينَةً، وَالْجَمُّ الْعَرَقُ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ، وَأُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزُبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَضْلِ الْخِطَابِ، وَمُقَايَصَةِ الْجُزَاءِ»^(٣).

وقبل دراسة هذه الألفاظ دلاليّاً لا بدّ من معرفة المعنى اللغوي لها، فالأذن من الجذر (أذن)، وله «أصلان متقاربان في المعنى، متباعدان في اللفظ، أحدهما أُذُنٌ كُلٌّ ذي أُذُنٍ، والآخر العِلْمُ؛ وعنهما يتفرّع البابُ كُلُّهُ. فأما التقارب فبالأذن يقع علم كُلِّ مسموعٍ. وأما تفرُّع الباب فالأذن معروفة مؤنثة... والأصل الآخر العِلْمُ والإعلام. تقول العرب قد أذنتُ بهذا الأمر أي عَلِمْتُ، وأذنتني فلانٌ أَعْلَمَنِي، والمصدر الأذُن والإيدان»^(٤)، وفي كتب خلق الإنسان نجد تفصيلاً أكثر للأصل الأول ومن ذلك قول الأصمعي: «وفي الرأس الأذنان، وفي الأذنين الغُرضوف وبعض العرب يقول

(١) ينظر: نهج البلاغة: ٣٧/١، ٤، ١٥٥/١، ٨٢، ١٧٨/١، ٨٧، ١٨١/١، ٨٨، ١٨١/١، ٨٨، ١٩٢/١، ٩٠، ٢٣٥/١، ١٠٤، ٢٥١/١، ١٠٨، ٤٤٣/١، ١٥٠، ٣٦٣/١، ١٥٦، ٣٦٣/١، ١٥٧، ٧٣٤/١، ١٦١، ٣٨٠/١، ١٦٢، ٣٩٠/١، ١٦٦، ٤٤٤/١، ٤٤٤، ١٨٦، ٤٤٤/١، ١٨٦، ٤٤٥/١، ١٨٦، ٤٥٨/١، ١٩٠، ١٣/٢، ٢٠٣، ٣٨/٢، ٢١٦، ٤٢/٢، ٢١٧، ٤٨/٢، ٢١٩، ٨١/٢، ٢٣٦، ٨٦/٢، ٢٣٧، ٩٦/٢، ٢٣٨، ١٤٠/٢، ١٠٤، ٣٣، ٢٨٥/٢، ٦٥، ٢٦٩/٢، ح ٢٧٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٦/١، ٨٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٤/١، ٨٢.

(٤) مقاييس اللغة: ٧٦/١.

٨٤ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
الْغُضْرُوف... وهو معلق الشنوف منها، وحتارها كفاف حروف غراضيفها، وفيه
الشحمة وهو ما لان من أسفلها، وفي الشحمة معلق القرط، وفيه الوتد وهي الهنية
الناشزة في مقدمها تلي أعلى العارض من اللحية، وفيها محارثها وهي صدفتها، وفي
الأذن الصماخ وهو الخرق الباطن الذي يفضي إلى الرأس...»^(١)، والأذن بالضم لغة
الجراحة، أما بالكسر فهي رفع المنع وإيتاء المكنة، وقد شبه بها من حيث الحلقة عروة
الكوز^(٢)، وهذا الوصف لما يعرف اليوم بالأذن الخارجية.

أما ما وقع من الأجزاء داخل الأذن فهو الصَّاخُ، وقد جاء لفظ الصَّاخ في
المعجمات بلغة أخرى، وهي السَّاخ، وقد ذكرها الخليل بقوله عن الصَّاخ:
«والسَّاخُ: لغةٌ فيه، والصَّادُ تَمِيمِيَّةٌ، وصَمَخِي الصَّوت»^(٣)، وحرفا السين والصاد
من الحروف الرخوة المهموسة، وقد صُنِّفَا في علم الأصوات من أحرف الصفير؛
لسماع صوت يشبه صوت الصفير عند إخراجهما من مواضعها؛ إذ يضيق مجرى
هذه الأصوات جدا عند مخرجها^(٤)، وهذان الحرفان أحدهما أئين من الآخر في
صفيها، فالصاد أقواها؛ للإطباق والاستعلاء اللذين فيها، أما السين فهي أخف
للهمس الذي فيها^(٥)، ويرد ابن فارس الصَّاخ إلى الجذر (ص م خ)، وله «أصلُ
واحدٌ وكلمةٌ واحدةٌ، وهو الصَّاخُ: خَرَقَ الأذُنُ»^(٦)، أما في خلق الإنسان، فقد

(١) خلق الإنسان، الأصمعي: ١٧٠، وينظر: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، أحمد بن فارس
(ت٣٩٥هـ): ١٨.

(٢) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي: ٤٧.

(٣) العين: ١٩٢/٤.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٧٣، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: ١١٨.

(٥) ينظر: دراسة مخارج أصوات العربية وصفاتها عند القدماء والمحدثين، أحمد جاسم النجفي: ١٤٩-
١٥٠.

(٦) مقاييس اللغة: ١٩٢/٤.

الفصل الأول: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على الأذن وما يلحق بها ٨٥
قال ثابت: «وفي الأذن الصمخ، وهو سمُّها، يقال في جمعه أصمخَةٌ وصمخٌ، وهو الخرق الباطن الذي يُفزي إلى الرأس، وهو المسمَع الذي يسمع به»^(١)، وقيل: «هو الخرق الذي يفزي إلى الدماغ»^(٢).

وللأذن أسماءٌ أخر مشتقة من الفعل (سمع)، فقد قال الخليل: «السامعة والمسمَع والمسمَع الأذن، وقيل: المسمَع خرقها... والسَمع ما وقرَّ فيها والسَماع، ما التذَّت به من غناءٍ وغيره»^(٣)، وهذه الألفاظ مأخوذة من الجذر (س م ع)، وله «أصلٌ واحدٌ، وهو إيناسُ الشيء بالأذن، من النَّاس وكلِّ ذي أُذن. تقول: سمِعت الشيء سمعاً»^(٤)، و«يقال للمسماع أيضاً السَمع... وقد قالوا الأسماع»^(٥)، وبعد هذا يصبح لدينا ثلاثة معانٍ للأذن وهي المسمعة، والمسمَعُ: خرقها، والسَمع: وهو ما وقرَّ فيها من شيء تسمعه، وهو أيضاً اسم ذلك الفعل، ويطلق تارة على الأذن وتارة على الفعل، وعلى ذلك يكون معنى الأذن آلة السمع الخارجية، والمسمَع ما يعبر عنه بالأذن الوسطى اليوم، والصمخ خرقها الباطن الذي يبدأ بطلبة الأذن وما بعدها كما يتضح في (الشكل ٤)^(٦)، وما قول الخليل «صمخت فلاناً: عقرت صمخاً أُذنه بعودٍ أو نحوه»^(٧)، إلا تعبير عن طبلية الأذن وما يلحق بها.

أمَّا الدلالة الاستعمالية لهذه الألفاظ عند الإمام عليه السلام، فتتجه بلفظ الأذن إلى

(١) خلق الإنسان: ثابت، ٩١.

(٢) غريب الحديث، أبو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ): ٦/٢.

(٣) المخصص: ٨٣/١.

(٤) مقاييس اللغة: ١٠٢/٣.

(٥) المخصص: ٨٣/١. وينظر: خلق الإنسان، ثابت: ٩١. ولسان العرب: ٦/٦٣٣.

(٦) أطلس جسم الإنسان، على الشبكة العنكبوتية:

https://www.google.iq/?gws_rd=ssl.

(٧) العين: ١٩٢/٤.

٨٦ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

استعماله للدلالة على السماح للسمع وقبوله من عدمه، وذلك بمقيدات ذكرت في مواضعها مستلزمة لحضور هيئة هذا الجزء أو لفظه، ففي الشاهد الأول للفظ الأذن قال (عليه السلام):

«طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَمْضَى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَّةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبِ عُمِي، وَأَذَانِ صُمَّ، وَالسِّنَّةِ بُكْمٍ...».

فقد شبه (عليه السلام) النبي بالطبيب، فحذف المشبه واستعار له لفظ الطبيب، ثم قرنه بما يلائم من وظائفه، ومنها ما تعلّق بالأذن في عبارة (وأذن صم) التي يتعلّق فهمها بوظيفة الأذن ومعنى الصمّ، وهو «ذهاب سمعها، وفي القناة: اكتناز جوفها...»^(١)، فالجذر (ص م م) يدل على «تصام الشيء... ومن ذلك صم القارورة لأنه يسدّ الفرجة»^(٢)، ولما أصبحت الأذن متصامّة عن الحق غير سائحة بسماعه جعلها (عليه السلام) بمنزلة التي لا تسمع، فوصفها بأنها صمّ، لأن أصحابها لا يسمعون ما يسوؤهم، فجاء الرسول؛ ليشفي صممها ويفتحه بإعدادها لقبول النصائح والمواعظ^(٣)؛ لأن الصمم قد يُطلق مجازاً على الابتعاد عن الفهم والاستجابة، ومناسبة ذلك سد فرجة الأذن عن العلم الذي يقع بها، وقد ذكر الصمم في قول الله جل جلاله في صفة الكافرين:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمَّ بُكْمٍ عُمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٤).

ويتجلى لقارئ نص الإمام أنه عمد إلى إظهار أعضاء أخرى للإنسان في

(١) العين: ٩١ / ٧.

(٢) مقاييس اللغة: ٢٧٨ / ٢.

(٣) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٢٨٥ / ٧.

(٤) البقرة: ١٧١.

الفصل الأول: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على الأذن وما يلحق بها ٨٧
 التصوير بموازاة الأذن؛ لأنها من الحواس المهمة للإنسان العاقل المسؤول أمام
 الله عز وجل، وبذلك تكون من وسائل إدراك الصورة ومعرفة العلم، فهي تكون
 بمثابة الناقل الحقيقي لهذه الصورة وتلقي الرسالة بنوع من التأثير والإيحاء.

ويذكر الإمام في النص الثاني الأذن السامعة في حديثه عن الهجرة:

«لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ
 بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ... وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْأَسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ
 وَوَعَاها قَلْبُهُ».

وفي هذا القول للإمام مصطلح متعلق بالعلم يراد نفيه عن طائفة معينة،
 ومراده عليه السلام أن الاستضعاف لا يصدق على من عرف الإمام وسمع مقالته ووعاها
 قلبه، فهذا ليس بمستضعف^(١)، ولا يقع عليه حكمه كما صدق على المذكورين
 بقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا
 مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا
 فَأُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾.

لأن مفهوم الإمام للاستضعاف في النص خلاف مفهومه في القرآن الكريم،
 فعند الإمام إن من سمع الحجة لا يُعدّ مستضعفاً، والضابط في هذا الحكم سماع
 الأذن لدعوة الإسلام، فحكم الهجرة لم يزل سارياً على من بلغته الحجة مع قدرته
 على ذلك، أما إذا لم تبلغه الحجة لسبب من الأسباب فهو المستضعف المعذور^(٣)،

(١) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ٣٩٧.

(٢) النساء: من الآية ٩٧-٩٨.

(٣) ينظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار: ٢٣١/٦٦.

٨٨ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

وقد وظّف الإمام الأذن لتكون من أدوات العلم، وجعل من القلب وعاءه؛ إذ لا قيمة للعلم عند الإنسان ما لم تكن هناك آذان تسمع وقلوب تعي؛ فالأذن إحدى آلات العلم التي ذكر عليه السلام معها فعلها؛ لأنه أوضح من الوصف بكلمة الأذن وحدها، فكل سامع لهذا الوصف يدرك دلالة اطلاعهم، ونفوذ العلم المقصود الذي كان عليه هؤلاء ضمن ثلاث مراحل من العلم ذكرها عليه السلام حتى يمكن شمول العفو عنهم^(١)، ويلاحظ في النصين المذكورين ونصوص أخرى^(٢)، أنّ الإمام يذكر الأذن في أحوال مستلزمة لحضور هيأتها؛ ما يمنع الاستبدال مع أجزائها الأخرى، وبذلك تتضح دلالتها الخاصة؛ فتظهر الأذن مقترنة بالسمع ومشتقاته في أغلب السياقات، تأكيداً لارتباطها بمصطلح حاسة السمع؛ لأن خلاصة القول عنده عليه السلام أنّ هناك أذنًا سامعة وأخرى صماء، سواء أكان ذلك على الحقيقة أم المجاز.

وأما استعمال الصّماخ في نهج البلاغة، فقد تميّز عند الإمام بقوله:

«وَمَا أَصَعَّتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ».

بمظهرين، الأول: معجمي؛ لأنه قد اختار لغة الصماخ وهي لغة تميم؛ فعند النطق بالصاد يتخذ اللسان وضعاً مخالفاً لوضعه مع السين مع الرجوع قليلاً^(٣)؛ لأنّ العلاقة الصوتية بين الصاد والخاء أقوى من السين وأقرب^(٤)، لذلك قيل أن لغة «الصادُ أفصحُ وأشهرُ»^(٥)، بل أنكر بعض العرب لغة السين فقد قال ابنُ السكيت (ت ٢٤٤ هـ) وابنُ قتيبة (ت ٢٧٦ هـ): «أنَّهُ لَا يَجُوزُ بِالسَّيْنِ»^(٦)، وأما

(١) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ٣٩٧.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ١/٣٠١، خ ١٢٩...

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٥.

(٤) ينظر: دراسة مخارج أصوات العربية وصفاتها عند القدماء والمحدثين: ١١٢.

(٥) المجموع من شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ): ١/٤١٢.

(٦) المخصص: ١/٨٣.

الفصل الأول: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على الأذن وما يلحق بها ٨٩
 في جمعه فقد ذكر أنّ مصائخ هو جمع مصاخ^(١)، على الرغم من أنّ الصمّاخ جمعه
 أصمّخة وصمّخ^(٢)، وإذا كان كذلك فإنّ الإمام هو صاحب هذه البنية في الجمع؛
 لأنها لم ترد عند أصحاب المعجمات حتى القرن الرابع الهجري، أو من نقل عنهم
 فيما تيسر للباحث^(٣)، والمظهر الآخر: دلالي، يتبين من قوله عليه السلام:
 «وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ».

أي: وما مالت بسمعه من نحو الاستماع في خفية من خروق الأذان التي يستمع
 بها، قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ وَشِهَابٌ مُّبِينٌ﴾^(٤).

ويلحظ أنّ القرآن الكريم قد استعمل الاستراق للسمع، في حين أنّ الإمام
 استعمله للمصائخ، ومصائخ الأسماع خروقتها التي يصيخ بها أي يتسمع^(٥)، فهي
 منافذ دخول الصوت إلى أجزاء الأذن الداخلية التي تحوّل الموجات الصوتية إلى
 إشارات وترسلها إلى الدماغ^(٦)، لذا كانت دقة اختيار هذا الجزء من الأذن متناسبة
 مع دلالة الخفاء المتعلقة بوظيفته وفعل الاستراق، وينسجم مع المعنى العام في
 السياق، ويظهر أنّ الإمام لما أراد نسب السمع إلى الإنسان أضاف للسمع لفظ
 المصائخ؛ احترازاً للمعنى الذي يحمله فعل الاستراق عن المخلوقات الأخر كما جاء

(١) ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٢٢٨.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٣/٣٤.

(٣) ينظر: على سبيل المثال: العين: ٤/١٩٢، والجيم: ٢/١٧٦، وتهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن
 أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ): ٧/١٥٧، وجمهرة اللغة، أبو بكر محمد الحسن بن دريد (ت ٣٢٠هـ):
 ٢/٢٧٧، ٣/٣٧٩.

(٤) الحجر: ١٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/٢٦.

(٦) ينظر: القوى العقلية الحواس الخمس: ٣١٤.

٩٠ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
في الآية الكريمة، لأن أذن الإنسان تسمع موجات صوتية ولا تسمع أُخر، والإمام
أراد الدلالة على جزء من موجات أُخر، فاحترز لذلك بعبارة (ما أصغت).

أمّا ما يخص دلالة لفظ السَّمْع^(١)، فقد ورد اللفظ أكثر من الأذن وملحقاتها
الأُخر؛ وذلك لاختلاف استعماله عند الإمام عليه السلام؛ فيصفه بالوعي في عبارة «وَأَسْمَاعاً
وَاعِيَةً» في الشاهد المذكور، وهو من وعى يعي وعبياً، أي: حفظ حديثاً ونحوه^(٢)،
والمراد في النص تعي وتدرك^(٣)، وقد وصف عليه السلام السمع بالوعي؛ لأن مداخل الحس
ومنها الأسماع ما هي إلا أجزاء وفروع تتشعب من الدماغ وتنتهي إليه عن طريق
ما يعرف بالأعصاب، وفي سياق الكلام ما يشير إلى ذلك؛ لأنّ الخطاب متوجّه به
إلى العقل، والنص يعطي صورة واضحة عن حقيقة حصول السمع لتضمّنه معنى
الدخول في خرم الأذن، دلّ على ذلك القرائن والصفة المصاحبة لأداء الوظيفة؛
لأنها تُوجب وجود آتته، فمعنى (الأسماع) في النص يحتمل المجاز ومخاطبة العقل،
وبذلك تكون للأسماع صفة خصوصية دلالية تفرق عن دلالة الأذن بصورة عامة،
أو ما ورد في قوله تعالى:

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(٤).

لأن الأمر مرهون بالقرينة وظروف التداول كما أسلفنا.

وفي قول الإمام عليه السلام: «وَأُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ» في الشاهد الثاني للفظ السمع،
تظهر حال أخرى مختصة بيوم موعود في كلام الإمام جعلت للأسماع حركة
وتقهقراً على الرغم من أنّها من ثوابت الإنسان، وقد جاء ذكرها مجازاً لتقريب

(١) تتمتع مشتقات مادة (سمع) بكثرة عددها في نصوص نهج البلاغة إذ وردت (١٦٤) مرة.

(٢) ينظر: العين: ٢/ ٢٧٢.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ١٥٥.

(٤) الحاقة: ١٢.

الفصل الأول: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على الأذن وما يلحق بها ٩١

الصورة، والرعدة: رجرجة تأخذ الإنسان من فزع أو داء^(١)، وأرعدت الأسماع أي: عرتمها الرعدة، وزبرة الداعي صوته ولا يقال للصوت زبرة إلا إذا خالطه زجر، وإنما حُصت الأسماع بالرعدة؛ لأنها تحدث من صوت الملك الذي يدعو الناس إلى المحاسبة^(٢)، وحركة الارتعاد والاضطراب هذه^(٣) دلالتها ارتعاد الأنفس عن طريق السماع للصوت المخيف النافذ إلى الأسماع؛ ذلك أن الأسماع لا ترعد ولا تخاف لأنها جوامد. أما الأنفس فهي التي تخاف ولا يمكن أن نقول (أرعدت الآذان)؛ لأن الأذن لا ترعد أو تخاف، وإنما يكون الخوف من سماع الصوت المخيف، فكأنه لبيد عبر بالسبب وأراد المسبب له فعبر بالأسماع لأنها سبب الرعب بدليل أن السمع يحدث في باطن الأذن؛ فالعصبية المنبسطة في السطح الباطن من صماخ الأذن هي المسؤولة عن السمع^(٤)، و«الآذان مجرد أدوات لتجميع الأصوات، وحتى لو قطعت الأذنين فلن تتوقف حاسة السمع، ويسمع الإنسان عن طريق الأعصاب السمعية»^(٥)، ويمكن أن يكون الإمام قد خصّ الأسماع بالذكر من دون الآذان؛ لأنها هنا قد دلت على ما استقر في الأذن، أي ما سُمع، فالإمام قصد ارتعاد النفس بواسطة ما تسمع به، إذ مثلت الأسماع في النص واسطة فعبر بالواسطة عن الأنفس، فلولا أن الأصوات جاءت عن طريق الأسماع لما ارتعدت النفس، وبذلك تكون واسطة لوصول الصوت للنفس فترعد النفس، ومثال ذلك قول كاتب ما: أكلتُ بقلمِي، فلما كان القلم هو الذي استحصل به الأجر بسبب كتابته كان أكله بواسطة قلمه.

(١) ينظر: العين: ٣٣/٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/٢٥٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/٣٧٤.

(٤) ينظر: الكلبيات، أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ): ١/٧٨٠.

(٥) القوى العقلية الحواس الخمس: ٣١٢.

ويتحدث الإمام عن أحوال كثيرة للسمع في النصوص الأخر التي ورد فيها اللفظ^(١)، ولكن على الرغم من اختلاف الكيفيات التي يحصل بها السمع عند الإنسان، فإنها تستند إلى أصل دلالي هو الاستقبال وإدراك المسموع، وقد عبّر الإمام عن مراده في كلامه بالسمع ولم يعبر عنه بالأذن؛ لأنّ المسامع «من شأنها أن تدرك الصوت المحرك للهواء الراكد في مقعر صمّاخ الأذن عند وصوله إليه بسبب ما، والسمع قوة واحدة ولها فعل واحد ولهذا لا يضبط الإنسان في زمان واحد كلامين، والأذن محله ولا اختيار لها فيه...»^(٢)؛ لذا فإن من يطّلع على استعمال الإمام للفظ الأذن ولفظ السمع يميز أنّ الإمام اتّجه بلفظ الأذن نحو الحياة الدنيا التي يغلب عليها استحضر الجانب المادي الجسماني، وهو ما يستلزم صحة عضو السمع وسلامته، أمّا السمع، فكان يمتاز بتنوّع الاستعمال في حياة الإنسان ومماته وآخرته، فدلالته أوسع من دلالة الأذن، فهو ينتقل بين العوالم؛ لأن السمع الحقيقي متعلق بالروح والقوى التي ينماز بها الإنسان، لقوله ﷺ:

«فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِيهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ ظَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ السِّنْتِيهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ، ثُمَّ ارْتَدَادَ الْمَوْتُ التِّيَاطَا بِهِ، فَقَبِضَ بَصَرَهُ كَمَا قَبِضَ سَمْعَهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ»^(٣).

يظهر مما سبق دقة الاختيار في توظيف اللفظ لتحصيل الدلالة المتوخاة منه في السياق، وتميز الاستعمال بالمحافظة على علاقة الاشتغال بين الأذن

(١) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ١/١٨١، ١/٨٨، ١/٢٣٥، ١/١٠٤، ٢/٣٨، ٢/٢١٦،

٢/٢٦٩، ٢/٢٧٢...

(٢) الكلبيات: ١/٧٨٠.

(٣) نهج البلاغة: ١/٢٥١، ١/١٠٨.

الفصل الأول: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على الأذن وما يلحق بها ٩٣
وملحقاتها؛ إذ استعملت الأذن للمعاني الخاصة باستحضار الهيئة فكانت
خاصة للحياة الدنيا ودلّت على العضو المادي المعروف، والسمع للتعبير عن
معاني الاستقبال وما يرتبط به من علاقات شمل الدنيا والآخرة، والصّماخ
لمعنى الخفاء من الأصوات التي يعسر سماعها، فكان عليه السلام في هذا الحقل مراعيّاً
للترتيب الفلسفي في إنتاج الدلالة.

المبحث الخامس

الألفاظ الدالة على الأنف وما يلحق به

عُرف الأنف بأنه عضو التنفس وحاسة الشم في جسم الإنسان، ويؤدي هذه الوظائف بأجزاء تقع تحت مسماه، ذُكرت في كتب عنت بخلق الإنسان مرّ ذكرها، ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام عليه السلام قد عبّر عن عضو التنفس هذا بلفظ آخر، في قوله: «اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم^(١)»^(٢).

والإمام بهذا الاستعمال قد حوّل كلمات عامة إلى ألفاظ محددة الدلالة في بيئة النص؛ لأن الكلمة الصامتة صورة صوتية مفردة في ذهن المجتمع أو صورة كتابية بين جلدي المعجم، فحين يلتقطها المرسل يحولها من الصورة إلى الحقيقة الحسية في السياق الاستعمالي^(٣)، فظهرت النكرات في النص بإطار جديد تفيض بالحيوية وتفقد وضعيتها الجامدة، مع عناصر أخر مرتبطة بهذا الاستعمال وتابعة له^(٤).

(١) الخرم إذا انشقت الوتره بين المنخرين، أي غضروف منخرية، وهو ضرب من الاقتطاع. يقال حَرَمْتُ السَّيِّءَ. واخترتهمُ الدهر. وحُرِمَ الرجل، إذا قُطِعَتْ وترُهُ أَنفِهِ. (ينظر: والعين: ٥٢٩/٤، وخلق الإنسان، ثابت:، وكتاب في ذكر شيء من الخلي، ابن جعفر التميمي (ت ٤١٢ هـ): ١٣.

(٢) نهج البلاغة: ٣٠٩/٢، ح ٨.

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ٣١٧.

(٤) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ٢٢ - ٢٣.

٩٦ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

أما ما استعمل في نهج البلاغة من أَلْفَاظٍ تَخُصُّ الْأَنْفَ وتقع تحت مسماه فهي: (والعرنين^(١))، والمنخر، الخيشوم)، غير أنّ الأخير لم يُقصد به أنف الإنسان؛ فأعرضنا عن دراسته، فضلاً عن قلة شواهد^(٢)، ويسعى البحث هنا للكشف عن دلالات استعمال هذه الألفاظ للإنسان في المتن المدروس وأثر دلالاتها في عملية التواصل، ولا يخفى أن هنالك مجتمعاتٍ بشريةً توظّف الأنف في عملية التواصل؛ لارتباطه بدلالات العزة والشرف والتكبر في إجراء واقعي اجتماعي يقوم على العلاقة بين طرفين أو أكثر، ومن شواهد هذه الألفاظ في النهج ما يأتي:

- الأنف: ذكر ثلاث عشرة مرة وقد حُصّ الإنسان منها بأربع مرّات^(٣)، منها قول الإمام (عليه السلام) في عهد كتبه للأشتر النخعي:

«أَمْلِكُ حِمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ... حَتَّى يَسْكُنَ غَضْبُكَ فَتَمْلِكَ الْأُخْتِيَارَ»^(٤).

وقوله (عليه السلام) في حكمة له:

«فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْمُتَأَفِّقِينَ...»^(٥).

- المنخر: ذكره الإمام (عليه السلام) مرتين للإنسان، بقوله عن الماضين:

«وَضَعَعَتُهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَقَّرَتُهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، وَوَطَّئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وَأَعَانَتْ

(١) قال الزجاج: «ومعظم الأنف يقال له العرنين»، (خلق الإنسان: ٥٢. وينظر: مقالة في أساء أعضاء الإنسان: ١٦).

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ١٩٨، خ ٩٠.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ٢/ ٩٤، خ ٢٣٨، ١/ ١٤١، خ ٧٢.

(٤) المصدر نفسه: ٢/ ٢٦٤، ك ٥٣.

(٥) المصدر نفسه: ٢/ ٣١٣، ح ٣١.

عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمُنُونِ»^(١).

وقوله عليه عن الشيطان:

«دَلَفَ بِجُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الدُّلِّ، وَأَحْلُوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْحَانَ الْجِرَاحَةِ، طَعْنَا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقًا بِحَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ»^(٢).

- الخيشوم: ورد ذكره للإنسان مرة واحدة في حكمة للإمام عليه بقوله:

«لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبَغِّضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجِمَاتِهَا عَلَى الْمَنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي»^(٣).

وأما ما يخص المعنى اللغوي، فالأنف من الجذر (أ ن ف) وله «أصلان منها يتفرع مسائل الباب كلها: أحدهما أخذ الشيء من أوله، والثاني أنف كل ذي أنف، وقياسه التحديد. فأما الأصل الأول فقال الخليل: استأنفت كذا، أي رجعت إلى أوله... ومؤتنت الأمر: ما يُبتدأ فيه... والأصل الثاني الأنف، معروف»^(٤)، وقال الراغب الأصفهاني: «أصل الأنف الجارحة ثم يسمى به طرف الشيء وأشرفه، فيقال أنف الجبل وأنف اللحية ونسب الحمية والغضب والعزة والذلة إلى الأنف... قيل: شمخ فلان بأنفه للمتكبر، وترب أنفه للذليل، وأنف فلان من كذا بمعنى استنكف وأنفته أصبت أنفه، وحتى قيل الأنفة الحمية واستأنفت الشيء أخذت أنفه أي مبدأه»^(٥)، والأنف جميع المنخر سمي بذلك لتقدمه، وجمعه أنف وأنوف وأناف^(٦)،

(١) المصدر نفسه: ٢٥٩/١، خ ١١٠.

(٢) المصدر نفسه: ٩٣/٢، خ ٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ٣١٧/٢، ح ٤٣.

(٤) مقاييس اللغة: ١٤٦/١. وينظر: العين: ٣٧٧.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٢٨/١.

(٦) ينظر: المخصص: ١٢٨/١. ومقالة في أسماء أعضاء الإنسان: ١٦.

والأنف على ذلك تكون علاقته بالمنخر اشتمالية، وهو من الأجزاء الظاهرة من الأنف، فهو خرق الأنف كما يتبين من كلام ابن فارس عن أصل الجذر (ن خ ر)، إذ ذكر له «أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على صوتٍ من الأصوات ثم يفرَّع منه، والنخير: صوتٌ يخرج من المنخرين، وسُمِّي المنخِران من جهة النخير الخارجِ منهما، وقرَّع منه فقيل لخرقي الأنف النخرتان... ويقولون: النخرة: الأنف نفسه»^(١)، وبعض العرب يقول: «المنخِرُ، والمنخَرُ، والمنخِرُ، والمنخِرُ، والمنخِرُ، والمنخِرُ... والمنخِرُ نُقبُ الأنفِ وقد تكسر الميم إتباعاً لكسرة الخاء... لأن مفعلاً ليس من الأبنية... وكان القياس منخِراً ولكن أرادوا منخِيراً»^(٢)، وفي كتب خلق الإنسان قيل أن المنخِران: هما الخرقان اللذان يخرج منهما النفس، وهما حرفا المنخرين من يمين وشمال من عرض الأنف، وفيه الوترة وهو الحاجز الذي يمحز بين المنخرين^(٣).

أمّا الخيشوم، فذكر ابن فارس أنه من الجذر (خ ش م) وله «أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ارتفاع، فالخيشوم: الأنف، والحشَم: داءٌ يعترِيه، والرجل الغليظُ الأنفُ حُشام، والمُحشَم: الذي ثار الشَّرابُ في خيشومه فسكِر، وخياشيم الجبال: أنوفُها»^(٤)، وهذه الدلالة مبنية على الظاهر كما يبدو، لأن للخيشوم امتداداً داخلياً تحت الأنف^(٥)؛ إذ إن «منفذ الأنف إلى الدماغ وفيه غضاريف وقيل عروق تسمى

(١) مقاييس اللغة: ٥/٤٠٥.

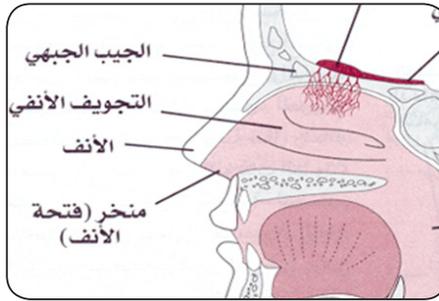
(٢) لسان العرب: ٥/١٩٧.

(٣) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ١٤٦، وخلق الإنسان، الزجاج: ٥٢.

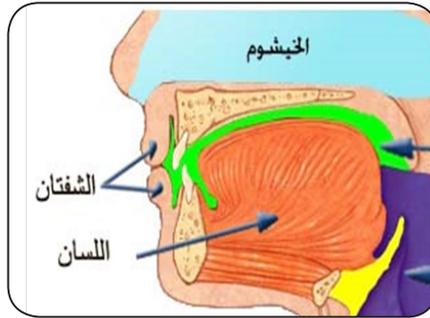
(٤) مقاييس اللغة: ٢/١٨٤. وينظر: كتاب الجرائم، أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ): ١٧٧.

(٥) قال الإمام عليه السلام في سياق الحديث عن خلق الأرض «فَسَكَنْتُ مِنَ الْمِيدَانِ بِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعِ أَدِيمِهَا، وَتَغْلُغُلُهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوَابَاتِ خَيَاشِيمِهَا، وَرُكُوبَهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرْضِينَ...»، وبالاستفادة من المعنى اللغوي فإن الخيشوم، هو منفذ الأنف إلى الرأس، واقتترانه بالجوبة وهي الحفرة، قد مكن الإمام من اظهار المبالغة في التغلغل والدخول للجبال في الأرض على الرغم من امتيازها بصفة الخيشوم وهي

الفصل الأول: المبحث الخامس الألفاظ الدالة على الأنف وما يلحق به..... ٩٩
 الخياشيم، وقيل أنها عظام رقاق في بطن الأنف»^(١)، وقيل: «خَيْشُومِ الْأَنْفِ ما فوق نُخْرَتِهِ من قَصَبَةِ أَنْفِهِ وما تَحْتَهَا من خَشَارِمِ رَأْسِهِ»^(٢)، وبعيداً عن الظن يوضح علم التشريح موقع الخياشيم، فيتبين من (الشكل ٥) أنّ الأنف مسمى للكل، وهو الشكل الظاهري البارز من الوجه، ويقع في تجويفه الخيشوم المسمى التجويف الأنفي في (الشكل ٥)، والخيشوم في (الشكل ٦)، وينماز بعمقه واحتوائه على الجيوب الأنفية المسماة الخياشيم عند أهل اللغة^(٣).



(الشكل ٥)^(٤) يوضح أجزاء الأنف



(الشكل ٦)^(٥) يوضح موقع الخيشوم

استعلاؤها على سهولها، ووجود متنفسات الهواء فيها، وبعد ذلك فإن هذا النص يؤيد رأي الباحث.

(١) خلق الإنسان، ثابت: ١٤٧.

(٢) المخصص: ١/١٣١.

(٣) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ١٤٧.

(٤) اطلس جسم الإنسان، على الشبكة العنكبوتية: www.google-iq.

(٥) المصدر نفسه.

١٠٠ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ

وتضمن استعمال الإمام للأنف الأصليين اللذين ذكرهما ابن فارس بغلبة الأول منهما، وهو غير معني بالبحث، أمّا الأصل الثاني وهو ما خصّ به الإنسان، فمنه قول الإمام عليه السلام في الشاهد الأول للأنف:

«وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْوْفَ الْمُنَافِقِينَ».

وَأَرْغَمَ أَنْوْفَ الْمُنَافِقِينَ، من رَغِمَ أَنْفُهُ أَي لصق بالرَّغَام وهو التراب، كما يقال شَمَخَ بِأَنْفِهِ، يريد رفع رأسه كِبْرًا^(١)؛ لذا اسْتَعْمَلَ الأنف في الدلالة على الدُّلِّ والعَجْز والانقياد إذا كان على كُرْهِه وغضب ومساءة^(٢)، وهو تعبير مجازي من شأنه أن يزيد من مقدرة النص التأثيرية^(٣)، وهو من أكثر الأساليب تحريكاً للتأمل العقلي وإبراز المعاني في السياق واستنطاق صورهِ الموحية^(٤)، فقد استعملت العبارة في سياق تقابل دلالي مع سابقتها، فقوله عليه السلام شدَّ ظهور المؤمنين بمعنى أوقفها فكانوا شاحخي الأنوف؛ لأن استقامة الظهر تكون بشد عضلها ويترتب على ذلك أن تكون أنوفهم عالية دالة على العزة والأنفة، على حين قال بالمقابل (أَرْغَمَ أَنْوْفَ الْمُنَافِقِينَ) أي جعل وجوههم بالتراب مجازاً فهي ذليلة وظهورهم منحنية نحو الأرض غير مشدودة، وهذا تعبير عن الدُّلِّ.

أمّا في الشاهد الثاني فقد ورد لفظ الأنف في جملة طلبية هي «امْلِكْ حِمِيَّةَ أَنْفِكَ» ويجانب الأنف طرفي الإضافة المنفصلة في (حِمِيَّةَ أَنْفِ)، والمتصلة في (أَنْفِكَ)، وبذلك فإنَّ فعل الأمر يتعلق بشيء متعلق بالأنف لا بذاته، أي حمية الإنسان التي بإمكانه تملكها، وأسلوب الأمر هذا قد عمد إليه الإمام في أغلب نص العهد؛ ليمثل

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١٤٦/١.

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٢٩/١، وغريب الحديث، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحري: ١٠٧٦/٣.

(٣) ينظر: اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود: ١٢-١٣.

(٤) ينظر: الأداء البياني في لغة القرآن الكريم: صباح عباس عنوز، ٥٥.

الفصل الأول: المبحث الخامس الألفاظ الدالة على الأنف وما يلحق به..... ١٠١

الصورة التي يريد بها الإمام فصيح الأمر تلتقي مع بعضها في الدلالة بإحالات مختلفة؛ لذا استعمل عليه السلام من وسائل الربط مع هذا الفعل الفاعلية والمفعولية في النص؛ لتبين مع القرائن الدلالة المطلوبة^(١)، يقال: «غَضِبَ الرجل... أي صار حمي قلبه إلى جِلْدَة رأسه كما قيل أَنْفَ، أي حميَ أَنْفُهُ غَضَبًا»^(٢)، فحمية الأنف في النص كناية عن الغضب والغيض بدلالة المصاحبات اللغوية في السياق، يقال: «ورجل حمي الأنف. إذا كان أنفًا يأنف أن يضام»^(٣)، أي: أنفًا وغيظًا لا يَحْتَمِلُ الصَّيْمَ^(٤)، وفي النصين المذكورين ونصوص آخر^(٥)، يستعمل عليه السلام الأنف للدلالة على الكبر وما يتعلق بها؛ لأن الأنف مسمى يقع على أشرف الشيء وطرفه لظاهر الأنف، وهو أول ما يُرى من الوجه فأشرف عليه؛ لذا جعل منه الأمام مكانًا، لظهور أثر الغضب والحمية والذلة والإعراض ابتداءً، وهذه السمات لا تتمتع بها الأجزاء الأخر الملحقة بالأنف.

ومن ذكر الإمام عليه السلام للفظ المنخر في نهج البلاغة في النصين المذكورين أنفًا يستشف الاستعمال المجازي لهذا الجزء، إذ قال في أولهما عن الماضين: «وَعَفَّرْتُهُمْ لِلْمَنَاخِرِ»، وكل الأفعال الماضية المذكورة في النص فاعلها مؤنث محذوف تقديره (هي)، أي: الدنيا، «وَعَفَّرْتُهُمْ لِلْمَنَاخِرِ» أي ألصقت مناخر أنوفهم التي يخرج منها النفس بالعفر وهو التراب حتى أدخل فيه؛ لأنه قال وَعَفَّرْتُهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، فلا يقال: وَعَفَّرْتُهُمْ لِلْأَنُوفِ؛ لأن المراد ليس مس التراب ظاهر الأنوف بل دخوله إلى داخل

(١) ينظر: عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للمالك الأشتر دراسة تحليلية في ضوء علم النص، عبد الكاظم محسن الياسري: ٧٤-٧٥.

(٢) المخصص: ٥٧/١.

(٣) العين: ٣٧٨/٨.

(٤) ينظر: لسان العرب، ٩/١٢.

(٥) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ٩٤/٢، ٢٣٨، ١/١٤١، خ ٧٢.

١٠٢ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
الأنف، واللام لا ترد مع الأنف وتحقق هذا المعنى وهذه لغة جسدية تشير إلى
المبالغة في شدة تمرير الأنوف بالتراب ذلاً وخضوعاً لأصحابها^(١)، ولذلك خصت
المنخر هنا من دون غيرها، فالإمام لم يقصد الفعل والمنخر وإنما قصد النتائج
وأصحابها^(٢).

وكان ثاني النصين كلامه عليه السلام عن الشيطان:

«طَعْنَا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزَّآ فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقَّا لِمَنَاخِرِكُمْ».

والكلام هنا عن إيذاء الشيطان ببني آدم وإلقاءه إياهم وتوريطهم وحمله لهم
على تلك الأفعال، فذكر عليه السلام أصنافاً من جراحة الأعضاء التي ارتبطت بما قبلها
من النتائج في النص فالجراحة ناسبت العيون، وذكر الحزّ وهو الذبح ناسب
الخلوق، وذكر الدق وهو كسر الشيء بأيّ وجهٍ ناسب المنخر^(٣)، لطبيعة تكوينها
الغضروفي^(٤)، وارتباطها بمعنى الذل، فضلاً عن أنّ للفعل دقّ «أصلٌ واحدٌ يدلُّ
على صغرٍ وحقارة، فالدقيق: خلافُ الجليل»^(٥)، فدقّ المنخر كناية عن شدة الذلّ
والانتهاء؛ لما يصيب الناس من أبناء جلدتهم التي منشأها جميعاً هو إغواء إبليس
وجنوده، فكان استعمال المنخر من دون غيره - وهو مدخل النفس الذي لا يرى
- مناسباً مع المعنى المراد؛ ذلك بأن مدخل النفس إذا دُقّ مات صاحبه، فضلاً عن
أن الإمام استعمل كل الأحداث في السياق على سبيل ظاهر الجسد فالطعن للظاهر
من العين وليس لأجزائها الداخلية، والحزّ لظاهر الحلقوم... الخ، وبذلك ناسب
أن يكون الدقّ للظاهر من بداية الأنف الداخلية الظاهرة للعيان كحال العين

(١) ينظر: لسان العرب: ٤/٥٨٣.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، تح: محمد أبي الفضل: ١/٢٥٩، خ ١١٠.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ١٣/١٤٤.

(٤) ينظر: اطلس جسم الإنسان: ٣٩.

(٥) مقاييس اللغة: ٢/٢٥٨.

الفصل الأول: المبحث الخامس الألفاظ الدالة على الأنف وما يلحق به..... ١٠٣
والحلقوم، ولفظ المناخر في النصين كليهما قد استعمل مجازاً لا يقصد به ظاهره،
لكنه يشعر بالانتفاء الدلالي إلى المعنى اللغوي.

ويرتبط استعمال الخيشوم عند الإمام بدلالة مختلفة عن الأنف في الشاهد المتعلق
بالخيشوم فقوله عليه السلام:

«لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا».

يظهر فيه أنّ فعل الضرب ليس بحادث في الحقيقة؛ لأنّه تعليق نفي على نفي؛
لأنّ (لو) قد جاءت شرطية أداة امتناع لامتناع، وهذا الأسلوب اللغوي متعلق
بشخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي^(١)، فيعمد المتكلم في خطابه إلى
مراعاة الظروف الخارجية التي تحيط بالخطاب^(٢)، وقد استعمل عليه السلام فعل الضرب
مع الخيشوم لأنّه جزء من الأنف ارتبط باستمرار الحياة؛ فهو عليه السلام قد أراد الضربة
المؤثرة النافذة التي تصل إلى منفذ الهواء من جسم الإنسان بضرب السيف؛ لذا
ارتبطت به حياة الإنسان وموته، ويمكن أن يكون ذكره للخيشوم احترازاً، فلو
قال: لو ضربت أنف المؤمن أو منخره، لكان ذلك أهون من ضربة الذل ومفارقة
الحياة معاً، وهذا ما يتناسب مع أهمية ما أراد الإمام تقريره من كلام جاء على لسان
النبيّ إذ قال: عليه السلام «وذلك أنّه قُضِيَ فأنقضى على لسان النبيّ الأميّ عليه السلام أنّه قال: يا
عليّ، لا يبغضك مؤمن، ولا يحبّك منافق»^(٣)، فجعل النبيّ بغض عليّ عليه السلام وحبّه
مقياساً لتشخيص الإيثار والتفان^(٤)، أمّا غرض الإمام من كلامه أن عداوة الباطل

(١) ينظر: نظرية النحو العربي، نهاد الموسى: ٨٥.

(٢) ينظر: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مدارس: ١٦٦.

(٣) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري: حديث رقم
(٦٠٤٧): ٣٤ / ١٤.

(٤) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٨٤ / ٢١.

للحق ذاتية، وما بالذات لا يتغير إلا إذا كان التغير ذاتاً للشيء وطبيعة^(١).

مما سبق يظهر أنّ ما يطلق عليه تسمية الأنف لا يؤلف إلا جزءاً من الأنف الحقيقي، لأنّ الذي لا يبدو منه جزء أكبر يسمى الخيشوم، وعلى الرغم من هذه الجزئية فإنّ الأنف مثل اللفظ المحوري في العديد منها، ويلاحظ في هذه النصوص خلو الأنف في الاستعمال من وظائفه كالتنفس والمساعدة في التصويت إلا في إشارات غير مباشرة، وعلى الرغم من التقارب الدلالي بين الألفاظ واشترائها في بعض السمات، فإنه عند الموازنة يمتنع الاستبدال بين ألفاظ الأنف وملحقاته كما تبين في تحليل النصوص، ما يثبت دقة التعبير عند الإمام عليه السلام وتفريقها عن بعضها، أما الدلالة الاستعمالية لألفاظ الأنف فقد ارتبطت بالعزة والشموخ وانعكاسها بصورة عامة، وانمازت الأجزاء الداخلية منه بدلالات انتهاء حياة الإنسان في بعض النصوص.

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣/١٥٦.

المبحث السادس

الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به

يمثل الفم البوابة الرئيسة لما يعرف اليوم بالجهاز الهضمي؛ إذ إنه يقوم بوظائف عدّة منها ما يتعلق بمضغ الطعام، ومنها ما يتعلق بحاسة الذوق، ومنها ما يتعلق بإنتاج الأصوات... الخ، وتنتمي أجزاء عدّة للفم ذكرت في نهج البلاغة هي: (الشفة، الثغر، اللهاة، الريق، اللسان، الحلق، البلعوم)، ألزمتنا أن نضعها ضمن حقل دلالي واحد وصولاً إلى دلالاتها؛ لاتصالها اتصالاً مباشراً بحياة الإنسان وتواصله في مناحيها المختلفة التي تتوقف أحياناً في أكثر الأمور على دلالة الألفاظ وفهمها فهماً صحيحاً في ميادين مختلفة من الحياة مثل الحقوق والفقهاء وغيرها^(١)، وقد مثلت الأسنان مجموعة دلالية فرعية في نهج البلاغة أشارت إلى ما بداخل الفم من أسنان من دون ذكر الوحدة الجامعة لها، وهي السن^(٢)، ومما تجدر الإشارة

(١) ينظر: نظرية الحقول الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده، جعفر عبد الحسين الزيرجاوي، (رسالة ماجستير): ٨٠.

(٢) السن: عظمة بيضاء نابتة في الفم تتكوّن من مادة صلبة هي المينا، تليها مادة أقل صلابة هي العاج ثم لب السن، وجمعه أسنان، ويستعملها الإنسان لقطع ما يأكله كما تستعمل في المضغ والتصويت (أطلس جسم الإنسان: ٦١)، والسن من الجذر (س ن ن)، وله: «أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة، والأصل قولهم سنّنت الماء على وجهي أسنّنته سنّاً، إذا أرسلته إرسالاً، ثم اشتق منه... والسنّان للرّمح من هذا؛ لأنّه مسنون، أي ممطول محدّد. وكذلك السنّاسن، وهي أطراف فقار الظهر، كأنّها سنّنت سنّاً، ومن الباب: سنّ الإنسان وغيره مشبّه بسنان الرّمح.

١٠٦ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة
إليه أن إظهار الأسنان قد ساعد القدماء كثيراً على تمييز ما إذا كان الغريب صديقاً
أم عدواً، غاضباً أم ضاحكاً^(١)، فهي غالباً ما تكون استجابة تداولية في الكلام
ينضوي ورائها قصد معين^(٢) وفي هذا الحقل الدلالي سندرس الألفاظ التي تشير
إلى أسنان الإنسان كما وردت في نصوص نهج البلاغة، وهي: (ضرس، ناب،
ناجد، سنخ^(٣))، وستدرس ألفاظ هذا المبحث على ثلاث مجموعات، الأولى: تمثل
مسميات الفم، والثانية: تمثل ما يلحق به من أسنان، والثالثة: تمثل ما يحتويه الفم
من الأجزاء الأخر.

المجموعة الأولى:

تتضمن الألفاظ الدالة على تسمية الفم، وما يحيط به وهي (الفم، الشفة، الثغر)،
ومن شواهدنا:

- الفم: ورد ذكره خمس مرات لإنسان في كلام الإمام عليه السلام^(٤)، منها قوله إلى عبد
الله بن زمعة:

«إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيَّ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ،
فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَازَةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ
أَقْوَاهِهِمْ...»^(٥).

والسنون: ما يُسْتَاك به؛ لأنه يُسَنُّ به الأسنان سنّاً... ويرجع إلى الأصل الذي أصلناه»، (مقاييس
اللغة: ١/ ٦٣).

- (١) ينظر: أسرار لغة الجسد: ١٣٨.
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ١٤١.
(٣) جاء ذكر (السنخ) مرة واحدة في النهج لغير الإنسان في قوله عليه السلام: «لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْحَاصِلٌ،
وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ». لذلك سوف نعرض عن دراسته، والسنخ: أصل كل شيء، فالسنخ:
الأصل، وأسناخ الثنايا: أصولها، كما جاء في العين: ٤/ ٢٠٠.
(٤) ينظر: نهج البلاغة: ٢/ ٣٩، خ ٢١٦، ٢/ ٣١، ك ٤٧، ٢/ ٣١٦، ح ٤٠.
(٥) المصدر نفسه: ٢/ ٦٠، خ ٢٢٧.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١٠٧

وقوله عليه السلام في أصناف الناس:

«وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَأَقَ دُمُوعُهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَتَكْلَانٍ مُوَجِعٍ، قَدْ أَحْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةَ، وَشَمِلَتْهُمْ الدَّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرِ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا»^(١).

- الشِّفَّة: ذكرها الإمام عليه السلام خمس مرات^(٢)، ومنها قوله في بيان قدرة الخالق:

«وَمَا اعْتَقَبْتُ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَاجِيرِ، وَسُبْحَاتُ الثُّورِ، وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجَعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةِ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ»^(٣).

وقوله عليه السلام في وصف المتقين:

«مُرَّةُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، حُمُصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ، عَلَى وَجْهِهِمْ غَبْرَةٌ الْخَاشِعِينَ، أُولَئِكَ إِخْوَانِي»^(٤).

- الثَّغْرُ: ورد ذكره مرة واحدة لما يخص الإنسان، وهي قول الإمام عليه السلام إلى بعض

عَمَّالِهِ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاخْلَطِ الشَّدَّةَ بِضَعْفٍ مِنَ اللَّيْنِ...»^(٥).

ويمكن تلخيص معاني هذه الألفاظ في اللغة بالآتي:

(١) المصدر نفسه: ١/ ٨٨، خ ٣٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٨٥، خ ١٦٤، ٢/ ٢٢٨، ك ٤٥، ١/ ٣٠٢، خ ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٢٥٠، خ ٩٠.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٢٨١، خ ١٢٠.

(٥) المصدر نفسه: ٢/ ٢٢٩، ك ٤٦.

١٠٨ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

والفم منها قد ذكر له ابن فارس أصلين لغويين، الأول (فم) وعقب بآنَّ «الفاء والميم ليس فيه غير الفم، وليس هذا موضعه، لكن حكي فمُّ بالضمِّ والتشديد»^(١)، والآخر (ف و هـ) وله «أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تفتُّحٍ في شيءٍ، من ذلك الفَوَه: سَعَة الفم... ويقول أهلُ العربية: إِنَّ أصلَ الفم فَوَهٌ، ولذلك قالوا: رجلٌ أفوه... وزعم ناسٌ أن الفَوَه أيضاً: خُروجُ الشَّيَا العُلْيَا وطولُها... والفُوه: واحد أفواه الطَّيِّب... كأنَّه لما فاحت رائحتهُ فاه بها، أي نطق»^(٢)، وفي خلق الإنسان الفم: اسم جامع لجملة الشفتين والأسنان وما فيه من الأحناك واللسان^(٣)، والمثنى فَمَوَان، والجمع أفواه، والفعل فَاهَ يَفُوهُ^(٤)، وكان لفتحة الفم في خلقها ما يشرف عليها، وهي الشَّفَّة: ولها أصل «يدل على الإشراف على الشيء... وشَفَى كلُّ شيءٍ: حَرَفَه... وأما الشَّفَّة فقد قيل فيها إن الناقص منها واوٌ، يقال ثلاث شَفَوَات، ويقال رجلٌ أَشْفَى، إذا كان لا ينضمُّ شفتاه، كالأرْوَق، وقال قوم: الشَّفَّة حذفت منها الهاء، وتصغيرها شُفْيَهة، والمشافهة بالكلام: مواجهةٌ من فيك إلى فيه، ورجل شُفَاهِيٌّ: عظيم الشفتين، والقولان محتملان، إلَّا أنَّ الأول أجود لمقاربة القياس الذي ذكرناه، لأنَّ الشفتين تُشْفِيَان على الفم»^(٥)، ويذكر ابن فارس الشفة مع الجذر (ش ف ي)، والرأي الثاني نجده عند ثابت في خلق الإنسان ويجعل من قول الأصمعي دليلاً على ذلك فقد قال الأصمعي: «في الفم الشفتان، والواحدة شَفَّةٌ-منقوصة لام الفعل-وكان ينبغي أن تكون شفهةً... ويدلُّك على ذلك أنهم صغروها، فقالوا: شُفْيَهةٌ، فيردوها إلى أصلها،

(١) مقاييس اللغة: ٤/٤٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ٤/٤٦٢.

(٣) ينظر: خلق الإنسان، الزجاج: ٥٦، وخلق الإنسان، الأصمعي: ١٩١.

(٤) ينظر: العين: ١/٥٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٦/٣٨٨.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به..... ١٠٩

ويجمعون فيقولون: شفاهٌ كثيرةٌ، فالهاء من شفاه هي الأصلية»^(١)، ويبدو أن ابن فارس قد اعتمد دلالة التعميم؛ لأنه لم يجعل أصل الشفة (شفه) من حافتي الفم، والباحث يميل إلى الرأي الثاني؛ لأنه مأخوذ فيه معنى الكلام، وهذا ما يطابق الاستعمال في النهج، فضلاً عن قلة استعمال صيغة الجمع شفوات؛ فمن «المعروف في جمع شَفَةٍ شِفَاهٌ مَكْسَرًا غَيْرَ مُسَلَّمٍ، ولامه هاء عند جميع البصريين، ولهذا قالوا الحروف الشَّفَهِيَّةُ ولم يقولوا الشَّفَوِيَّةُ، وحكى الكسائي إنه لَغَلِيظٌ الشَّفَاهِ كَأَنَّهُ جَعَلَ كُلَّ جِزءٍ مِنَ الشَّفَةِ شَفَةً ثُمَّ جَمَعَ عَلَى هَذَا... قال الليث: إِذَا تَلَّثَوَا الشَّفَةَ قَالُوا شَفَهَاتٍ وَشَفَوَاتٍ وَالْهَاءُ أَقْبَسُ وَالْوَاوُ أَعَمُّ لِأَنَّهُمْ شَبَّهُوا بِالسَّنَوَاتِ، وَنُقْصَانُهَا حَذْفُ هَائِهَا»^(٢)، وبالرجوع إلى معنى الشفة فإنَّ الشفتين هما طبقتا الفم^(٣)، وهما ما يغطيان فمحتة، ولهما دور كبير في عملية التصويت.

وأما الثغر فيرجع إلى الجذر (ث غ ر) وله «أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تَفْتُحٍ وانفراج... وَتُغْرَةُ النَّحْرِ الْهَرْمَةُ الَّتِي فِي اللَّبَّةِ، وَالْجَمْعُ تُغْرٌ... وَالثَّغْرُ ثَغْرُ الْإِنْسَانِ»^(٤)، ويقال: «انثغر الصبي: سقط بعض ثغره، وانثغر الثغر أي انثلم»^(٥)، ومما سبق يلاحظ اشتراك هذه الألفاظ الثلاثة المذكورة بسمه التفتح بغض النظر عن شكلها.

أما لفظ الفم الذي استعمله عليه السلام في نهج البلاغة لما يخص الإنسان، فطالما كان أصله اللغوي دافعاً له نحو الحاجة في الاستعمال، ومن ذلك قوله إلى عبد الله بن زمعة:

«وَالْأَفْجَنَاءُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ»^(٦).

(١) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ١٥٢.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٣/٥٠٦.

(٣) ينظر: المخصص: ١/١٣٨.

(٤) مقاييس اللغة: ١/٣٧٩.

(٥) العين: ٤/٤٠٠.

(٦) نهج البلاغة: ٢/٦٠، خ ٢٢٧.

١١٠ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

وعبد الله من شيعته عليه السلام وقد قَدِمَ عليه في خلافته يطلب منه مالاً من قِيءِ الْمُسْلِمِينَ، فقال له الإمام هذا الكلام، ويلحظ في النص أن الإمام لما عَبَّرَ عَمَّا يُجْنَى وهو مرتبط بقطف الثمار ناسب أن يوضع معه لفظ الأفواه لدلالة تفتُّحها، وأكثر ما يستعمل الجنى فيما كان غَضًّا^(٧)، قال تعالى:

﴿مُتَكِّبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّأَيْنَهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾^(٨).

فعبّر الإمام بالأفواه عن حاجة أصحابها؛ وذلك التماساً لأيسر السبل في الخطاب؛ لأنَّ الناس في حياتهم العامة يقنعون في فهم الدلالات بالقدر التقريبي الذي يحقق هدفهم^(٩)، وفي الشاهد الثاني للفم يذكر الإمام عليه السلام علاقة الانعكاس لإحدى وظائف الفم وهي الكلام في قوله: «رِجَالٌ... أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ»، وَضَمَرَ، أي: سكت ولم يتكلم، ويقال للرجل إذا جَمَعَ شِدْقِيهِ فلم يتكلم قد ضَمَرَ^(١٠)، قال ابن منظور «وفي حديث عليّ كرم الله تعالى وجهه «أفواههم ضامِرَةٌ وقلوبهم قَرِحَةٌ» الضامِرُ الْمُسْكُ»^(١١)، وهذا معاكس لدلالة أصل الفم إذ قالوا: فاه الرّجلُ بالكلام يَفُوهُ به، إذا لَفَظَ به، والمُفُوهُ: القادر على الكلام^(١٢)، وهذا الانعكاس في العلاقة الدلالية لا بد له من مسوّغ، وهو في النصّ علة لا تتعلق باللسان ذكرت قبل التركيب فإمساك الأفواه عن أداء وظيفتها الكلامية هو إشارة إلى الخوف والفرع الذي أصاب أصحابها، وقد استعمل الإمام في النصّ لفظ الفم

(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١/ ١٠١.

(٨) الرحمن: من الآية ٥٤.

(٩) ينظر: دلالة الالفاظ، إبراهيم أنيس: ١٥٥.

(١٠) ينظر: لسان العرب: ٥/ ٣٦٥.

(١١) لسان العرب: ٥/ ٣٦٥.

(١٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/ ٤٦٢.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١١١
لدلالة السكوت؛ ذلك أن الفعل (ضمز) يدلُّ على إمساكٍ في كلام^(١)، وفي النصِّ أُريد به التعبير عن شدَّة السكوت لتجسيد الخوف عند صنف من الرجال يسكتون خشية من الله أن يقولوا ما لا يُرضيه ذكرهم أمير المؤمنين في السياق وهم المتقون، وبذلك فإن النهج الاستعمالي للفظ الفم، في هذه النصوص ونصوص أُخر^(٢)، قد تعلق بالكلام ودلالاته، والتعبير عن الحاجة؛ لأنه اسم جامع لوظائف أجزاء التصويت والمضغ.

ومن الأجزاء الخارجية للفم التي استعملها الإمام: الشفتان، وقد ارتبطت دلالات هذا الجزء من الإنسان بما يعتره من الحركات كلياً، ومن ذلك ما جاء في بيان قدرة الخالق بقول الإمام (عليه السلام) في الشاهد المذكور آنفاً للفظ:

«وَمَا عَتَقَبْتُ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَاجِيرِ... وَرَجَعُ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكُ كُلِّ شَفَةِ».

وقد جاء لفظ الشفة في سياق حشد نوعي للأصوات، فكانت حركة الشفة مما لا صوت من الصدر ولا جهازة في المنطق فهي من الأصوات الخفية على الإنسان الظاهرة عند ربه^(٣)، لأنَّ الله خلق له لساناً يترجم به ما يريد قوله، وشفتين يستعين بهما على النطق، وقد جُمع اللسان والشفة في إحدى آيات الذكر الحكيم بقوله تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾^(٤).

ومن قراءة السياق واستحضار الوظيفة لهذا الجزء من الفم، يبدو أنَّ حركة الشفة المقصودة هي الحركة المنافسة للقول أو ما تنصوي تحت غرض خطابي، أما في النص الآخر فيصف الإمام الشفاه بالذبول في قوله: «ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ»،

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٣٧١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ٢/ ٣٩، خ ٢١٦، ٢/ ٣١، ك ٤٧...

(٣) ينظر: لسان العرب: ٦/ ٢٥٠.

(٤) (البلد: ٨، ٩).

١١٢ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

وقد مثل هذا التركيب البؤرة الحاملة للمعلومة التي يتقاسم معرفتها المتكلم والمخاطب^(١)؛ إذ جاء هذا الكلام في وصف المتقين، وذبول شفاههم لجفافها وبياس ريقها وتهذُّها^(٢)؛ نتيجة المواظبة في الذكر، فالشفتان في النص تُظهران كثرة خروج الكلام غير المسموع من الجهاز اللغوي عند الإنسان، ولم يبتعد عليه السلام في جميع ما ذكره عن الأداء الصوتي الخفي لهذا الإطار الفموي، أي التمتمة في نصوص أُخر دُكر فيها اللفظ^(٣)، ولم يستعمل اللسان مثلاً، وقد اقترنت أحوال هذا النوع من الكلام بالشفة؛ لأنَّ الشفتين تُشفيان على الفم^(٤)، فهي بمثابة صمام أمان له.

أمَّا استعمال الثغر عند الإمام، فكان مرتين، اقترن بجزء من الفم في واحدة، والأخرى مطلقة^(٥)، والأولى وردت في قوله عليه السلام إلى بعض عماله:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَيْمِمْ، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ المَحْجُوفِ».

ويلحظ اقتران لفظ اللهاة بالثغر في النص، واللهاة: قطعة لحم مدلاة في سقف الفم على باب الحلق، قرنها بالثغر تشبيهاً له بفم الإنسان وانفراجه^(٦)، وهذا ما يسوغ نسب الثغر إلى الإنسان على الرغم من اختلاف السياق، فلا شك

(١) ينظر: اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل: ١٥٤.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١١/٢٥٥.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ١/٣٨٥، خ ١٦٤، ٢/٢٢٨، ك ٤٥، ١/٣٠٢، خ ١٢٩.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/١٩٩.

(٥) وردت في كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي وقد خان في بعض ما وَّلاه من أعماله «لَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشَسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُفَقَدَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعَلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ» (نهج البلاغة: ٢/٢٩٦، ك ٧١).

(٦) ينظر: نهج البلاغة: تح: فارس الحسون: ٦٨٧.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١١٣
 أنّ في المصاحبات اللغوية في سياق النص للفظ الثغر لا تجعل قارئها يظن - ولو
 وهلة - أنّ المقصود بالثغر غير ثغر الإنسان، لكن الثغر في عرف الإدارة والحكم
 هو الفرجة التي يُحشى طروقُ الأعداء أو دخولهم منها في النص، والثَّغْرُ الفَرْجُ
 من فُروج البُلْدان، وثغر العدو: ما يلي دار الحرب^(١)، وهذا الاستعمال لا يتعد
 عن المعنى اللغوي المذكور آنفًا؛ إذ استعمل عليه السلام لفظ (الثغر) من دون (الفم)؛
 لأن الأصل اللغوي للثغر يدلّ على الانفتاح والانفراج، وهو ما يعالج بالسدّ
 المنصوص عليه بالفعل (أسدّ) في السياق.

المجموعة الثانية:

تتضمن الألفاظ الدالة ما يلحق بالفم من الأسنان، وهي (الضرس، الناب،
 الناجذ)، ومن شواهداها:

- الضرس: ورد الضرس مرتين، ومنها قول الإمام عليه السلام في أبغض الخلائق عند الله:
 «جَاهِلٌ خَبَّاطٌ جَهَالَاتٍ، عَاشَ رَكَّابٌ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعْصَ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ
 قَاطِعٍ، يُذِرِي الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيْحِ الْهَشِيمِ...»^(٢).

وقوله عليه السلام يحض أصحابه على القتال:

«فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخْرُوا الحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى الأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ
 عَنِ الهَامِ، وَأَلْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرَّمَاكِ فَإِنَّهُ أَمُورٌ لِلأَسِنَّةِ وَعُضُّوا الأَبْصَارَ فَإِنَّهُ
 أَرْبَطٌ لِلْجَاشِ وَأَسْكَنٌ لِلْقُلُوبِ»^(٣).

- النّاب: جاء ذكره فيما يخص الإنسان مرتين، منها قول الإمام عليه السلام لأهل الكوفة:

«لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ فَإِذَا

(١) العين: ٤٠٠ / ٤.

(٢) نهج البلاغة: ١ / ٥٦، خ ١٧.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٢٨٧، خ ١٢٤.

فَعَرَّتْ فَاعِرْتُهُ... عَصَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْبِيَائِهَا، وَمَا جَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا...»^(١).

وقوله عليه السلام في كلام يحثّ به الناس على ترك الدنيا:

«يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا فَإِنَّ الْمَعْرَجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ
أَنْبِيَابِ الْحِدْثَانِ»^(٢).

- الناجذ: ذكر الناجذ ثلاث مرات^(٣)، منها قول الإمام عليه السلام لأصحابه قبل
مواجهة الخوارج وهم مقيمون على إنكار الحكومة:

«هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ... الزُّمُومَا طَرِيقَتِكُمْ، وَعَعَضُوا عَلَى
الْجِهَادِ بِنَوَاجِدِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقِ نَعَقٍ»^(٤).

وقوله عليه السلام في تعليم الحرب والمقاتلة في بعض أيام صفين:

«مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: اسْتَشْعِرُوا الْحُشْيَةَ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَعَضُوا عَلَى
النَّوَاجِدِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلْسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمَلُوا اللَّامَةَ، وَقَلِقُوا السُّيُوفَ فِي
أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا...»^(٥).

ويمكن أن نلخص الفارق اللغوي بين تلك الألفاظ، بأنّ الضرس من
الجزر (ض ر س)، وله «أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قوّةٍ وخشونةٍ وقد يشدُّ عنه ما
يخالفه؛ فالضرس من الأسنان، سمّي بذلك لقوّته على سائر الأسنان، ويقال ضرسه

(١) المصدر نفسه: ١/٢٢٦، خ ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٣٨٨، ح ٣٦٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/٤٦، خ ١١.

(٤) المصدر نفسه: ١/٢٨٣، خ ١٢١.

(٥) المصدر نفسه: ١/١٣٢، خ ٦٥.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١١٥
يَضْرُسُهُ، إذا تناوله بِضْرُسِهِ...»^(١)، ويجمع الضرس على ضروس^(٢)، وأضراس^(٣).

وهناك نوع آخر للأسنان يسمى النَّاب، قال الخليل عنه: «الناب: السنّ الذي خلف الرباعية، وهو الناب مذكر»^(٤)، أمّا في (خلق الإنسان)، فيقول ثابت: «ثم يلي الرَّبَاعِيَّاتِ الأَنْبَابُ وهي أربعة نابانٍ من فوق ونابانٍ من أسفل ثم يلي الأَنْبَابِ الضَّوَاهِكُ وهي أربعُ أضراسٍ إلى كل نابٍ من أسفل الفم وأعلاه ضاحك»^(٥)، وجمع ناب: أنيابٌ، وأنابيبٌ جمعُ كَأْبِيَّاتٍ وأبائيت، وقيل: نُيُوب^(٦)، ومن أشكال الأسنان التي اختلف في موقعها الناجذ، وهو من الجذر (ن ج ذ) عبّر عنه ابن فارس بأنه «كلمةٌ واحدة. والنَّاجِذُ: السنُّ بين الناب والأضراس، ثم يستعار فيقال للرَّجُلِ: المنجذ، وهو المجرب... ويقولون: إنَّ الأضراس كلها نواجذ... لأنَّهم يقولون: ضَحِكَ حَتَّى بَدَأَ نَاجِذَهُ، فلو كان السنُّ الذي بين النَّابِ والأضراس لم يُقَلِّ فيه هذا؛ لأنَّ ذاك بادٍ من أدنى ضَحِكَ»^(٧)، وفي خلق الإنسان يخالف ثابت هذا الرأي بقوله: «النواجذ أربع أضراس، وهي آخر الأضراس نباتاً والواحد ناجذ»^(٨)، ووافق ابن فارس في الرأي أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ)^(٩) بقوله: «النواجذ: الأضراس

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ٣٩٥. وينظر: خلق الإنسان، الأصمعي: ١٩١، وخلق الإنسان، الزجاج: ٥٦.

(٢) ينظر: العين: ٧/ ١٩.

(٣) ينظر: المخصص: ١/ ١٤٦.

(٤) العين: ٨/ ٣٨١.

(٥) خلق الإنسان، ثابت: ١٦٦.

(٦) ينظر: المخصص: ١٤٦.

(٧) مقاييس اللغة: ٥/ ٣٩٢.

(٨) خلق الإنسان، ثابت: ١٦٦.

(٩) وهو من علماء البصرة في القرن الثالث الهجري، اسمه سهل بن محمد بن عثمان، وأبو حاتم كنية له،

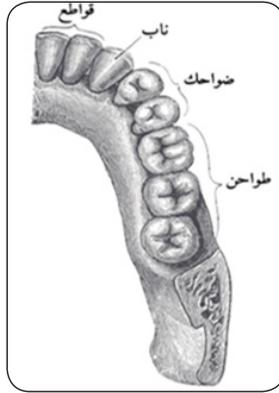
وله كتاب في خلق الأسنان، لكنه مفقود، ونقل عنه أكثر أئمة اللغة. (ينظر: بغية الوعاة في طبقات

اللغويين والنحويين، السيوطي: ١/ ٦٠٧، والفهرست، ابن النديم: ٩٣).

١١٦ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

كلها»^(١)، وعلى ذلك فالنواجذ أقصى الأضراس في أقصى الأسنان، وتسمى ضرس الحلم، وهذا الرأي هو الراجح عند الباحث هذا الرأي؛ لأن ضرس الحلم ينبت بعد البلوغ وكمال العقل فيكون آخرها^(٢)، و(الشكل ٨)^(٣) يبين هذه الأجزاء بصورة أكثر وضوحاً، أما تسمية الأضراس بالضواحك؛ فلأنها تكون واضحة للعيان عندما يضحك الإنسان، وموقعها في الفك بين الأنياب والأضراس المسماة بالطواحن في الشكل التوضيحي على الرأي الأول الذي ذكره ابن فارس.

ومن تأمل للنصوص المذكورة آنفاً، يتبين أن لفظ الضرس قد ارتبط بفعل للإنسان في الاستعمال، وهو الفعل (عَضَّ)، فقوله عَضَّ: «لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ»، يُلاحظ فيه استعمال الضرس مع العلم في النص مجازاً؛ لأن الإمام أراد قوة الضرس لا الضرس نفسه، فجعل من العلم شيئاً مادياً، فقوله لم يعض يريد أنه «لم يتقن ولم يحكم على الأمور»^(٤) بقوة امسাকে لها، وقد اختار الإمام الضرس من دون غيره؛ لأن من سماته القوة على سائر الأسنان فيكون الإمساك بها أنسب للشيء المعنوي.



(شكل ٨) يوضح أنواع الأسنان

(١) المخصص: ١/١٤٧.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٣/٥١٣.

(٣) أطلس جسم الإنسان، على الشبكة العنكبوتية.

(٤) نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١/٢٨٦.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به..... ١١٧

وإذا نظرنا إلى النص الثاني وقرأنا منه عبارة «وَعَضُّوا عَلَى الْأُضْرَاسِ»، نجد أنّها وردت في سياق حَضِّ أصحابه على القتال ضمن جملة نصائح يوجه الإمام إلى الالتزام بها، ومنها العَضُّ على الأضراس، ويعلّل ﷺ بأنّه أنبى، وهي صيغة أفعال التفضيل من (نَبَأَ السيف) إذا دَفَعْتَهُ الصلابة من موقع فلم يَتَقَطَّعْ، وذلك من شأنه أن يَصْلُبَ الأعصاب والعضلات المتصلة بالدماغ فتخشن^(١)، وقديماً قالوا: إنّ العاضّ على نواجذه ينبو السيف عن دماغه؛ لأنّ عظام الرأس تشتد وتصلب، فلا يبلغ السيف منه مبلغه فيما لو صادفه رخواً^(٢)، والسياق يسعف هذه الدلالة؛ لأنّ الإمام قد نصح أصحابه بحركات جسدية تقيهم بعض الضّرر وتدفع ضعف العزيمة، فذكر في السياق نفسه ما معناه أنعطفوا وأميلوا جانبكم لتزلق الرماح ولا تنفذ فيكم أسنّتها^(٣)، وهذا ما يناسب الدلالة المذكورة للنص، ويلحظ أن الإمام في كلا النصين أراد في استعماله للأضراس القوة المتحصلة من انطباقها المحكم مقارنة بالأسنان الأخرى، وما يعزّز هذه الدلالة استعمال الفعل عَضَّ بمعنى الشدُّ بالأسنان على الشيء مصاحباً للفظ في النصين كليهما.

وبالانتقال إلى شواهد لفظ الناب، فإنه ﷺ لم يستعمل الناب بدلالته الحقيقية للإنسان، لكنّه ورد فيما يخصه، وأمّا الصيغة التي تم تداولها فهي الجمع على صيغة (أفعال) فقط؛ إشارة إلى قلة هذا النوع من الأسنان، ويلحظ انتقال سمة تعلق بالأضراس قد أصبحت عنصراً مشتركاً بين الناب والضرس في قول الإمام ﷺ:

«عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا».

ففي هذه العبارة إذ استعير الناب وفعله المصاحب للفتنة، فكأن أهواها ناب

(١) ينظر: نهج البلاغة، تح: فارس الحسون: ٢٣٧.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤ / ٨.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، تح: فارس الحسون: ٢٣٧.

١١٨ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة
يعض من تربي على أكلها وكان أحد أقطابها^(١)، ويرجع سبب توظيف اللفظ
هنا إلى حدة هذا النوع من الأسنان وشكله المخروطي، وشهرتها بأسبقية القطع
والتمزيق، وهذا ما يلائم الوعد والوعيد في النص؛ فقد أراد عليه السلام شدة تأثيرها.

وفي الشاهد الآخر استعار الأمام صوت الأنياب بقوله:

«لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيْفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ».

فالصريف في الأصل صوت الأسنان عند الاصطكاك من رعدة^(٢)، والحدثان:
النواب^(٣)، والنابئة «النازلة، يقال: ناب هذا الأمر نوبة، أي: نزل، ونابتهم نواب
الدهر»^(٤)، وفي النص قصد به الإمام موت الإنسان، وهذا التعبير يقال عند كل
خطب وداهية؛ لأن في مثل هذه الحالات يصدر الصريف^(٥)، ويتبين من غرض
الحكمة والمصاحبات اللغوية أنّ الإمام أراد فزع الإنسان إذا تناوبته المنية، أمّا
ما يميّز استعمال الأنياب هنا من دون الأسنان الآخر فهو طولها وشكلها المشبه
بسنان الرمح المتميز عن سائر الأسنان، ما يجعلها الوحيدة التي تصدر صوتاً عند
ردة برد أو رعدة خوف، ولا يظهر صوت سائر الأسنان الأخرى؛ لأنها أقصر
منه، ويبدو أنّ الناب استعمل مع الفتنة والدنيا وكأنه عليه السلام يريد أن يلفت النظر إلى
فعل الفتنة والدنيا وأثرها في تمزيق من تقع عليه، أو يغتر بالدنيا؛ لشهرة الأنياب
بوظيفتي القطع والتمزيق، فهي أول الأسنان حدة في التأثير على الإنسان.

أمّا النواجذ فقد لازم استعمالها فعل إنساني حركي في جميع السياقات التي ورد

(١) ينظر: نهج البلاغة، تح: هاشم الميلاني: ١٨٥.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل: ٣٨٨/٢.

(٣) ينظر: نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه، اعداد دار التعارف للمطبوعات: ٤٠٥.

(٤) العين: ٣٨١/٨.

(٥) ينظر: شرح حكم أمير المؤمنين، عباس القمي: ١٧٩.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١١٩
فيها اللفظ أيضاً، وهو فعل العَضِّ، ومثال ذلك قوله ﷺ في الشاهد الأول للفظ:
«وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ يَتَوَاجِدُكُمْ».

فهو كناية عن المبالغة في والحرص على الجهاد وقوة التمسك به^(١)؛ لأنَّ النَّجْدُ: شِدَّةُ الْعَضِّ^(٢)، والجهاد شيء معنوي لا يتفق وفعل العَضِّ، لكنَّه جاء في السياق لازمة من لوازم إدامة الانتصار على الخصم؛ فهناك طرف آخر يحاول الإضلال، وهو المعبر عنه بالناعق في السياق اللغوي، وقد عمد الإمام إلى الأسلوب الكنائي؛ لأنَّ «الصورة الكنائية تولد إقناعاً أكبر بالمعنى الذي تشير إليه، بتوكيده وتقريره في نفس السامع، لأن النفس يكون تقبلها للمعاني أسرع وأكد إذا كانت مشفوعة بالشاهد والدليل»^(٣)؛ لذا فالإمام قد سبق اللفظ بخطاب العقل في سياق النص.

أمَّا في النص الأخير، فقد جاء قوله:

«وَعَضُّوا عَلَى التَّوَجُّدِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْأَهَامِ».

في سياق تعليم الحرب والمقاتلة في بعض أيام صيفين، والمراد من عَضِّ الرَّجُلِ على أسنانه اشتداد أعصاب رأسه وعظامه، لذا يوصى به عند الشدَّة؛ ليترجم إلى لغة القوة والحمية والصبر في المعركة؛ فمن عادة الإنسان إذا حمي واشتد غيظه على عدوه أن يعضَّ على أسنانه^(٤)، وبطبيعة الحال فإنَّ الإمام في هذا السياق أراد التركيز على القيمة الدلالية للفظ وهي القوة والصلابة المنبثقة عن الناجذ وفعله على الرغم من المعاني المتنوعة التي يمكن أن يدل عليها اللفظ وهذا ما يخلق له قيمة حضورية

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ١٤٥ / ٨.

(٢) العين: ٩٥ / ٦.

(٣) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ): ٥٧.

(٤) ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٦٠.

١٢٠ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

عن طريق الاستعمال^(١)، والملاحظ أنه عليه السلام وظّف الناجذ في سياقات الحرب في كلا النصين؛ لأنّ المقاتل يبدي قوته وغضبه بإظهار النواجذ تشبيهاً بالأسد أو الذئب عندما يهجم على فريسته، فضلاً عن أنّ الناجذ فهو دال على القوة بنفسه وارتباط الفعل عَضّ به ألزم لأنّ النجذ: شدة العض، ويبدو أنّ التقارب الدلالي واضح في استعمال الضرس والناجذ؛ إذ استعمل اللفظين المصاحبة اللغوية (عَضّ) نفسها في الشاهدين، لكنّ استعمالها بمصاحبات (العلم، والجهاد) كان لدلالة الإمساك والتمسك على التوالي، واستعمالها في العَضّ عليها ذاتها كان لدلالة شد العزيمة مع الأضرار؛ لأنّ التعبير بالأضرار يدل على الضغط على الأسنان عامة، وتقوية الرأس ووقاية صاحبه مع النواجذ؛ لأنّ التعبير بالعَضّ بالنواجذ فيه دلالة القوة والشدة، فالعَضّ بالنواجذ يفسر به دلالة الإمساك المحكم بالأسنان عامة؛ لأنها آخر الفك^(٢)، فانطبق آخرها يعني انطباقها كلها، وهذا ما يتناسب مع قوة البأس التي أرادها الإمام لمواجهة من أحدث الفتنة في سياق الحديث عن حرب صفين ومحاربة الخوارج ممن كانوا مسلمين؛ لأنّ هؤلاء أشدّ وقعاً على الإسلام، فتطلب الحال استعمال أقصى درجات الشدّة.

وبعد دراسة الألفاظ التي تشير إلى الفم وما يلحق به، يلاحظ ارتفاع نسبة شيوع لفظ اللسان مقارنة بما ينتمي إليه وهو الفم الذي ورد أربع مرات فقط لما يخص الإنسان، وتميز الفم بعلاقة العموم لألفاظ الحقل الأخرى، فجاء بدلالات جامعة لما يقع ضمنه من أجزاء بالتعبير عن حاجة الإنسان من المأكّل والمشرب والكلام.

وقد اقترنت أحوال الكلام بالشفة، فهي بمثابة صمام أمان له، وهذا ما أتاح

(١) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر: ٢٦٤.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٣/٥١٣.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١٢١
للإمام تجسيد رؤاه في منظور ديني واجتماعي، فاستعمل الشفتين للدلالة على الكلام الخفي، واقرنت أحوال النطق باللهاة وذلك بنفي النطق عن العلي القدير. أمّا النصوص التي وظّف فيها الإمام لفظ الحلق، فإنّ استعماله فيها قد ارتبط في الأصل بدلالة الجارحة التي قال بها الراغب، وإن ارتبطت بعلاقات معينة مع دلالة التنحية للحزن والرأس في الأصل الأول الذي قال به ابن فارس^(٣).

ويظهر من قراءة النصوص الوارد فيها لفظ الريق أن دلالة استعماله قد ارتبطت بالأذى من الصبر والموت، وذلك بذكر حركات الريق في الفم، التي قد تكون إرادية أو غير إرادية كما يلحظ اختصاص لفظ الحلق بالتعبير عن الحزن ومفارقة الحياة، وانماز كل من لفظي البلعوم والشعر بعلاقة عكسية مع الأصل اللغوي في التعبير عن الدلالة المذكورة في تحليل النصوص.

أمّا اللسان فعلى الرغم من اقترانه بإحدى حواس الإنسان وهي حاسة التذوق، وكثرة تداوله في النهج، لكننا لم نجد للتذوق أدنى توظيف يذكر، إذ يلحظ أن الإمام عليه السلام لم يستعمله إلا بوصفه آلة الكلام مرة وبوصفه الكلام أو اللغة مرة أخرى، وأبرز دلالاته تكاد أن تكون محصورة في الكلام وأنواعه وكييفياته ونسبته...، ولا غرابة في ذلك فالمعاني السياقية للكلمة الواحدة تتعدّد بتعدّد السياقات التي تردّ فيها، والدلالة من خصائص الجملة، والجملة لا تتوافر إلا بتوافر التركيب^(٤)، وما أكثر التراكيب التي ورد فيها لفظ اللسان في نهج البلاغة.

ويظهر في استعمال ألفاظ الأسنان أن للفعل عَضّ دوراً هاماً في تجهيز الدلالة للألفاظ المصاحبة له، أمّا إذا نظرنا إلى استعمال ألفاظ الأسنان المذكورة فيمكن الخروج بحصيلة دلالية استعمالية وظفت في مجال الموت والقتال والعلم بنسبة أقل،

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٩٨/٢، والمفردات في غريب القرآن: ٢٥٨/١.

(٤) ينظر: السياق والنص الشعري من البنية الى القراءة، علي آيتا وشان: ٤٥.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١٢٣

مِحَاقًا، وَجَنِينًا وَرَاضِعًا، وَوَلِيدًا وَيَافِعًا، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا، وَلِسَانًا لَافِظًا، وَبَصْرًا لَاحِظًا، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا...»^(١).

وقوله عليه السلام عن الرسول:

«... كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ»^(٢).

- الرِّيق: ورد مرتين، وهما قول الإمام عليه السلام يشكو الله قريشاً:

«فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا ذَابٌ وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَصَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَعْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْعَيْظِ...»^(٣)، وقوله عليه السلام في الظلم:

«لَيْنٌ أَمْهَلَ اللَّهُ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ، وَيَمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ»^(٤).

- اللِّهَاء: ذُكِرَ هَذَا اللَّفْظُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ^(٥)، إِحْدَاهَا فِي قَوْلِ لَهُ عليه السلام يَحْمَدُ اللَّهُ وَيَنْفِي

وصفه:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ، لَا يَدْرِكُ بِوَهْمٍ وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ... الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدْوَاتٍ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ...»^(٦).

وقوله عليه السلام عن الخالق عز وجل:

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٦٠، خ ٨٢.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢١٥، خ ٩٥.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٢١٦، خ ٩٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢/ ٢٩، خ ٢١١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٢٢٩، ك ٤٦.

(٦) المصدر نفسه: ١/ ٤٣٢، خ ١٨٣.

«يُخْبِرُ لَا يَلْسَانَ وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بَحْرُوقٌ وَأَدْوَاتٍ، يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ»^(١).

- الحلق: وظفه الإمام عليه السلام مرتين، وهما قوله في خطبته الشقشقية عن الخلافة: «فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَبِّي، فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَيِّ، وَفِي الْحَلْقِ شَجَاءٌ، أَرَى تُرَائِي نَهْبًا...»^(٢).

وقوله عليه السلام عن الشيطان وجنوده:

«وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ، طَعْنَا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْفًا بِجَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ...»^(٣).

- البلعوم: جاء ذكره في نهج البلاغة مرة واحدة، في قول الإمام عليه السلام لأصحابه: «أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبُطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ نَقْتُلُوهُ. أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِيِّ وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي...»^(٤).

أما معنى هذه الألفاظ لغويًا فاللسان من الجذر (ل س ن) وله «أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على طول لطيفٍ غير بائن، في عضوٍ أو غيره، من ذلك اللسان، معروف، وهو مذكَّر والجمع أَلْسُنٌ، فإذا كثر فهي الألسنة»^(٥)، وقد عرَّف بآئه: «الجارحة، وفيه عذبتة وهي طرفه تقول العرب إذا نعتت خفة اللسان: ما أرق

(١) المصدر نفسه: ٧٢ / ٢، خ ٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠ / ١، خ ١.

(٣) المصدر نفسه: ٩٣ / ٢، خ ٢٣٨.

(٤) نهج البلاغة: ١ / ١٢١، خ ٥٦.

(٥) مقاييس اللغة: ٥ / ٢٤٦.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١٢٥
عذبة لسانه، وفيه العكدة والعكرة وهما أصل اللسان ومعظمه، وفيه الصردان
وهما عرقان يستبطنان اللسان»^(١)، واللسان في الكلام يذكر ويؤنث^(٢)، قال الإمام
عليه السلام عن اللسان:

«أَلَا إِنَّ اللَّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلَا يُمِهِّلُهُ
التُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنْشَبَتْ عُرُوفُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ
غُصُونُهُ»^(٣).

ومن مكملات وظائفه اللسان الذي يساعد على بلع الطعام وغيره الرِّيقُ،
ويعني في اللغة: «تَرَدَّدُ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ... وَالرِّيقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَفْضَلُهُ...
وَالرِّيقُ: مَاءُ الْفَمِ»^(٤)، وهو من الجذر (ري ق) وله «أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تَرَدُّدِ
شيءٍ مائعٍ، كالماء وغيره، ثم يشتقُّ من ذلك... ومن الباب ريق الإنسان وغيره،
والاستعارة من هذه الكلمة... وحكى اللحياني: هو يرِيق بنفسه ريقاً، أي يجُود
بها، وهذا من الكلمة الأولى؛ لأنَّ نَفْسَهُ عِنْدَ ذَلِكَ تَتَرَدَّدُ فِي صَدْرِهِ»^(٥).

ويقابل اللسان في الفم من الحنك الأعلى واللهاة، والأخيرة يرجع أصلها اللغوي
إلى الجذر: (ل ه و) وله «أصلان صحيحان: أحدهما يدلُّ على شُغْلٍ عَنِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ،
والآخر على نَبْذِ شَيْءٍ مِنَ الْيَدِ، فَالْأَوَّلُ اللَّهْوُ... وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخِرُ فَاللَّهُوَةُ، وَهُوَ مَا
يَطْرَحُهُ الطَّاحِنُ فِي ثُقْبَةِ الرَّحَى بِيَدِهِ، وَالْجَمْعُ هُيْ، وَبِذَلِكَ سَمِّيَ الْعَطَاءُ هُؤَةَ فْقِيلٌ:
هو كثير اللهي. فأما اللهاة فهي أقصى الفم، كأنها شُبِّهَتْ بِثُقْبَةِ الرَّحَى، وَسَمِّيَتْ لَهَاةً

(١) خلق الإنسان: الأصمعي، ١٩٧، وينظر: العين: ٢٥٦/٧، ولسان العرب: ١٣/٣٨٥.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٣/٣٨٥.

(٣) نهج البلاغة: ٦١/٢، خ ٢٢٨.

(٤) العين: ٥/٢٥٩.

(٥) مقاييس اللغة: ٢/٤٦٨.

١٢٦ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

لما يُلقَى فيها من الطَّعام»^(١)، وفي خلق الإنسان ذكر الأصمعي أن اللَّهَاء: اللَّحْمَةُ الْمُسْتَرخِيَّةُ عَلَى الْحَلْقِ، فيما ذكر أبو حاتم: هي ما بين مُنْقَطَعِ أَصْلِ اللِّسَانِ إِلَى مُنْقَطَعِ الْقَلْبِ مِنْ أَعْلَى الْفَمِ^(٢)، ويقال: لكلّ ذي حلق لهاة، والجمع: لهاً ولهوات^(٣)، وهَيَات^(٤)، وذكر ثابت لِهَي^(٥)، أمّا الحلق فهو «مساغ الطعام والشراب، ومخرج النفس من الحلقوم»^(٦)، ويجمع على حلوق^(٧)، وجذره (ح ل ق)، وله «أصول ثلاثة: فالأوّل تنحية الشعر عن الرأس، ثم يحمل عليه غيره، والثاني يدلُّ على شيءٍ من الآلات مستديرة، والثالث يدلُّ على العلوّ، فالأوّل حَلَقْتُ رَأْسِي أَحَلَقْتُهُ حَلَقًا... والأصل الثاني الحَلْقَةُ حَلْقَةُ الْحَدِيدِ... والأصل الثالث حَالِقٌ: مكانٌ مُشْرِفٌ»^(٨)، ونجد توضيحاً لهذه العلاقات عند الراغب إذ يقول: «الحلق: العضو المعروف، وحلقه: قطع حلقه، ثم جعل الحلق لقطع الشعر وجزّه... والحلقة سُمِّيت تشبيهاً بالحلق في الهيئة... واعتبر في الحلقة معنى الدوران، فقيل: حلقة القوم (بفتح اللام وتسكينها)، وقيل: حلّق الطائر: إذا ارتفع ودار في طيرانه»^(٩)، إذن فالأصل في الحلق الجارحة كما يرى الراغب، و«فيه اللغاديد، وهي كالزوائد من لحم تكون في باطن الأذنين من داخل... والغلصمة مُتَّصِلُ الحلقوم بالحلق»^(١٠)، والحلقوم اسم

(١) مقاييس اللغة: ٥/ ٢١٣.

(٢) ينظر: المخصص: ١/ ١٥٧.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: ٦/ ٤٣٠.

(٤) ينظر: المخصص: ١/ ١٥٧.

(٥) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ١٦٤.

(٦) العين: ٣/ ٤٨.

(٧) ينظر: العين: ٣/ ٤٨.

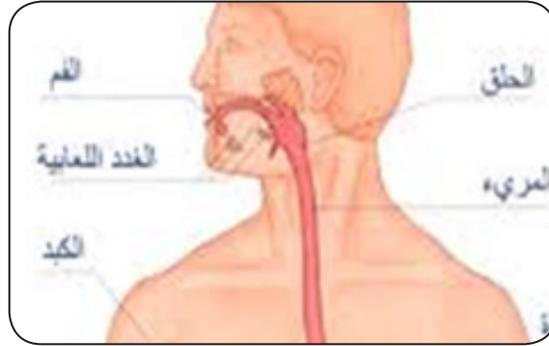
(٨) مقاييس اللغة: ٢/ ٩٨.

(٩) المفردات في غريب القرآن: ١/ ٢٥٨.

(١٠) خلق الإنسان، ثابت: ١٩٠، وينظر: الأصمعي: ١٩٢.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١٢٧

للبلعوم ويتصل بالحلقة من الأعلى الفم كما يتضح من (الشكل ٧)^(١)، والبلعوم يعني: «مَجْرَى الطَّعَامِ فِي الحَلْقِ، وقد يحذف فيقال بُلْعُمٌ، وغير مُشْكِلٍ أَنَّ هذا مأخوذٌ من بَلَعٌ، إلاَّ أَنَّهُ زِيدَ عَلَيْهِ ما زِيدَ لجنسٍ من المبالغة في معناه»^(٢)، وهو من الجذر (ب ل ع) وله «أصلٌ واحد، وهو إزدراد الشيء. تقول: بَلَعْتُ الشيءَ أَبْلَعُهُ»^(٣)، وقيل: أَنَّهُ مجرى النفس إلى الرئة وفيه المريء وهو مجرى الطعام والشراب إلى المعدة^(٤)، كما يتبين في الشكل التوضيحي ويسمى الحلقوم أيضاً^(٥)، ودلالة الازدراد التي قال بها ابن فارس هي ناتجة عن أهم وظيفة يقوم بها؛ لأنَّه ممرٌّ للهواء والغذاء وتتصل به أجزاء عدَّة؛ لأداء ذلك.



(شكل ٧) يوضح الحلقة وما يتصل به

ويتبين من التقديم اللغوي للألفاظ الدالة على الفم وملحقاته وضوح الاشتراك في بعض السمات وهذا متعلق بالوظيفة التي يمارسها الجزء أو هيأته أو تركيبه، أمَّا عن الوظيفة الدلالية التي تؤدِّيها هذه الأجزاء من الفم في تراكيب نهج البلاغة،

(١) أطلس جسم الإنسان على الشبكة العنكبوتية.

(٢) مقاييس اللغة: ٣٢٩/١.

(٣) المصدر نفسه: ٣٠١/١.

(٤) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ١٩٢.

(٥) ينظر: خلق الإنسان، الأصمعي: ١٩٥.

فيمكن معرفتها من دراسة ألفاظ هذه الأجزاء في سياقها.

أمّا في استعمال لفظ اللسان فقد ظهر تكراره بأبنيته المتعددة في نهج البلاغة ثلاثاً وتسعين مرة، استعير بعضها لمخلوقات أُخر، وخصّ الإنسان بتسعة وستين شاهداً، منها قوله ﷺ في صفة خلق الإنسان:

«أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ... ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا، وَلِسَانًا لِأَفِظًا».

ويذكر الإمام اللسان ممنوحاً للإنسان في هذا النص بعد ذكر تمام الخلق، ليكون شاكرًا؛ فتلفظ بفضل الله سبحانه دائماً على الرغم من تمام خلقه، فقد ذكر الإمام اللسان؛ بوصفه وسيلة أو آلة للنطق في النص، لكن الصفة التي غلبت على استعمال اللسان في النهج هي استعماله بوصفه اللغة أو الكلام.

ويظهر ذلك في الشاهد الثاني في قوله عن الرسول:

«كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ».

إذ قيل في النص وجهان: أحدهما: أنه كان يسكت عمّا لا ينبغي من الكلام، فيعلم الناس السكوت عمّا لا يعينهم، وثانيهما: إن سكوته عن بعض الأفعال من دون ان ينهى كان تقريراً لها، ودليلاً على الإباحة ^(١)، ولا ضير في الجمع بين الوجهين، والصمت ضد الكلام وإطلاق حركة اللسان وأداء وظيفته بأحسن وجه ^(٢)، واللسان هنا لا يعني ظاهر الجارحة نفسها، بل الرسالة الصادرة عن توقفه عن الأداء الكلامي؛ لأنّ حركة اللسان تمثل لولب عملية التصويت، والمعنى كأن صمته كلام.

وفي الحديث لما أنشد العباس ابن مرداس أبياته العينية أمام النبي قال: اقْطَعُوا

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار: ٣٢٦/١.

(٢) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، أحمد الهاشمي: ٣٢١.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به..... ١٢٩
عني لسانه، أي أَعْطُوهُ وَأَرْضُوهُ حتى يسكت، فكنى باللسان عن الكلام^(١)، وعلى
هذا المنوال جاءت نصوص أخر ورد فيها لفظ اللسان^(٢)، اختلف معناها باختلاف
مساقتها، مثل دلالات خلق اللسان للإنسان^(٣)، ودلالات اختلاف حركته^(٤)، التي
وصفت بالقوة مرة^(٥)، وبالضعف مرة^(٦)، ودلالات التعبير عن القوم أو المتكلم
نفسه مجازاً^(٧)، والتعبير عن الرسالة التي يطلقها فهو يبعث برسائل قد صالحة^(٨)،
وقد تكون طالحة^(٩)، وقد تكون مرهونة بظروف التداول اللساني^(١٠)، ولم يكتف
الإمام بذلك، بل رسم دورة حياة للسان تنتهي بمنازعة الإنسان للموت^(١١)،

(١) ينظر: لسان العرب: ٨/ ٣٧٩.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ١/ ٤٥٦، خ ١٨٩، ١/ ٢١٣، خ ٢٨، ١/ ١٧٥، خ ١١٩،
١/ ١٥٩، خ ٨٢، ١/ ٣٢٨، خ ١٤٤، ١/ ٤٠٠، خ ١٦٨، ٢/ ٣٥٦، ح ٢٢٣، ١/ ٣٠٩، خ ١٣٣،
٢/ ٨٣، خ ٢٣٦، ٢/ ٩٦، خ ٢٣٨، ٢/ ٣٤٢، ح ١٤٤، ١/ ٤١٩، خ ١٧٧، ٢/ ٢٨٩، ك ٦٧،
٢/ ٣١٦، ح ٤٠...

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٦٠، خ ٨٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٢٥١، خ ١٠٨.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٥٦، خ ١٨٩، ١/ ٢١٣، خ ٢٨.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٦١، خ ٢٢٨.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٧٥، خ ٨٦.

(٨) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: المصدر نفسه: ١/ ٢٧٩، خ ١١٩، ١/ ١٥٩، خ ٨٢، ١/ ٣٢٨،
خ ١٤٤، ١/ ٤٠٠، خ ١٦٨، ٢/ ٣٥٦، ح ٢٢٣...

(٩) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: المصدر نفسه: ١/ ٣٥٤، خ ١٥٣، ١/ ١٤٦، خ ٧٧، ١/ ٢٤٣،
خ ١٠٧، ١/ ٣٠٩، خ ١٣٣، ٢/ ٨٣، خ ٢٣٦، ٢/ ٩٦، خ ٢٣٨...

(١٠) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: المصدر نفسه: ٢/ ٣٤٢، ح ١٤٤، ١/ ٤١٩، خ ١٧٧، ٢/ ٢٨٩،
ك ٦٧، ٢/ ٣١٦، ح ٤٠...

(١١) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٤١، خ ٢١٦، ١/ ٢٥١، خ ١٠٨.

١٣٠ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
ووصف حال ألسنة الموتى^(١)....

أما لفظ الرِّيق، فيشترك مع لفظ آخر في التعبير عن الحزن وهو الحلق، وقد تردد في نهج البلاغة ذكر الرِّيق مرتين بلفظه، وأخرى بغيره^(٢)، ومن الأول قول الإمام عليه السلام: «وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ»، وهذا من كلام له عليه السلام يستدعي الله فيه على قريش، ويريد بجرعت رِيقِي التعبير عن غُصَّة الحزن^(٣)، فمن سمات الريق أنه مستساغ متردد في الفم، لكن الإمام استعمله وسيلة للتعبير عن الحزن؛ لما ينتابه في بعض المواقف من صعوبة التردد في الفم، فواقعة الدلالة تُفهم في ضوء التعرف إلى قصد المتكلم^(٤)؛ لأنه مسوَّغ فعلياً في السياق بذكر مصاحبات لغوية سائدة لمعنى الصبر على الأذى مثل الفعل (جرعت) و(صَبَرْتُ) و(كَظْمِ الْغَيْظِ)، أما قوله الآخر في الشاهد الثاني للرِّيق:

«لَيْنٌ أَمْهَلَ اللَّهُ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ... بِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ».

فموضع الشَّجَا هو الحلق، ويستعمل عليه السلام الرِّيق على المجاز مضافاً إلى موضع الإِسَاغَة، أي: ممّره من الحلق^(٥)، وهذا الكلام من باب التوسّع؛ لأنَّ الله تعالى لا يجوز عليه الحصول في الجهات^(٦)، وهو عز وجل القائل:

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩/٢، خ ٢١٦.

(٢) ذكر الإمام عليه السلام الرِّيق بلفظ الجريض في قوله «فَهَلْ يَنْتَظِرُ... أَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوَنَةَ الْفَنَاءِ؟ مَعَ قُرْبِ الرِّيَالِ، وَأَزُوفِ الْإِنْتِقَالِ، وَعَلَزِ الْقَلْقِ، وَالْمِ الْمَضْضِ، وَغُصَصِ الْجُرْضِ، وَتَلَفَّتِ الْإِسْتِغَاثَةُ بِنُصْرَةِ الْحَفْدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ...». نهج البلاغة: ١/١٥٧، خ ٢٨.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، تح: فارس الحسون: ٣٧.

(٤) ينظر: الظاهراتية وفلسفة اللغة، عز العرب حكيم بناني: ١٥٨.

(٥) ينظر: تصنيف نهج البلاغة، ليبب بيضون: ٩٩.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٢/٧.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١٣١

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوْسُ بِهِءِ نَفْسُهُ ۗ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٢).

وفي قول الإمام تنبيه على قدرة الله على أخذه من ذلك الموضع من الإنسان، وقد استعمله الإمام لدلالة القتل أيضاً في الشاهد الثاني للفظ الحلق، وقد يكون كلام الإمام يشير إلى تعثر حركة الريق وتردده في أثناء بلعه ومن ثم تعرّض الإنسان إلى خطر محقق به قد يودي بحياته في أي وقت يشاؤه الله، والدليل قوله عليه السلام:

«مِسْكِينُ ابْنِ آدَمَ: مَكْتُومُ الْأَجَلِ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ، تَوْلِيْمُهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وَتُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ» (٣).

ويظهر من قراءة النصوص الواردة فيها اللفظ أنّ دلالة استعماله قد ارتبطت بذكر حركات للريق قد تكون إرادية أو غير إرادية، حقيقية أو مجازية، وهنا لا بد من القول إنّ عملية القراءة لها تعدد بتعدد القراء وتعدد مرجعيات التفسير والتقويم (٤).

ومن الأجزاء المساعدة للسان في التصويت وإنتاج الكلام ما في أعلى الفم، ويُسمّى اللهاة، وكان استعمالها في الشاهدين اللذين ذكرا مع اللفظ أنفاً يصبُّ في سياق نفي نسبة هذا الجزء من الفم إلى الله جل جلاله، ومنه قول الإمام عليه السلام:

(١) الحديد: من الآية ٤.

(٢) ق: من الآية ١٦.

(٣) نهج البلاغة: ٤٠١/٢، ح ٤٢٧.

(٤) ينظر: النص والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد: ١١٢.

«الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدْوَاتٍ، وَلَا نُطْقَ وَلَا لَهَوَاتٍ».

واللهوات في النص هي اللحمتان في سقف أقصى الفم، وورد ذكر اللهة في النص لبيان أن الله متكلم لا تتكلم المخلوقين، وإليه أشار بقوله (الذي كلم موسى)، وقد أتى بـ (تكليماً) تأكيداً ودفعاً لتوهم السامع التجوز في كلامه سبحانه، وكونه متكلماً (بلا جوارح ولا أدوات ولا نطق ولا لهوات) هو من الآيات الظاهرة، والمراد به أن كلامه مع موسى ليس ككلام البشر صادراً عن الحنجرة واللسان واللهوات وعن مخارج الحروف وغيرها، بل تكلم معه بأن أوجد الكلام في الشجرة كما في القصة^(١)، وفي كلام الإمام عليه السلام نبي عن وصف الله بالنطق، وإخراج الحروف من المخارج، ولعل السر فيه أيضاً اعتماد اللفظ على مقطع الفم واستلزامه للأدوات بخلاف الكلام^(٢).

ويمكن الاستفادة من النص الآخر الذي ذكرت فيه اللهة بصيغة الجمع دلالة على منع جواز وصف الله باللفظ ووصفه بالقول إذ قال عليه السلام:

«يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بِمُخْرُوقٍ وَأَدْوَاتٍ، يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ».

ويبدو أن الإمام في هذا النص قد ذكر ما هو شائع من الأجزاء في الإخبار والسمع؛ لتقوية نفي المعنى، وربما يكون ذلك احترازاً عن أجزاء المخلوقات الأخرى، ولكن دلالة اللهة في كل الأحوال لا تتعد عن دلالة النطق لقوله عليه السلام:

«يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ».

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣٢١-٣٢٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٢.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به ١٣٣
ومن اللافت للنظر في النصين كليهما أنّ اللهاة قد جاءت بصيغة الجمع مع
اقترانها بألفاظ مفردة دالة على التلفظ كالنطق واللسان، ويمكن تعليل ذلك بما
يفهم من شرح حبيب الله الخوئي بأن ذلك من تحرك لسانه في لهواته لإنتاج اللفظ،
وليس المقصود بجمع اللهاة سقف الفم وحده، بل كل جزء من الفم يساعد في
إنتاج الأصوات، وبذلك تكون اللهوات من متممات مفرد ما ذكر، ويبدو أن
استعمال اللفظ عند الإمام قد ارتبط بدلالة النطق في النصين، وبدلالة الأصل في
النص الآخر^(١)، الذي اقترن لفظه بالشعر، وقد تقدم بيانه.

واستعمل الإمام لفظ الحلق في النهج مرتين، وبمواضع ودلالات تتناسب
مع موضعه من الفم وسماته فيقول في الشاهد الأول: «فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَى،
وَفِي الْحَلْقِ شَجًّا»، والشَّجَا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه^(٢)؛ لأنّه مساغ
الطعام والشراب ومخرج النفس منه، لكن سياق الكلام يرتبط بعلاقة معنوية مع
النَّفْس وخروجه، وهذا ما يعني خروج الشقّ الأول (الطعام والشراب) وتحدّد
الثاني (النَّفْس)؛ إذ لا يُعَيَّنُ المعنى المعجمي على تحديد البعد الدلالي للفظة^(٣)؛
لأن المعنى تَحْكُمُهُ علاقة اللفظة بكلّ ما يُحيط بها من عناصر لغويّة في النص^(٤)؛
فالمراد من كلامه (وَفِي الْحَلْقِ شَجًّا) غصة الحزن^(٥)، وهذا المعنى هو الذي مثل
القيمة الحضورية للكلمة في سياقها وهو معنى لا تؤدّيه كلمات أخرى ضمن الحقل
الدلالي نفسه.

(١) ينظر: نهج البلاغة: ٢/ ٢٢٩، ك٤٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٤/ ٤٢٢.

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٢٥.

(٤) ينظر: علم الدلالة، كلود جرمان وريمون لوبلون: ٣٥-٣٦، ومنهج البحث اللغوي بين التراث

وعلم اللغة الحديث، علي زوين: ٩٤.

(٥) ينظر: نهج البلاغة، تح: فارس الحسون: ٣٧.

أما قوله عليه السلام في الشاهد الثاني:

«طَعْنَا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ».

فإن حَزَّ الحلق: قطه وهو مصدر فعله محذوف، جاء لمعنى مجازي؛ لأنَّ الفاعل جنود الشياطين، وقد مثل جزءاً يستقطب الإجراء التأويلي في ضوء علاقة النص بالسياق^(١)، ففعل القراءة لا يقتصر على مفهوم النص اللغوي بل يمتد به نحو تأويله^(٢)، فيكون ذكر العيون والحلق والمناخر من باب التمثيل، والمراد بذلك ما يصيبهم من أبناء نوعهم بسبب القتل والقتال، ولما كان منشؤها جميعاً هو إغواء إبليس وجنوده نسبها إليهم لإحاطتهم بالأعضاء جميعها^(٣)، وإنَّها ذكر الحلق مع الحز؛ لأنه «موضع المذبح من الحلق»^(٤)، واستعمال الإمام هذا يؤيده قول الراغب في التقديم اللغوي عن أصل الحلق^(٥).

وأما استعمال لفظ البلعوم فقد جاء في كلام للإمام عليه السلام مع أصحابه في قوله:

«أما إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ».

وَرَحْبُ الْبُلْعُومِ أَي صَحْمُ الْبُلْعُومِ، لكن الإمام لم يقصد هذا المعنى الظاهري، بل جاء التركيب في النص كناية عن كثرة التَّبذِيرِ والإسراف في الأموال والدِّمَاءِ فوصفه بسعة المدخل وتمدده، يتبين ذلك من تحليل الشعور القصدي للمرسل

(١) ينظر: السياق والتأويل، احمد حساني، بحث منشور في مجلة (الموقف العربي): ٦٣-٦٦.

(٢) ينظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد: ١٠١.

(٣) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٨٩/١١.

(٤) العين: ٤٨/٣.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢٥٨/١.

الفصل الأول: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به..... ١٣٥
والماهيات القائمة داخل النص وارتباطها بالسياق^(١)، ونظير هذا الحديث: «لا
يذهب أمر هذه الأمة إلا على رجل واسع السُّرْم ضخم البلعوم»^(٢) على اعتبار
أن السُّرْم الدُّبْر، والبلعومُ الحلق^(٣)؛ لذلك فإنَّ الوصول إلى سعة المدخل وتمدده
يقتضي بالضرورة استعمال لفظ البلعوم مجرى الطعام والشراب إلى البطن.

(١) ينظر: الفينومينولوجيا عند هوسرل، سماح رافع محمد: ١٩٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ): ١/

.٤٠٢

(٣) ينظر: لسان العرب: ١٢/٥٥، ٢٨٦.

الفصل الثاني

الألفاظ الدالة على جذع الإنسان وما يلحق به

المبحث الأول

الألفاظ الدالة على العنق وما يلحق به

المبحث الثاني

الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به

المبحث الثالث

الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به

المبحث الرابع

الألفاظ الدالة على البطن وما يلحق به

المبحث الخامس

الألفاظ الدالة على الجنب وما يلحق بها

المبحث السادس

الألفاظ الدالة على الظهر وما يلحق به

المبحث الأول

الألفاظ الدالة على العنق وما يلحق به

إنَّ اللغة بطبيعتها مكوّنة من مجموعة من الكلمات هي في الواقع حقول دلالية لتركيزها على دراسة ما يطرأ على الكلمات من تغيير تبعاً لتغير وجهات النظر وارتباط معنى الكلمة وقيمتها بمجموعة الألفاظ المرتبطة بها دلالياً وتفسير ذلك^(٤)؛ لأنَّ المعاني الأخرى يحددها السياق وتنوعه أولاً وقبل كل شيء، وفي هذا الحقل الخاص بالألفاظ الدالة على العنق وملحقاته وجد لفظان ينتميان له في نهج البلاغة، وهما: (العنق، والرقبة)، وستكون دراسة هذه الألفاظ معجماً في الحقل الذي تنتمي إليه، أمّا في النهج، فلا يمكن دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها السياقي^(٥)، وعلاقات الاستبدال وغيرها ضمن الحقل الدلالي حتى تكون الدراسة ذات نتائج مثمرة، ومن شواهد هذه الألفاظ:

- العنق: وقد خص به الإنسان عشر مرات^(٦)، منها قول الإمام (عليه السلام) في كتاب له إلى الأشعث بن قيس:

«وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرَعَى لِمَنْ

(٤) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ١١٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٨٠.

(٦) ينظر: نهج البلاغة: ١/٩٩، خ ٣٧، ١/٢٥٣، خ ١٠٨، ١/٣٩٩، خ ١٦٦، ١/٣٩٩، خ ١٦٧،

١/٤٤٠، خ ١٨٤، ٢/٣١، خ ٢١٣، ٢/٩٤، خ ٢٣٨، ٢/٩٨، خ ٢٣٨.

فَوْقَكَ»^(١).

وقوله ﷺ في دعاء له كان يدعو به إذا لقي العدو محارباً:

«اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ الْأُقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ»^(٢).

الرَّقَبَةُ: استعمل الإمام ﷺ هذا اللفظ للإنسان ست مرات^(٣)، منها قوله في

وعظ الناس:

«اللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا»^(٤).

وقال الإمام ﷺ عن الرسول:

«فَإِذَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَهُ رِقَابِكُمْ، وَأَشْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ»^(٥).

وعند الوقوف عند معانى هذه الألفاظ في اللغة نجد للعنق «أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على امتدادٍ في شيء، إمَّا في ارتفاع وإمَّا في انسياح، فالأوَّلُ العنق»^(٦)، وهو من الجذر (ع ن ق) وقيل هو مخفف من عُنُقُ والجمع فيهما أعناق^(٧)، وفي العنق الدأي وهو فقار العنق والواحد دأية، وفيه النخاع، والجيد اسم يقع على طول العنق يقال

(١) المصدر نفسه: ١٣٣/٢، ك٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٩/٢، ك٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٧/٢، ٢٠٣/٢، ١٢/٢، ٢٠٣/١، ٤٤٥/١، ١٨٦/٢، ٢٢٥/٢، ك٤٥.

(٤) المصدر نفسه: ٤٤٠/١، خ ١٨٤.

(٥) نهج البلاغة: ١/٢٢٤، خ ٩٩.

(٦) مقاييس اللغة: ٤/١٥٩.

(٧) لسان العرب: ١٠/٢٧١.

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٤١
 رجل أجيد وامرأة جيداء^(١)، والعنق مذكّر ومؤنّث وقيل مذكر والحجاز تُؤنّث^(٢)،
 أمّا الرّقبة فقد قال الخليل أنّها: «أصل مؤخر العُنُق»^(٣)، وهي من الجذر (ر ق ب)
 وله «أصلٌ واحدٌ مطّرد، يدلّ على انتصابٍ لمراعاةٍ شيءٍ، من ذلك الرّقيب... ومن
 ذلك اشتقاق الرّقبة، لأنّها منتصبة، ولأنّ الناظر لا بد أن ينتصب عند نظره»^(٤)،
 وقد ذُكرت الرقبة في بعض كتب خلق الإنسان أنّها العنق^(٥)، لكنّ ثابتاً قد فرّق
 بين العنق والرقبة، إذ ذكر أنّ الرقبة هي أصل العنق^(٦)، وبذلك يمكن التفريق
 بين ثلاثة معانٍ هي العنق، والرقبة، والجديد. فالأول: اسم لما بين الرأس، والجسد.
 والثاني: اسم لأصل مؤخر العنق. والثالث: اسم لظوله.

أمّا عن استعمال الألفاظ المذكورة في نهج البلاغة، فاستعمال الإمام عليه السلام للعنق لم
 يتعد عن مفاهيم أصيلة كان يتمتع بها العربي، ومن ذلك الشاهد الأول للفظ في
 كتاب الإمام عليه السلام إلى الأشعث بن قيس، إذ قال:

«وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ».

فمن عادة العرب الالتزام بالعهد والوفاء بالأمانة، فذكر عليه السلام هذا الجانب،
 فاستعار لذلك العنق من أجزاء الإنسان؛ لشبه التعلّق فكأن هذا الشيء معلق في
 عنق من تعهد به^(٧)، كالقلادة لكنّه في النصّ متعلق بالإنسان نفسه، لأنّه يعني كل

(١) ينظر: خلق الإنسان: الأصمعي، ١٩٨، وخلق الإنسان، الزجاج: ٦٨.

(٢) ينظر: المعجم المبتكر: ٢٤١.

(٣) العين: ٥ / ١٥٥، وينظر: تهذيب اللغة: ٣ / ٢١٨.

(٤) مقاييس اللغة: ٢ / ٤٢٧.

(٥) ينظر: خلق الإنسان، الأصمعي: ١٩٨، وخلق الإنسان، الزجاج: ٦٦.

(٦) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ٢٠٠.

(٧) ينظر: لسان العرب: ١١٠ / ٢٣١، ٤٣٢، وأساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن

أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): ١٨٢.

١٤٢ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
ما يلتزم به الفرد من قول أو عمل، وخاصة فيما يتعلق بالحلف، والعهد، والميثاق،
ووفاء الذمة^(١). قال الإمام عن نفسه:

«فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي
لِعَيْرِي»^(٢).

واستعمال العنق هنا إشارة إلى تمام التعلق والاستقرار، فضلاً عن تضمن معنى
اختصاص ذلك في العنق.

ولما كان هذا الجزء من الإنسان يتصف بمرونة الحركة، ومزية الارتفاع، فقد
ارتبط بمعنى التعبير عن الرغبة به، فقد جاء من كلام أمير المؤمنين لذلك أربعة
شواهد في النهج كلها بصيغة الجمع، منها دعاء له:
«اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ».

ويبدو أن حركة مدِّ الأعناق قد جاءت لتكمل مشهد التضرع لله بحقيقة إيمانية
مفصحة عن حال صاحبها؛ إذ إنَّ هذه الحركة تدل على الرغبة والأمل؛ فالعنق مظهر
من مظاهر التجبُّر إذا علا وارتفع، وقد استعمل هنا ولم تستعمل الرقبة؛ لأنَّها لولب
الحركة والامتداد ليس من السمات الدلالية لها، بل من السمات الأساسية للعنق،
أمَّا في نصوص آخر^(٣) وباختلاف المصاحبات اللغوية مثل: الأعناق خاضعة، خلق
التكبر من أعناقكم، وغل الأيدي إلى الأعناق...، فإنَّ الدلالة الاستعمالية لا تبعد
عن مزية الالتزام وعلاقات الارتفاع والامتداد عند الإمام.

أمَّ استعمال لفظ الرقية فمنه قول الإمام عليه السلام:

(١) ينظر: الإنسان في الشعر الجاهلي: ٣٠٧.

(٢) نهج البلاغة: ١/٩٩، خ ٣٧.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال:، ٩٩١، خ ٣٧، ٢٥٣/١، ١٠٨، ١/٣٩٩، خ ١٦٧،

١/٤٤٠، خ ١٨٤...

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٤٣

«اللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ... فَاسْعُوا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا».

وفك رقبة أطلقها من أسرها ومنه الفك في العنق وفككت الأسير أفكّه فكاً^(١)، فكأن العبد خي فذهب وإنما قيل: فك رقبة أي إنسان فخصت الرقبة من دون غيرها؛ لأن ملك السيد لعبد كالحبل في الرقبة وكالغل هو به محتبس كما تحبس الدابة بحبل في عنقها فإذا أعتق، فكأنه أطلق من ذلك^(٢)، وقد سُميت الجملة باسم العضو لشرفها^(٣)، تسميةً للشيء ببعضه فجعلت كنايةً عن الإنسان المملوك^(٤)، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ^ط وَإِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾^(٥).

وعلى ذلك تكون الرقبة مظهر من مظاهر النظر إلى الإنسان بأحد أجزائه، فكأن شخوصه وحياته يكون بانتصاب رقبته.

أما الشاهد الثاني للفظ الرقبة فقد جاء في سياق قوله عن الرسول:

«فَإِذَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَهُ رِقَابِكُمْ».

(١) ينظر: المخصص: ١٢٦/٥.

(٢) ينظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ): ١/٢٩٢، وغريب الحديث، ابن قتيبة: ١٢٢٥.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١/٤٢٤.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/٦٠٩.

(٥) المائدة: من الآية: ٨٩.

١٤٤ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

ومعنى قوله ألتم له رقابكم: أتعتموه^(١)، فدلالة الخضوع جلية في النص لارتباطها بسمة ثانوية للرقبة وهي اللين أسهمت هذه اللفظة في تكوين الدلالة؛ لأن الرقبة هي الموصل ما بين جذع الإنسان ورأسه الذي يعد مجمع القوى والحواس الإنسانية، وهي محور حركته لمراعاة تشخيص الصالح، والطالح، وإدامة الحياة.

ومما يلحظ في نصوص أخر ذكرت فيها الرقبة^(٢)، أن كلامه ﷺ عن معنى الخضوع فيه ما هو قسر أو بإرادة؛ فاللفظ قد جاء في سياق دلالي لفك الرقبة وتحريرها، يدل على ذلك السياق العام والمصاحبات اللغوية جاءت في بعض النصوص مثل: ملوك على رقاب العالمين^(٣)، حكام على رقاب الناس^(٤)، فكأن رقابهم^(٥).

أمّا عن استعمال جزئي الرقبة والعنق في نهج البلاغة فهناك فروق أخر تتجلى من قراءة النصوص التي ورد فيها اللفظان نذكر منها:

- _ ذكر لين الرقبة لدلالة الطاعة، مقابل ذكر مدّ العنق للرغبة في الثواب.
- عبّر الإمام عن الإنسان وتملكه كلاً واحداً بالرقبة، ولم نجد ذلك في استعمال العنق.
- ذكر الأغلال والعذاب مع الأعناق من دون الرقبة، لطولها ودلالاتها على الكبر.

- ارتبطت حياة الإنسان وموته في رقبتة، وارتبطت عزته وعبوديته بعنقه.

(١) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٧/٩٥.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ٢/١٠٧، ٢/١٢، ٢/٢٠٣، ١/٤٤٥، ٢/١٨٦، ٢/٢٢٥، ٢/٤٥٥...

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢/١٠٧، ٢/٢٣٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢/١٢، ٢/٢٠٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/٤٤٥، ٢/١٨٦.

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٤٥

- التعبير عن صورة الموت بضرب الرقاب، وفي إدامة الحياة بتحريرها وفكها.

وبعد دراسة ألفاظ هذا المبحث فإنَّ الباحث مع الرأي القائل بجزئية الرقبة من العنق، فعلاقة العنق بالرقبة هي علاقة اشتغال لا أكثر وقد بدا ذلك واضحاً في دراسة هذه الألفاظ.

المبحث الثاني

الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به

الصَّدر جزءٌ في جسم الإنسان مثل مركزاً لمستقرّ الشعور في أغلب نصوص نهج البلاغة؛ فهو يحتضن القلب ويحافظ عليه بأجزائه من الأضلاع والترائب، يقول الله ﷻ في كتابه العزيز:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (١)

ويتضمّن هذا المبحث ألفاظاً عديدة تلحق بالصدر، وقد ظهر في أثناء البحث بصورة عامة وتحديدًا في الوحدات الدلالية الرئيسة المتضمنة لألفاظ فرعية تنتمي إليها علاقة الاشتمال^(٢)، وفي هذا المبحث يمثل الصدر المصطلح العلوي، أمّا الفرع السفلي فيتضمّن الألفاظ الملحقة به الواردة في نهج البلاغة، وسوف تكون دراسة هذه الألفاظ على مجموعتين، الأولى ألفاظ: (الصدر، النحر، الضلع، الجانحة)، والثانية ألفاظ: (الحجر، والحضن، الثدي، اللبن).

(١) الحج: ٤٦.

(٢) ينظر: علم الدلالة، أف. آر. بالمر: ١١٨.

المجموعة الأولى:

تتضمن لفظ الصدر ومكوناته، وهي (التحر، الضلع، الجانحة)، ومن شواهدها:

- الصدر: ذكر ثماني وثلاثين مرة للإنسان^(١)، من ذلك قول الإمام عليه السلام في بعض أيام صفين:

«...وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَارُّوكُمْ...»^(٢).

وقوله عليه السلام في أحد الخوارج:

«وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّذْهَةِ^(٣) فَقَدْ كُفَيْتُهُ بِصَعْقَةٍ سَمِعْتُ لَهَا وَجِبَةَ قَلْبِهِ وَرَجَّةَ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةً مِنْ أَهْلِ الْبُغْيِ...»^(٤).

- التحر: ورد في شاهدين خصّ بهما الإنسان في نهج البلاغة، ههما قول

(١) ينظر: نهج البلاغة: ١/١٤٣، خ ٧٤، ١/١٦٠، خ ٨٢، ١/١٦٢، خ ٨٢، ١/١٨٣، خ ٨٩، ١/٢٤١، خ ١٠٦، ١/٢٥٦، خ ١٠٩، ١/٣٠٠، خ ١٢٨، ١/٣٠٦، خ ١٣٢، ١/٣٤٩، ح ١٧٨، ١/٣٦١، خ ١٥٦، ١/٣٦١، خ ١٥٦، ١/٤٢، خ ٧، ١/٤٥٨، خ ١٩٠، ١/٤٦٠، خ ١٩١، ١/٤٧٠، خ ١٩٥، ١/٧٩، خ ٢٧، ١/٩٣، خ ٣٤، ١/٩٦٢، خ ٨٢، ٢/١٠٢، خ ٢٣٨، ٢/١٠٥، ٢/٢٣٨، خ ١١٢، ٢/٢٣٨، خ ١٢٣، ٢/٢٤٣، ٢/٢١٦، ك ٤١، ٢/٢٤٦، ك ٥٣، ٢/٢٤٩، ك ٥٣، ٢/٢٥٨، ك ٥٣، ٢/٢٨٥، ك ٦٥، ٢/٣٠٨، ح ٦، ٢/٣٢٣، ح ٧٧، ٢/٣٤٩، ح ١٨٠، ٢/٣٨٣، ح ٣٣٩، ٢/٣٩، خ ٢١٦، ٢/٥٩، خ ٢٢٦، ٢/٧٩، خ ٢٣٥، ٢/٨٠، خ ٢٣٥، ٢/٩٥، خ ٢٣٨.

(٢) المصدر نفسه: ١/٢٤١، خ ١٠٦.

(٣) الرذّهة - بالفتح - النُقْرَة في الجبل، وشيطان الرذّهة: ذو الثديّة، من رؤساء الخوارج وُجد مقتولاً في ردهة.

(٤) نهج البلاغة: ٢/١١٢، خ ٢٣٨.

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٤٩

الإمام عليه السلام يناجي رسول الله:

«فَلَقَدْ وَسَدَّتْكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاصَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ»^(١)،

وقوله عليه السلام عن معاوية:

«أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادِمَةٌ مِنَ الْغَوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ
أَغْرَاضَ الْمَنِيَِّّةِ»^(٢).

- الضَّلَع: ورد هذا اللفظ مرتين، وهما قول الإمام عليه السلام في طاعة الله:

«فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَارًا دُونَ دِثَارِكُمْ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفًا بَيْنَ
أَضْلَاعِكُمْ، وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ...»^(٣).

وقوله عليه السلام في ذكر الموت وما يتعلق به:

«...مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ، وَهَوْلِ الْمَطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ
الْفَرْعِ، وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاحِ، وَأَسْتِكَائِكِ الْأَسْمَاعِ...»^(٤).

- الجَانْحَة: ذكرها الإمام فيما يخص الإنسان مرتين، هما قوله عليه السلام في حث الناس

على جهاد أهل الشام:

«وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرًا يُمْكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْزُقُ لَحْمَهُ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي
جِلْدَهُ، لِعَظِيمِ عَجْزِهِ، ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ»^(٥).

وقوله عليه السلام في علمه:

«...وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ

(١) المصدر نفسه: ١/ ٤٧٠، خ ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ١١٥، خ ٥١.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٤٦١، خ ١٩١.

(٤) المصدر نفسه: ٢/ ٨١، خ ٢٣٦.

(٥) المصدر نفسه: ١/ ٩٣، خ ٣٤.

يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي»^(١).

ويمكن تلخيص المعنى اللغوي للألفاظ المذكورة بالآتي:

فالصِّدر من الجذر (ص در) وله أصلان «أحدهما يدلُّ على خلاف الوِرد، والآخر صَدْرُ الإنسان وغيره، فالأوَّل قولُهُم: صَدَرَ عن الماء، وصَدَرَ عن البلاد، إذا كان وَرَدَهَا ثُمَّ شَخَّصَ عنها... وأمَّا الآخر فالصِّدر للإنسان، والجمع صُدُور»^(٢)، والصِّدر أعلى مُقَدِّم كلِّ شيء وأوَّله^(٣)، والصِّدر من جسم الإنسان أوله النحر^(٤)، وهو ما انطبق عليه الكتفان^(٥)، وهو من الأصل (ن ح ر) عبَّر عنه ابن فارس بأنَّه «كلمة واحدة يتفرَّعُ منها كلماتُ الباب هي النَّحْرُ للإنسان وغيره، والجمع نُحُور»^(٦)، ومن الباب قول الخليل «هذه الدار تنحُر تلك الدار، إذا استقبلتها»^(٧)، ويأتي الكلام عنه في باب الصدر وما احتزم به عند ثابت إذ يقول عنه: «وفيه النحر، وهو موضع القلادة، وفيه اللبة وهو موضع المنحر، والثغرة ثغرةُ النحر وهي الهزمة التي بين الترقوتين»^(٨)، أمَّا ما تعلق بتكوين الصدر فهو يتكون من مجموعة من العظام تسمى الأضلاع تكوِّن ما نعرفه اليوم بالقفص الصدري، ويذكر الخليل أنَّ مفرد الأضلاع: «الضِّلَع والضِّلَع، وهما لغتان، والعرب تقول هذه ضِلَعٌ وثلاث أضلَع»^(٩)، وهي من الجذر (ض ل ع) وله

(١) المصدر نفسه: ١/ ٣٠٠، خ ١٢٨.

(٢) مقاييس اللغة: ٣/ ٣٣٧.

(٣) ينظر: العين: ٧/ ٩٤، ولسان العرب: ٤/ ٤٤٥.

(٤) ينظر: خلق الإنسان، الزجاج: ٨١.

(٥) ينظر: المخصص: ١/ ١٥٣.

(٦) مقاييس اللغة: ٥/ ٤٠٠، وينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٨٥.

(٧) العين: ٣/ ٣١٠.

(٨) خلق الإنسان، ثابت: ٢٤٤.

(٩) تهذيب اللغة: ١/ ٤٧٧.

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٥١
«أصلٌ واحدٌ صحيح مطّرد، يدلُّ على ميل واعوجاج، فالضَّلَع: ضِلَعُ الإنسان وغيره، سمّيت بذلك للاعوجاج الذي فيها»^(١)، و«ضلوع كل إنسان أربع وعشرون ضلعاً، وللصدر منها اثنتا عشرة ضلعاً تلتقي أطرافها في الصدر، وتتصل أطراف بعضها ببعض وتسمى الجوانح،... واثنتا عشرة ضلعاً أسفل منها في الجنبين، البطنُ بينهما، لا تلتقي أطرافها»^(٢)، وتتماز بأنّها عظام ليّنة وعددها اثنتا عشرة ضلعاً في كل شقّ^(٣).

أمّا جوانح الصدر فهي: «الأضلاع المتصلة رؤوسها في وسط الزور، الواحدة جانحة»^(٤)، وهي من الجذر (ج ن ح) وله «أصلٌ واحدٌ يدلُّ على المَيْلِ والعُدْوَان... والجوانح: الأضلاع: لأنها مائلة»^(٥)، وقيل: الجوانح أوائل الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر سميت بذلك لجنوحها على القلب في الصدر^(٦)، وهي من مقدمة الصدر الضلوع الصغار التي تلي الفؤاد^(٧)، فالجوانح هي إحدى مكونات الصدر، ويبدو في هذه المجموعة أنّ بقية الألفاظ تمثّل وحدات بناء جزئية للصدر وإن اقتربت في الأصل اللغوي كالجانحة والضلع.

أمّا عن سياقات الاستعمال في النهج، فإنّ استعمال الصدر قد اشتمل أصلي الجذر (ص د ر) عند ابن فارس، فمن الأول قوله للدنيا: «وَحَاشَ اللهُ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْرًا أَوْ وِرْدًا...»^(٨)، أمّا الأصل الثاني فقد ورد في نهج البلاغة

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ٣٦٨.

(٢) تهذيب اللغة: ١/ ٤٧٧.

(٣) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ٢٥٣، ٢٥٤.

(٤) العين: ٣/ ٨٤، وينظر: تهذيب اللغة: ١/ ٤٧٧.

(٥) مقاييس اللغة: ١/ ٤٨٤.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٢/ ٤٢٨.

(٧) ينظر: خلق الإنسان، الأصمعي: ٢١٦.

(٨) نهج البلاغة: ٢/ ٢٨٧، ك٦٥.

بسياقات مختلفة ذكرنا منها في الشواهد قوله ﷺ في صفين:

«وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوَحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَةٍ، تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ».

وَالْوَحَاوِحُ: جمع وَحَوْحَةٍ وهو صوت الصدر إذا كان متألماً وهو صوت معه بحح^(١)، والمراد حُرْقَةُ الغيظ^(٢)، الناتجة عن الهم والحزن، ويرتبط لفظ الصدر بالهموم والمعاناة؛ لأنَّ بعض الجوارح في جسم الإنسان هي مركز للانفعالات النفسية والمشاعر، والصدر مستودع الهموم والآلام، لذا وظَّفَ الإمام هذا الجزء لهذا الغرض، فكنى بهذا التعبير عن شدة الغيظ، وهو ما يحتاج إلى شفاء معنوي أي ليس شفاءً حسيًّا؛ لقوله تعالى:

﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وتأييداً لذلك يذكر الإمام الصدر في نصوص أخر تشير إلى اللين والتسامح والسعة ورحابة الصدر وسلامته وهي من الدلالات المشهورة حتى في كلامنا اليوم. ومن بديع الاستعمال لجزء الصدر من الإنسان في كلام الإمام ﷺ لغة الجسد التي ظهرت في قوله:

«وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّذْهَةِ فَقَدْ كُفِّيَتْهُ بِصَعْقَةٍ سَمِعَتْ لَهَا وَجْبَةً قَلْبِهِ وَرَجَّةَ صَدْرِهِ».

فرجة الصدر اهتزازه وارتعاده^(٤)، وهي حركة لا إرادية للصدر تدل على خوف شديد وهلع، ويمكن أن يكون هذا المعنى ومعنى الضيق والسعة الذي

(١) ينظر: نهج البلاغة، تعليق: محمد الحسيني الشيرازي: ٢٠٠.

(٢) ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٢٦٤.

(٣) التوبة: ١٤٠.

(٤) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة: ٣٥٩.

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٥٣
ورد في النص السابق قد ارتبطا بالصدر؛ لأنّه موطن القلب وموضع الانقباض
والانبساط.

وإذا ما تدبّرنا النصوص الأخر الوارد فيها لفظ الصدر يتبيّن أنّ للصدر حضوراً
واسعاً ودلالات عدّة في نصوص نهج البلاغة^(١)، منها الدلالة المكانية^(٢)، إذ نجد
أحداثاً متنوعة تجري في مسرح هذا الجزء من الإنسان، إذ يختفي خلف أستاره ممثل
الحياة ومخزن الأسرار وسائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها، وهو
القلب، وهذا وما سبق يعطي أهمية كبرى لهذا الجزء في التكوين اللغوي وهو ما
يروم البحث إثباته.

أمّا في استعمال لفظ النحر فيبدو أنّ ما دلّنا عليه ثابت من تحديد لموضع النحر
قد استعمله عليه السلام في كلام له يناجي به رسول الله:

«فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ».

وهذا النص من النصوص التي مثلت عمق الصلة والقراية والمنزلة من رسول
الله، في صورة قابلة للتأثير في النواحي النفسية والاجتماعية للمتلقّي؛ لأنّ الفن
الخطابي يعتمد أساساً على قوة الخطيب الحجاجية من جهة، وعلى سيرته الأخلاقية
اجتماعياً من جهة أخرى، وهي سمات حاضرة تطبيقياً في النص من شأنها أن تمثل
رسالة إيجابية تخلق دلالة معبرة عن منقبة اختصاص الإمام برسول الله في ذهن
المستمع المقصود^(٣)، ويمثل النص الثاني الرأي الأول الذي ذكره ابن فارس في

(١) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ٣٦١/١، خ ١٥٦، ٣٠٠/١، خ ١٢٨، ٩٣/١، خ ٣٤،
١/١، خ ٤٧٠، ١٩٥، ٢/١١٣، خ ١١٥، ١/٤٥٨، خ ١٩٠، ٢/٣٤٩، ح ١٨٠، ١/١٦٢، خ ٨٢،
٢/١٢٣، خ ٢٤٣، ٢/٢٤٦، ك ٥٣...

(٢) ينظر: المصدر نفسه، على سبيل المثال: ٣٢٣/٢، ح ٧٧، ١/١٨٣، خ ٨٩، ١/٢٥٦، خ ١٠٩،
٢/٣٤٩، ح ١٧٨..

(٣) ينظر: سيرة الإمام أمير المؤمنين في نهج البلاغة، هاشم الميلاني: ٢٠.

قول الإمام عن الغواة مع معاوية:

«عَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبْرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاصَ الْمَنِيَّةِ».

فقد أراد الإمام بالنحر في هذا السياق عن أغراض المنية أي: أهدافها^(١)، بذبح أو طعن، وحين ندقق النظر ونتأمل دلالات الحدث الكلامي، آخذين في الحسبان سياق النص وأثره في توجيه المعنى، نجد أن لفظ النحر قد استعمله الإمام رمزاً للدلالة على إنهاء حياة من ظللهم معاوية.

أمَّا التكوين البايولوجي للصدر، فهو قائم على عظام لينة تنماز بالميل والاعوجاج تسمى الأضلاع، وبين هذه الأضلاع يضع الإمام عليه السلام مكاناً للطاعة في قوله:

«فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَارًا دُونَ دِثَارِكُمْ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلطيفاً بَيْنَ أَضْلاعِكُمْ».

إذ أمر بأن يجعل الطاعة من السرائر ومكونات الإنسان، وقد أراد غاية إدخالها الباطن وجعلها متمكنة في القلوب^(٢)، فأكد الدلالة باستعارة الشعار والدخيل واللطيف للطاعة، وقد عبّر عن المطلوبة بأثنا لطيف بين الأضلاع؛ لأن ذلك أمس بالإنسان من الشعار والدخيل فقد يكون الدخيل في الجسد ولم يخامر القلب^(٣)، لذا لم يكتف عليه السلام بجعلها دخيلاً في البدن كالروح^(٤)، وقد عمد عليه السلام إلى هذا الأسلوب التصوري للقلب؛ لأنه ذكر في السياق ثلاث مراحل للطاعة آخرها الاستقرار فللتعبير يستدعي المحافظة على هذه المرتبة، فوظفت سمة الأضلاع لذلك لعلاقة المجاورة وكان ذلك سائغاً باستعمال الظرف (بين) وملائماً للدلالة.

(١) نهج البلاغة، تعليق صبحي الصالح: ٥٨١.

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢١ / ٢٧٧.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٠ / ١٩١.

(٤) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١٢ / ٥٢٦.

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٥٥
أمّا الشاهد الآخر للفظ الأضلاع، فقد جاء في سياق ذكر الموت وما يتعلق به
إذ قال ﷺ:

«مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ
الْفَرْعِ، وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ».

واختلاف الأضلاع يعني اشتباكها ودخول بعضها في بعض ومجيء ضلع
موضع ضلع آخر من شدة الضغط في القبر^(١)، وهذا ما يوحى للسامع بانهيار جدار
القوة لما يحرص عليه الإنسان، إذ يجعل الإمام من هذه الأضلاع محلاً لضغطة القبر
بخروجها عن هيأتها، ويلاحظ أنّ الإمام قد وظّف هذه العظام الصغيرة المنحنية
مرتين في النهج؛ لغرض الوعظ والإرشاد، وربّما قربها من مركز العاطفة إذ أعطاها
دلالة أقوى في الاستعمال.

أمّا لفظ الجوانح فقد وظّف بصيغة الجمع حصراً في سياقين، الأول قوله ﷺ في
الشاهد الأول:

«وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ... ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ
صَدْرِهِ».

وهذا النص جاء للحثّ على الجهاد؛ ولأهمية هذا الأمر فقد قدّم نفسه الشريفة
برفضه لمن يسلطّ العدو على نفسه ليصنع به ما تقدم ذكره في السياق، ووصفه الإمام
بأنّه عاجز عظيم العجز؛ لأنّ خلاصة تلك الوجوه انفصال شيء من دون رجوع
عمد إليها الإمام حتى تكون صورة مؤثرة؛ لأنّ متلقي الخطاب ضعيف القلب^(٢)،
فالذي ضُمّت عليه الجوانح هو القلب وما يتبعه، وتأتي الكناية عنه بجوانح الصدر

(١) ينظر: نهج البلاغة، تعليق، محمد الحسيني الشيرازي: ٣٨٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، الحائري: ٢/٢٤٨، والإمام علي ﷺ في ملاحم نهج البلاغة، علي عزيز
الإبراهيم: ٣٦٩.

١٥٦ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

في الخطاب العلوي؛ لأنها الأضلاع التي تحميه، وهذا ما يتناسب مع الضعف؛ فلكونه ضعيفاً ضمت عليه الجوانح ولو كان قوياً لظهر، وفي الشاهد الآخر كانت الجوانح أشد التصاقاً بالقلب في حديثه عليه السلام عن علمه:

«عِلْمُ عِلْمِهِ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي».

ويوضح الإمام في السياق أن هذا التعليم ليس بعلم الغيب، بل حصل بإذن من الله قبل كل شيء، أمّا دعاء الرسول عليه السلام فكان ذا هدفين الأول: أن يسعه صدره، والآخر: أن يضبطه قلبه ويشتمل عليه ويحفظه، وكنتى بالجوانح عن القلب لاشتغالها عليه^(١)؛ لأنّ فعل الضم، يدل على اشتغالها للقلب، أي وتنضمُّ عليه جوانحي^(٢)، ويستفاد من علاقة التلازم بين الصدر والجوانح في التركيز على رسم صورة منسجمة تدل على السعة والحفظ، ويُلاحظ أنّ الإمام عليه السلام قد استعمل قوة وميلان الجوانح في كلا الشاهدين لغرض المحافظة على ما حفظه الإمام، فهي تدلّ على شدة الحرص على ما تعلّم إلى الحدّ الذي تقفل عليه جوانحه صيانةً له من الضياع، وبذلك يكون معنى الجوانح عند الإمام الأضلاع التي تحمي القلب لا الأضلاع عامة كما ذكرنا في التقديم اللغوي.

المجموعة الثانية:

تتضمن الألفاظ الظاهرة التابعة للصدر، وهي (الحجر، الحِصْن، الثدي، اللبن)، وستكون دراستها على وفق للشواهد الآتية:

- الحجر: جاء اللفظ مرة واحدة في كلام يصف به الإمام عليه السلام قرابته من رسول

الله:

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢١٣/٨.

(٢) ينظر: دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين: ١٦٩.

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٥٧

«... وَصَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْتُنُّنِي فِي فِرَاشِهِ»^(١).

- الحِضْنُ: ورد هذا اللفظ مرة واحدة في كلام الإمام عليه السلام عن عثمان بن عفان:
«إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ، نَافِجًا حِضْنِيهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو
أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضَمَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ...»^(٢).

- الثَّدْي: استعمل هذا اللفظ مرتين، وهما قول الإمام عليه السلام مخاطباً الإنسان:
«...فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ
طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ!»^(٣).

وقوله عليه السلام يصف شجاعته:

«وَاللَّهِ لَا بَنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ...»^(٤).

- اللَّبَنُ: استعمله الإمام عليه السلام مرة واحدة في كتابه إلى معاوية جواباً على كتاب منه:
«...وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدَعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ»^(٥).

وقبل تحليل هذه الشواهد لابد من معرفة المعنى اللغوي لها، فالحجر منها يرجع إلى الجذر (ح ج ر)، وله «أصل واحد مطَّرد، وهو المنع والإحاطة على الشيء، فالْحَجْرُ حَجْرُ الْإِنْسَانِ، وقد تكسر حاؤه، ويقال: حَجَرُ الْحَاكِمِ عَلَى السَّفِينَةِ حَجْرًا؛ وذلك مَنْعُهُ إِيَّاهُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ»^(٦)، ويذكر ابن سيده حجر الإنسان بقوله: «وَحَجْرُ الْإِنْسَانِ وَحَجْرُهُ: ما بين يديه... ونشأ فلان في حَجْرِ فلان وَحَجْرِهِ، أي

(١) نهج البلاغة: ١١٣/٢، خ ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ١/٣٣٣ خ ٣.

(٣) نهج البلاغة: ١/٣٨٧، خ ١٦٤.

(٤) المصدر نفسه: ١/٤٠، خ ٥.

(٥) المصدر نفسه: ٢/٢٨٤، ك ٦٤.

(٦) مقاييس اللغة: ٢/١٣٨، وينظر: لسان العرب: ٤/١٦٥.

١٥٨ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

حَفِظْهُ وَسِتْرَهُ»^(١)، وجمعه: حجور^(٢)، أمَّا الحِضْنُ، فهو من الجذر (ح ض ن) وله «أصلٌ واحد يقاس، وهو حَفِظَ الشيء وصِيَاتِهِ... ومصدره الحِضْنُ والحِضَانَةُ»^(٣)، ولم يَحْضَ جزء الحِضْن بتحديد واضح في كتب خلق الإنسان المتقدمة ولم تسعفنا في تحديد هذا الجزء من الجسم إلاَّ معجمات الألفاظ وعلى وجه الدقة معجم الخليل بقوله: «الحِضْن: ما دون الإبطن إلى الكشح، ومنه احتضانك الشيء... في حضنك كما تحتضن المرأة ولدها فتحمله في أحد شقيها»^(٤)، وتوسَّع الأزهري (ت ٣٧٠هـ) قليلاً فقال: «حِضْنَا الجبل ناحيته، وحِضْنَا الرجل جَنْبَاهُ»^(٥)، ويتسع المعنى عند ابن منظور أيضاً ويجعل من قول الإمام عليه السلام في غير نهج البلاغة شاهداً بقوله: «وحِضْنَا الشيء جانباه ونواحي كل شيء أَحْضَانُهُ وفي حديث علي (كرم الله وجهه) عَلَيَّكُمْ بِالْحِضْنَيْنِ، يريد بجَنْبَيْ العَسْكَر»^(٦)، ونجد ذلك المعنى وارد بلفظ الحجر عند الخليل بقوله: «وحجرتا العسكر جانباه من الميمنة والميسرة»^(٧)، ويبدو من هذا أنَّ الحِضْن من الألفاظ التي تتمتع بقراءة دلالية مع الحجر في استعمال العرب، لذلك قيل: أَنَّ الحِجْرَ والحِجْرَ لغتان للحِضْنَيْنِ^(٨)، لكن الحجر أوسع على ما يبدو، وربما جاء هذا التقارب من باب اشتراكهما بالإحاطة والحفظ في الجذور اللغوية على الرغم من اختلافها.

-
- (١) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إساعيل بن سيدة المرسي (ت ٤٥٨هـ): ٦٨/٣، وينظر: خلق الإنسان، الأصمعي: ٢١٧.
- (٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١/٢١٤.
- (٣) مقاييس اللغة: ٢/٧٣.
- (٤) العين: ٣/١٠٥.
- (٥) تهذيب اللغة: ٢/٣.
- (٦) لسان العرب: ٣/١٢٢.
- (٧) العين: ٣/٧٥.
- (٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣/٧٥.

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٥٩

وتتخذ هذه الرعاية أشكالاً مختلفة عند الرجل والمرأة، ومن الألفاظ الأخر التي مثلت ذلك أيضاً الثدي وهو من الأجزاء البارزة على الصدر، وذهب بعض اللغويين إلى أنه يُذكر ويُؤنث والأشهر تذكيره^(١)، وهو من الجذر (ث د ي) عبر عنه ابن فارس بأنه «كلمة واحدة، وهي ثدي المرأة، والجمع أئد، والثدياء: الكبيرة الثدي، ثم فرق بينه وبين الذي للرجل، فقيل في الرجل التندوة بالضم والهمزة، والتندوة بالفتح غير مهموز»^(٢)، وقيل: الثدي للرجل والمرأة، وعلى قول ابن فارس فإن الثدي يستعار للرجل^(٣)، ويبدو أن ذلك بفعل اختصاص المرأة بوظائف إضافية للثدي عندها ومنها الرضاعة وغيرها، فهو من لوازم الرعاية عندها، وأمّا اللبن، فهو من متعلقات الثدي المشار إليه آنفاً، وهو «خلاص الجسد، ومستخلصه من بين الفرث والدم... واللبن: الصدر، واللبننة: واحدة اللبن»^(٤)، ويرجع إلى الجذر (ل ب ن)، وله «أصل صحيح يتفرع منه كلمات، وهو اللبن المشروب، يقال:... هو أخوه لبان أمه، ولا يقال بلبن أمه»^(٥)، ومعروف أن سبيله للخروج هو الثدي.

ومن استعمالات هذه الألفاظ في نهج البلاغة، فإن ما تعلق باستعمال لفظ الحجر عند الإمام، فقد وظّفه في حديثه عن قرابته من رسول الله: «وَصَعْنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ»، ومعنى (في حجّره) في كنفه وحمايته، وهو من المعاني الشائعة في العربية، لكن الغرض من استعمال لفظ الحجر في هذا النص الدلالة على أن الرسول يمنعه من أي زلل أو خطأ ويحافظ عليه ويصونه من

(١) ينظر: المعجم المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر: ٩٠.

(٢) مقاييس اللغة: ١/٣٧٣.

(٣) ينظر: المعجم المبتكر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر: ٩١.

(٤) العين: ٨/٣٢٦-٣٢٧.

(٥) مقاييس اللغة: ٥/٣٣١.

١٦٠ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ
أية هفوة في تربيته إياه، أما فرادته فيمكن تأويله بشدة اختصاص الإمام برسول الله
ودلالة قربه منه- كما يتضح من المصاحبات اللغوية-؛ إذ إنه ﷺ تربى في حجره،
وحفظه، ورعايته^(١)، ويظهر أن الإمام قد فضّل في استعمال هذا الجزء من الإنسان
لغة الكسر (حِجْر).

أمّا عن استعمال لفظ الحِضْن في النهج، فقد استعير للدنيا مرة واحدة^(٢)،
وأخرى للإنسان في قوله ﷺ في شاهد اللفظ: «إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ، نَافِجًا
حِضْنِيهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ»، وهنا يصف الإمام حال عثمان بن عفان، فبعد أن
استقرت الخلافة له وهو ثالث القوم، ولما بايعه الناس ورأى تلك العزة غلب
عليه الكِبَر والغرور، ف«يقال للمتكبر جاء نافعاً حِضْنِيهِ، ويقال لمن امتلأ بطنه
طعاماً جاء نافعاً حِضْنِيهِ، ومراده ﷺ هذا الثاني والنثيل الروث والمعتلف موضع
العلف، يريد أن همّه الأكل والرجيع، وهذا من ممض الذم»^(٣)، فكان عثمان لا
يبالي بأمور المسلمين، ولا يعنى بمصالحهم، بل كان همّه إشباع بطنه، وفرجه،
وشهوته، وشبقه، وجعل أقاربه أمراء على الناس، وأركبهم على رقاب المسلمين
يفعلون ما يشاؤون^(٤)، فالإمام استعمل الحِضْن بدلالة الكِبَر وإن اختلف سببه،
لأنّ كلّ شيء ارتفع فقد انتفج^(٥)، وعثمان قد امتنع من المحافظة على أمور
المسلمين، وهذا المعنى مثل انعكاساً في العلاقة الدلالية مع الأصل اللغوي
بالمناسبة، ونجد في النصّ دليلاً لغوياً على أنّ الحِضْن هو ما ذهب إليه الخليل،
فالإمام ﷺ استعمله بصيغة التثنية مع قرينة النوافج وهي «مؤخرات الضلوع،

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ٢٥٢.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ٢/ ٨٢، خ ٢٣٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٩٨.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، الحائري: ١/ ١٨٥.

(٥) ينظر: العين: ٦/ ١٤٥.

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٦١

الواحد نافج ونافجة»^(١)، فيقال: نافج حضنيه كأنه قد نفخ جانبيه ورفعهما، ويظهر في استعمال أمير المؤمنين للفظ الحضن ابتعاده عن وظيفة الشهرة، في حين أن بقية ألفاظ هذه المجموعة يلحظ في استعمالها بعداً وظيفياً ففي استعمال لفظ الثدي في الشاهد المذكور آنفاً قال عليه السلام: «فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْعِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمَّكَ وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ»، ويلحظ اختلاف التصورات التي أفرزها النص، فقد تركزت في الجانبين (الإمتاعي، والإقناعي)، الإمتاع بوصفه إجراءات أسلوبية تخاطب في المقام الأول أحاسيس المتلقي، وتسعى إلى تحريك عواطفه، متوخية التأثير الفاعل في تبني مواقف مؤيدة لهدف النص؛ لقبول قضية أراد تقريرها المخاطب في مسار استدلائي منظم، محتمل للمعقول والمقبول من الرأي المخالف^(٢)، فالخطاب موجه للإنسان في سياق تذكيره بمراحل خلقه، والعناية الإلهية التي توجهه نحو ثدي أمه، فقد منَّ الله عليه بوجود مادة كيميائية خاصة تجذب الطفل نحو حلمة الثدي، وحينها تلعب الأعصاب دورها في جمع الحليب ودفعه نحو فم الرضيع، ولولا تلك المحفزات والمحركات الهرمونية والعضلية عند الأم والطفل، لما حصلت الرضاعة وعُرفت حاجة الرضيع إلى حليب أمه^(٣)، وقد استعمل عليه السلام الثدي للدلالة تمخضت عن سبب وظيفي فحواها عجز الإنسان عن معرفة حتى حاجته؛ لذا فهو عاجز عن معرفة خالقه^(٤).

أمَّا الشاهد الآخر الذي ورد فيه لفظ الثدي فكان في مقام ضرب المثل بقول الإمام: «وَاللَّهِ لَا بَنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ»، فقد أقسم عليه السلام بالله

(١) المصدر نفسه: ٦/ ١٤٥.

(٢) ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في أضواء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري: ٨.

(٣) ينظر: نهج البلاغة والطب الحديث، الدكتور صادق عبد الرضا علي: ٤٩-٥٠.

(٤) ينظر: سياق الخطبة في نهج البلاغة: ١/ ٣٨٧، خ ١٦٤.

١٦٢ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ
تعالى أنه أشدُّ أنسٍ بالموت من الطفل بثدي أمه؛ لأنَّ محبةَ الطفل وميله إلى ثدي أمه أمرٌ طبيعي، لكنه في معرض الزوال، فإذا كبر الطفل وتجاوز سن الرضاع يزول ذلك الأنس، لكن أنس علي عليه السلام بالموت لا يزول مهما عاش؛ لأنَّه أكَّد ذلك باستعمال اسم التفضيل (أنس)، ونجد تعليلاً مناسباً عند سعيد بن كراد لاستعمال اللفظ من دون غيره، وهو أنَّ الثدي في أغلب الاستعمالات مرتبط بوظيفة الرضاعة (حليب الأم) ومن خصائصه الذاتية أنه لا يضمن حضور الرائي الذي يرى ويبصر ويتأمل، في حين نجد ذلك في تسميات له لصيقة بجوانب آخر من الاستعمال^(١)، ويبدو أنَّ الاستعمال في النصين يتسم بطابع مرحلي وظيفي بحث في السياق؛ لأنَّ المصاحبات التي تتركب معها اللفظ تخصُّ مرحلة الرضاعة لا غير.

أمَّا لفظ اللَّبن الذي جاء فيما يخص الإنسان على سبيل التمثيل بقوله عليه السلام:

«وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا حُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ».

وهذا النص مقتطع من كتاب أجاب به الإمام عن كتاب من معاوية، ويمثل عليه السلام ما يريده الطرف الآخر بأنَّه حُدْعَةٌ، وهو ما تصرف به الصبي عن طلب اللبن أول فطامه، والمقصود هنا ما تصرف به عدوك عن قصدك به في الحروب ونحوها^(٢)، ومن قراءة فاحصة للنص كاملاً تتضح افتراضات سابقة في الذهن يتحدث الإمام عنها بهذه اللغة الرمزية؛ فلكل خطابٍ رصيّدٍ من الافتراضات السابقة، يضمّ معلومات مستمدة من المعرفة العامة، وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب نفسه، فعند كلِّ طرفٍ من أطراف الخطاب رصيّدٌ منها يساعده على فهم المقصود وإن حذف بعض المعلومات الخطابية في المقام^(٣)،

(١) ينظر: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بن كراد: ٢٠١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، تح: فارس الحسون: ٦١٠.

(٣) ينظر: المقاربة التداولية، ارمينكو فرانسواز: ٥٢.

الفصل الثاني: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به ١٦٣
ومنها قضية تسليم قتلة عثمان، وقضية البيعة، والتعويض عنها بغيرها^(١)، ونرى
أنَّ مسوغ الاستعمال للتمثيل باللفظ هو أنَّ معاوية يبتغي خدع الإمام وتلهيته
عن أمور من أجل أن يحقق معاوية مآربه.

ويتبين من دراسة المجموعتين السابقتين وفهم المعاني اللغوية لها، أنَّ الصدر
قد تصدَّر ألفاظ الحقل بحضوره في نصوص نهج البلاغة، ولا يُخفى تمثُّع هذه
الألفاظ بالثراء الدلالي نتيجة تنوع السياقات التي جاءت فيها، وكان للقلب
أثرٌ معنويٌّ في تجهيز الدلالة على الرغم من تفاوت الشركات الأساسية بينه وبين
الألفاظ كالصدر والأضلاع والجوانح، وهامشيته كالحجر، ومن اللافت للنظر
في دراسة هذه الألفاظ أنَّ بعض الألفاظ مثل الحُصن والحجر التي قال اللغويون
بترادفها، قد استعملها الإمام بدلالات متباعدة، ومن قراءة لنصوص هذه
الألفاظ بشكل عام، يظهر أنَّ أغلب هذه النصوص وظَّفت لأغراض وعظية
إنمازت بحسن التصوير.

(١) ينظر: نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل: ٢ / ٢٨٤.

المبحث الثالث

الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به

يجتنبُ في صدر الإنسان جزء من جسمه له منزلة عظيمة هو القلب، فيه يقوم الجسد كله؛ لأنه منبع ينقبض ليعطي، ومصفاة تنبسط لتتلقى، حركتان تتناوبان أخذاً وعطاءً، فتستمر بهما الحياة عبر الدورة الدموية الدائبة، بجولة في باطن الشرايين والأوردة؛ لتغذية الجسم وبنائه حيناً والدفاع عنه حيناً آخر، فإذا كفَّ القلب عن إشرافه عليها كفَّت الحياة أنسامها؛ فهو وعاء تعبئة الحياة بسماته الخفية^(١)، إذن فنحن هنا أمام مهمة سبر غور باطن النصوص لرؤية القلب بظواهر إبداعه وامتغياته الحيّة عبر وسائل معرفية من فهم لغوي، وتصوري، ورمزي، ونحو ذلك، وكان ظهور القلب في المتن المدروس بلفظه تارة، وبألفاظ ملحقاته تارة أخرى وهي: (فؤاد، جنان، سويداء القلب، شغاف، الأهر، نياط)، وستكون طبيعة الدراسة لهذه الألفاظ بثلاث مجموعات، الأولى: تمثل القلب وما فيه، والثانية: تمثل ما يحيط بالقلب، والثالثة: تضمّ جملة من الألفاظ التي تشير إلى ما يلحق بالقلب من أجزاء.

الجموعة الأولى:

تتضمن الألفاظ الآتية: (القلب، الجنان، سويداء القلب) ومن شواهدنا:

(١) ينظر: الإنسان والتاريخ في شعر أبي تمام، أسعد أحمد علي: ٤٤-٤٥.

- القلب: وهو من أكثر أجزاء الجسم التي ورد ذكرها في نهج البلاغة؛ إذ وردت مائة واثنتين وستين مرة^(١)، قد حُصِّصَ بها الإنسان، منها قول الإمام عليه السلام في

(١) ينظر: نهج البلاغة: ٤٣/١، خ ٨، ٧٦/١، خ ٢٧، ٧٧/١، خ ٢٧، ٨٤/١، خ ٢٩، ١٠٤/١، خ ٤١، ١٠٩/١، خ ٤٥، ١١٣/١، خ ٤٩، ١١٣/١، خ ٤٩، ١٤٦/١، خ ٧٧، ١٥٨/١، خ ٨٢، ١٧٣/١، خ ٨٦، ١٧٤/١، خ ٨٦، ١٧٨/١، خ ٨٧، ١٨٩/١، خ ٩٠، ٢٢٥/١، خ ١٠٠، ٢٤٩/١، خ ١٠٨، ٣٠٦/١، خ ١٣٢، ٣٠٧/١، خ ١٣٢، ٣١٠/١، خ ١٣٣، ٣٥٦/١، خ ١٥٤، ٣٧٤/١، خ ١٦١، ٣٧٧/١، خ ١٦١، ٣٩٥/١، خ ١٦٦، ٣٩٦/١، خ ١٦٦، ٤١٩/١، خ ١٧٧، ٤١٩/١، خ ١٧٧، ٤٢٠/١، خ ١٧٧، ٤٣٩/١، خ ١٨٦، ٤٤٧/١، خ ١٨٦، ٤٥٠/١، خ ١٨٧، ٧١/١، خ ٢٥، ٨٨/١، خ ٣٢، ٩٢/١، خ ٣٢، ١١٧/١، خ ٥٢، ١٣٩/١، خ ٧١، ١٣٩/١، خ ٧١، ١٥٥/١، خ ٨٢، ١٥٦/١، خ ٨٢، ١٥٨/١، خ ٨٢، ١٦٧/١، خ ٨٤، ١٨٧/١، خ ٩٠، ١٩٣/١، خ ٩٠، ١٩٤/١، خ ٩٠، ١٩٥/١، خ ٩٠، ١٩٦/١، خ ٩٠، ٢٠٢/١، خ ٩٠، ٢٠٦/١، خ ٩١، ٢٤٢/١، خ ١٠٧، ٢٤٣/١، خ ١٠٧، ٢٤٤/١، خ ١٠٧، ٢٤٦/١، خ ١٠٧، ٢٥٦/١، خ ١١٠، ٢٦٢/١، خ ١١٢، ٢٦٣/١، خ ١١٢، ٢٦٥/١، خ ١١٣، ٢٧٧/١، خ ١١٨، ٢٨٧/١، خ ١٢٤، ٣٠٤/١، خ ١٣١، ٣٢٩/١، خ ١٤٤، ٣٤٦/١، خ ١٥١، ٣٦٩/١، خ ١٦٩، ٤١١/١، خ ١٧٣، ٤١١/١، خ ١٧٣، ٤٢٢/١، خ ١٧٨، ٤٢٤/١، خ ١٧٩، ٤٤٤/١، خ ١٨٦، ٤٤٥/١، خ ١٨٦، ٤٥٠/١، خ ١٨٧، ٤٦٠/١، خ ١٩١، ٤٦٥/١، خ ١٩١، ٨٦/٢، خ ٢٣٨، ٨٩/٢، خ ٢٣٨، ٩٣/٢، خ ٢٣٨، ٩٨/٢، خ ٢٣٨، ١٠٢/٢، خ ٣٨، ١٠٢/٢، خ ٢٣٨، ١٠٢/٢، خ ٢٣٨، ١٠٣/٢، خ ١٣٨، ١٠٥/٢، خ ٢٣٨، ١٠٦/٢، خ ٢٣٨، ١١٥/٢، خ ٢٣٨، ٢٠/٢، خ ٢٠٧، ٢٦/٢، خ ٢١٠، ٢٩/٢، خ ٢١١، ٢٣/٢، خ ٢١٤، ٤٦/٢، خ ٢١٨، ٥٣/٢، خ ٢٢٢، ٥٨/٢، خ ٢٢٥، ٦٢/٢، خ ٢٢٩، ٨٠/٢، خ ٢٣٥، ٩٤/٢، خ ٢٣٨، ١١٢/٢، خ ٢٣٨، ٣/٢، خ ١٩٦، ٥١٩/٢، خ ١٩٨، ٣٩/٢، خ ٢١٦، ٣٩/٢، خ ٢١٦، ٣٩/٢، خ ٢١٦، ٤٢/٢، خ ٢١٧، ٤٤/٢، خ ٢١٧، ٥٣/٢، خ ٢٢٢، ٥٨/٢، خ ٢٥٥، ٥٩/٢، خ ٢٢٦، ٦٥/٢، خ ٢٣١، ٧٦/٢، خ ٢٣٣، ٧٦/٢، خ ٢٣٥، ٧٩/٢، خ ٢٣٥، ١٤١/٢، ك ١٠، ١٨٥/٢، ك ٣١، ١٨١/٢، ك ٣١، ١٨١/٢، ك ٣١، ١٨٣/٢، ك ٣١، ١٨٣/٢، ك ٣١، ١٨٦/٢، ك ٣١، ٢٤٠/٢، ك ٥٣، ٢٤١/٢، ك ٥٣، ٢٤٢/٢، ك ٥٣، ٢٧٢/٢، ك ٥٨، ٢٨٣/٢، ك ٦٤، ٤٩/٢، ك ١٥٣، ١٥٣/٢، ك ١٨، ١٧٣/٢، ك ٢٨، ٢٠٤/٢، ك ٣٣، ٢٤٩/٢، ك ٥٣، ٣١٨/٢، ح ٤٨، ٣٢٥/٢، ح ٨٩، ٣٣٩/٢، ح ١٤٣، ٣٤٠/٢، ح ١٤٣،

الفصل الثاني: المبحث الثالث الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به ١٦٧

إحدى حكمه:

«لَقَدْ عَلَّقَ بِنِيَابِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَذَلِكَ الْقَلْبُ، وَلَهُ مَوَادٌّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا»^(١).

وقوله عليه السلام في ذات الله:

«بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَحِبُّ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ»^(٢).

- الجنان: ورد أربع مرات^(٣)، منها قول الإمام عليه السلام من كلمات كان يدعو بها:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ، وَسَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللَّسَانِ»^(٤).

وقوله عليه السلام من كلام يعظ الناس ويهديهم عن الضلال في الخطبة العجماء:

«... كَيْفَ يُرَاعِي التَّبَاةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ. رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ»^(٥).

- سويداء القلب: وردت مرة واحدة في قول الإمام عليه السلام يصف الحياة الدنيا:

٣٤٢/٢، ح ١٤٣، ٣٥١/٢، ح ١٨٩، ٣٥١/٢، ح ١٩٣، ١٧٩/٢، ح ٣١٨، ٣٨٠/٢، ح ٣٢٣، ٣٩٢/٢، ح ٣٨١، ٣١٦/٢، ح ٤٠، ٣٢٩/٢، ح ٩٩، ٣٤١/٢، ح ١٤٣، ٣٥١/٢، ح ١٨٩، ٣٥٦/٢، ح ٢٢٣، ٣٥٧/٢، ح ٢٢٤، ٣٦٥/٢، ح ٢٦٢، ٣٨٣/٢، ح ٣٣٩، ٣٨٦/٢، ح ٣٥٥، ٣٨٩/٢، ح ٣٧٣، ٣٩٢/٢، ح ٣٧٩، ٣٩٢/٢، ح ٣٨٠، ٣٩٢/٢، ح ٣٨٠، ٣٩٢/٢، ح ٣٨٠، ٣٨٠/٢، ح ٣٩٢، ٣٩٥/٢، ح ٣٩٥، ٣٩٩/٢، ح ٤١٧.

(١) نهج البلاغة: ٣٣٠/٢، ح ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ٤٢٥/١، خ ١٨٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٦/١، خ ٧٧، ٦٢/٢، خ ٢٢٩.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٦/١، خ ٧٧، وقد ورد في نسخ أخرى محققة (وَسَهَوَاتِ الْجَنَانِ)، مثل نسخة فارس الحسنون ونسخة هاشم الميلاني وغيرها.

(٥) نهج البلاغة: ٣٧/١، خ ٤.

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ... وَمَنْ اسْتَشَعَرَ الشَّغْفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَانًا، لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ، هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وَغَمٌّ يَحْزُنُهُ...»^(١).

وللتميز بين هذه الألفاظ وأصولها اللغوية، لابدَّ من الإحاطة بما تيسَّر من معانيها اللغوية، فالقلب، من الجذر (ق ل ب)، وله «أصلانِ صحيحان: أحدهما يدلُّ على خالصِ شيءٍ وشريفه، والآخَرُ على ردِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهةٍ. فالأوَّلُ القَلْبُ: قلب الإنسان وغيره، سمِّيَ لأنَّه أخلصُ شيءٍ فيه وأرفعُه، وخالِصُ كلِّ شيءٍ وأشرفُه قلبُه... والأصل الآخَرُ قَلَبْتُ الثَّوبَ قَلْبًا، والقَلْبُ: انقلابُ الشَّفَّةِ، وهي قَلْبَاءٌ وصاحبُها أَقَلْبٌ، وقَلَبْتُ الشَّيْءَ: كَبَبْتُهُ، وقَلَبْتَهُ بِيَدِي تَقْلِيبًا»^(٢)، أمَّا في خلق الإنسان فقد جاء بأنَّ القلب: مضغَّة من الفؤاد معلَّقة بالنياط، وقيل: الفؤاد غشاءُ القلب، والقلب حبه وسويداؤه^(٣)، وفي القلب أذناه وهما كالأذنين فيه^(٤)، وهو مقلوب الخلقة والوضع كما يشهد بذلك علم التشريح^(٥)، ويبدو أنَّ ذلك من أسباب تسمية القلب، فضلًا عن تقلُّب أحواله.

أمَّا الجَنَانُ: فهو من أسماء القلب، يقال: ما يستقر جنانه من الفزع^(٦)، وهو من الجذر (ج ن ن)، وله «أصل واحد، وهو السَّتْرُ والتسْتُرُّ... والجنين: الولد في بطن أمِّه، والجنين: المقبور، والجَنَانُ: القَلْبُ»^(٧)، وسمي الجَنَانُ جَنَانًا لأنَّه اجتنَّ في

(١) المصدر نفسه: ٢/٣٨٩، ح ٣٧٣.

(٢) مقاييس اللغة: ١٧/٥.

(٣) ينظر: خلق الإنسان في اللغة: ٢٤٠، وينظر: العين: ١/٨١٠.

(٤) ينظر: خلق الإنسان، الزجاج: ٨٤.

(٥) ينظر: الكليات: ١١١٢.

(٦) ينظر: العين: ٦/٢١.

(٧) مقاييس اللغة: ١/٤٢١.

الفصل الثاني: المبحث الثالث الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به ١٦٩

الصدر وأصله من الستر^(١)، أي: ستر الشيء عن الحاسة^(٢)، وهذه التسمية يختلف أساسها عن تسمية القلب، ويمكن أن يكون الجنان الجزء الخفي من القلب، فهو أخص منه وجزء منه، والرباط بينهما علاقة اشتغال، ويجتنب في القلب من أجزائه سويداؤه، يرجعها ابن فارس إلى الجذر (س و د) وله «أصل واحد، وهو خلاف البياض في اللون، ثم يحمل عليه ويشتق منه، فالسواد في اللون معروف... وسواد كل شيء: شخصه... وقالوا: سواد القلب وسويداؤه، وهي حَبته»^(٣)، وتكون «علقة سوداء في جوف القلب إذا انشقت بدت كأنها قطعة كبد، يقال للرجل إذا أوصي بشيء اجعله في سويداء قلبك»^(٤)، وبهذا يكون معنى السويداء مشروطاً بالتلازم اللفظي مع القلب، أما وظيفتها فهي تنظيم دقات القلب كما هو معلوم.

أما في نهج البلاغة فقد استعمل الإمام القلب في الشاهد الأول بقوله:

«لَقَدْ عَلَّقَ بِنِيَابِطِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةً هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَذَلِكَ الْقَلْبُ، وَلَهُ مَوَادٌّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا».

للتعبير عن تقلبه بالخواطر وارتباطه بمعاني الروح والعلم والعقل والقوة^(٥)، فقد ذكر صاحب المفردات أن القلب لم يكن متقلباً إلا لتمكُّنه^(٦)، إذ سُمِّيَتِ المضغة الصنوبرية قلباً لكونه يتميز بسرعة التلون في الأحوال^(٧)، وهذا مصداق قول النبي

(١) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ٧، ومقاييس اللغة: ١/ ٣٧٨.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١/ ١٢٨.

(٣) مقاييس اللغة: ٣/ ١١٤.

(٤) خلق الإنسان، الأصمعي: ٢١٨، وخلق الإنسان، ثابت: ٢٥٩، وخلق الإنسان، الزجاج: ٨٤.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٤١١: .

(٦) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين احمد بن محمد المعروف بابن الهائم (ت

٥٥٠هـ): ٥٥.

(٧) ينظر: الكليات: ١١١٢.

١٧٠ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

محمد وهو: «ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صَلَّحَتْ صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(١)، وتقع أكثر الأنواع والأحوال القلوب التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام عموماً على النوعين الواردين في الحديث الشريف، وكان من أكثرها حضوراً في نهج البلاغة القلب الصالح، فيصوّر عليه السلام بدء المعركة ونشوب الصراع بين نفس الإنسان الراغبة في الحياة وبين روح الالتزام بالفرائض، وشدّ أحزمة العزم لاستحصال مراتب الإيمان وحضور القلب، وتوجهه في السعي لمعالجة النفس^(٢)، ووفقاً لهذا المعنى قيل: «أن للقلب سبع طبقات، الصدر وهو محل الإسلام ومحل الوسواس، ثم القلب وهو محل الإيمان»^(٣)، ويظهر أن الإمام عليه السلام قد جعل من هذه اللحمة الصنوبرية الشكل أداة دالة على الأمور التي لا يدركها بصر العين فوظفها للحكمة؛ لاشتراكها في التعلق بالروح الإنسانية، أما حركته الدؤوبة فلم يستثنها الإمام عليه السلام فقد ذكرت في ثلاثة نصوص^(٤)، ومنها ما جاء في سياق الحديث عن ذات الله بقوله:

«تَحِبُّ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ».

ويلحظ في سياق النص ارتباطاً بين أعضاء معينة من الجسم والحالات العاطفية والنفسية ومن هذه الأعضاء القلب؛ لأن ما فيه من مشاعر يبدو أثره على ظاهر الإنسان، ويمكن أن نجعل من قول الإمام عليه السلام في مستدرك نهج البلاغة دليلاً على هذه العلاقة، وهو إنَّ «العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب،

(١) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، حديث رقم (١٠٧٠٣):
.٢٦٤ / ٥

(٢) ينظر: حياة القلوب في نهج البلاغة، مركز نون للتأليف والترجمة: ١٠٧.

(٣) الكلبيات: ١١٣.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: ١١٢ / ٢، ١١٥، ٣٩ / ٢، خ ٢١٦.

الفصل الثاني: المبحث الثالث الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به ١٧١
والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء»^(١)، ووجبة القلب المذكورة
في الشاهد هي حركة غير اعتيادية تعتور القلب لظرف معين يواجهه الإنسان،
وأصله من وجب الحائط سقط، يقال: وجب القلبُ وجباً ووجيباً ووجباناً،
أي خَفَقَ^(٢)، وهنا يتبين نوع من الربط الشعوري أو الذاتي لما يشعر به الإنسان
مثل الحب، أو الغضب أو الخوف وازدياد ضربات القلب^(٣) التي يمكن عدّها
لغة إشارية بين الأعضاء ومركز الذات فهي استجابات غريزية فعالة مرتبطة
بالخوف مسؤولة عنها منطقة خاصة في الدماغ^(٤)، وهي من العلاقات الطبيعية
لما يعرف اليوم بالجملة العصبية، ويمكن تخريج المعنى في النص بالشكل الآتي:
وهو أن القلوب ترجف وتضطرب من هيبة الله عند إدراكها لعظمة سلطانه
وعلو شأنه^(٥)، وهذا المعنى قريب من قوله تعالى:

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾^(٦).

فالقلب مصدر للخوف فهو يضطرب باضطرابين (الوجب، الوجب)،
لكن السياق مختلف فالوصف بالوجب أعمق دلالة من الوجب على الرغم من
التقارب الدلالي بينهما وحصول الاضطراب؛ لأن سياق الآية الكريمة يتحدث عن
يوم القيامة، ومما سوَّغ ذكر القلب في استعمال الإمام وظيفته الحركية والشعورية
وارتباطها بدلالة الخوف.

(١) مستدرک نهج البلاغة، وهو مجموع مختار من كلام مولانا أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) عليه السلام مروي في غير النهج، الهادي كاشف الغطاء: ١٧٦.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ): ١/ ١٢٩.

(٣) ينظر: العقل والقلب في الرؤية القرآنية، بحث: علي كاظم الفتال: ٣٥٢-٣٥٣.

(٤) ينظر: نهج البلاغة والطب الحديث: ١١٤.

(٥) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٢٦٣.

(٦) النازعات: ٨.

أما استعمال لفظ الْجَنَانِ فمنه قوله ﷺ:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ، وَسَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ».

للاستغفار لحالة تعتري القلب وهي الغفلة^(٧)، وهذه إشارة إلى ما خفي من الذنوب التي قد تكون من أخطر الذنوب والمعاصي^(٨)؛ فيسهو الإنسان عن ذكر الله ويُلاحظ في النص أن الإمام يستغفر لثلاثة أفعال كلامية متفاوتة القوة وهي لغو الكلام وغفلاته وزلاته، وكان السهو قد توسطها ومركزه الجنان، وقد جاء توظيف لفظ الجنان في النص لمناسبة معنى الخفاء؛ لأنه مشتق من الستر فناسب ذلك أن يكون فيه سهو والسهو مستور غير بادٍ لا يلتفت له الإنسان؛ لهذا طلب الإمام المغفرة لمن يسهو من دون من يدري، والسهو هنا الالتهاؤ عن ذكر الله، وهذا مناسب مع قرينة (سقطات الألفاظ)؛ لأن اللفظ يسقط دون أن يعلم المتكلم بذلك أو يكون متقصداً له.

وفي الشاهد الثاني جاء لفظ الجنان في سياق موعظة الناس بقوله ﷺ:

«رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقُهُ الْحَفَقَانُ».

يقال: ربط جأشهُ رباطةً، أي اشتدَّ قلبه ومثله رباطة الجنان، وهذا دعاء للقلوب الخائفة الوجلة التي لا تزال تخفق من خشية الله ملازم لها حال الاضطراب والرهبه بأن تسكن وتثبت^(٩)، فالجنان يعني القلب، والحفقان حركة لها دلالة الانفعال من خوف، أو حب، أو جزع. وإذا أردنا فهم العبارة تداولياً فإنه ﷺ أراد اجتنان خوف من يخشى الله من المهتدين في توظيفه لفظ الجنان؛ لأنَّ رباط الجنان لا

(٧) ينظر: نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل: ١/١٤٦.

(٨) ينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة، ناصر مكارم الشيرازي: ٣/١٥٧.

(٩) ينظر: نهج البلاغة، شرح محمد عبدة: ٤٤، وصفوة شروح نهج البلاغة: ٥٢.

الفصل الثاني: المبحث الثالث الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به ١٧٣
يَتَهَيَّبُ وَالْجَبَانَ إِذَا تَكَلَّمَ جَفَّ رِيْقُهُ فِي فِيهِ وَهُمْ يَمْدَحُونَ بِكَثْرَةِ الرِّيْقِ عِنْدَ الْمَقَامَاتِ
وَالْحُطْبِ وَفِي الْحَرْبِ وَيَوْمَ اللَّقَاءِ لِأَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى ثَبَاتِ الْقَلْبِ وَقُوَّةِ النَّفْسِ (١).

أما سويداء القلب فقد استعملها الإمام مرة واحدة لما يخص الإنسان، فيرد لفظ
السويداء في قوله عليه السلام عن متاع الدنيا:

«وَمَنْ اسْتَشَعَرَ الشَّغْفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرُهُ أَشْجَانًا، لَهَنَّ رَقْصٌ عَلَى سُودَاءِ
قَلْبِهِ».

وسويداء القلب هنا جاءت في تركيب يشبه به الأعلام المفردة في دلالتها على
ما تطلق عليه في الوضع والاصطلاح (٢)، والمعنى إنَّ للأحزان أثراً في نواة القلب
وحركته فتؤثر به (٣)، وذكرها هنا يتناسب مع معنى السيادة على القلب والشغف
بالدنيا؛ لأنَّ دلالة الشغف اختراق حجاب القلب والنفوذ إلى أعماقه والرقص على
مسرح سويدائه.

وإذا نظرنا إلى ألفاظ هذه المجموعة نجد تداولها في سياقات مختلفة، وفي
مقدمتها ما خصَّ القلب، إذ تكرر ذكره في النهج مائة وثمان وسبعون مرة خصَّ
الإنسان بمائة واثنين وستين مرة منها، وتمَّ الإشارة فيها إلى أشهر القوى التي عرفها
الإنسان قديماً قبل بزوغ المفاهيم القرآنية وانتشارها وهي قوتَا الحب، والحزن، وقد
ذكرت للقلب أحوال كثيرة منها: القلب المريض (٤)، والقلب المرتاب (٥)، والقلب

(١) غريب الحديث، ابن قتيبة: ١/ ٤٩٥.

(٢) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ١٨٧.

(٣) ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٨٤٢.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: على سبيل المثال لا الحصر: ٤٦/٢، خ ٢١٨، ٦٥/٢، خ ٢٣١، ٣٩٥/٢،
ح ٣٩٥...

(٥) ينظر: المصدر نفسه: على سبيل المثال لا الحصر: ١/ ١٨٩، خ ٩٠، ٣٤١/٢، ح ١٤٣...

١٧٤ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

القاسي^(١)، والقلب المتكبر^(٢)، والقلب المنكر^(٣)، والقلب الجازع^(٤)، والقلب الغاصب^(٥)، والقلب الزائع^(٦)، والقلب الفاسد^(٧)، والقلب الأغلف^(٨)، والقلب المختوم^(٩)، وفي سلسلة من متناقضات القلوب يذكر أمير المؤمنين علي عليه السلام القلب الصُّلب^(١٠)، والقلب الخائف^(١١)، وحياة القلوب وموتها^(١٢).

أمَّا اللفظ الآخر الدال على القلب فهو الجنان، والجامع بينهما علاقة الجزء بالكل تحكمها سمات محددة، فهو الجزء الداخلي المستتر في القلب على ما يبدو، وقد خُصص في سياق ما يحرص الإنسان على خفائه، وهو ما يناسب استعمال تسمية الجنان بدلاً من القلب؛ إذ سمي كذلك من باب استتاره في صدر الإنسان، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه التسمية للقلب لم نجد لها حضوراً في كتاب الله العزيز، وتميزت بعض هذه الألفاظ بمصاحبات لغوية كان لها أثر في تقديم الدلالة، ومنها الجنان فقد اقترنت به كلمة اللسان أو ما يشير إليها وهذا ما ينهنأ على استعمال الإمام لما يخفى من الكلام، فكانت القرائن من دواعي الاستعمال في النصوص التي

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٨/١، خ ٨٢، ٣١٨/٢، ح ٤٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٢/٢، ٩٥، خ ٢٣٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٣/١، خ ٤٩، ٣٩٢/٢، ح ٣٧٩، ٣٨٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩/٢، خ ٢١٦، ٣٢٥/٢، ح ٨٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: على سبيل المثال لا الحصر: ٧٩/١، خ ٢٧، ٩٤/٢، ٩٣، خ ٢٣٨...

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٦/١، خ ١٥١.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٢/٢، ك ٥٣.

(٨) ينظر: نهج البلاغة: ٢٨٣/٢، ك ٦٤.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٧٦/١، خ ٢٧، ١٤١/٢، ك ٢، ٢٧٢/٢، ك ٥٨.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٤١/٢، ك ١٠.

(١١) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٣/٢، ك ١٨.

(١٢) ينظر: المصدر نفسه:.

الفصل الثاني: المبحث الثالث الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به ١٧٥
ورد فيها اللفظ.

المجموعة الثانية:

تضمُّ الألفاظ الدالة على ما يحيط بالقلب وهي (الشغاف، الفؤاد)، ومن شواهداها:

- الشَّغاف: جاء اللفظ مرة واحدة في قول الإمام عليه السلام في صفة خلق الإنسان:
«أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَشُعْفِ الْأُسْتَارِ، نُظْفَةً دِفَاقًا، وَعَلَقَةً
مَحَاقًا...»^(١).

- الفؤاد: ورد تسع مرات^(٢)، منها قول الإمام عليه السلام في وصف الناس عند مبعث الرسول:

«وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْحَيْنِ، وَاسْتَعْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ
الرَّيْنِ»^(٣).

وقوله عليه السلام من كلام للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم:
«...وَنَادَى النَّاسَ، فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا
بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ...»^(٤).

ولبيان المعنى السياقي لهذه الألفاظ لابدَّ من الاطلاع على المعاني اللغوية لها،
فالشَّغاف: يرجع إلى الجذر (ش غ ف)، ذكر ابن فارس أنه «كلمةٌ واحدة، وهي

(١) المصدر نفسه: ١/ ١٦٠، خ ٨٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٢١٥، خ ٩٥، ١٠٧/ ٢، خ ٢٣٨، ١٥٤/ ١، خ ٨٢، ٤٢/ ٢، خ ٢١٧،
١٨/ ٢، خ ٢٠٧، ٤٦/ ١، خ ١٩١، ١٨١/ ١، خ ٨٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٨٥، خ ٢٣٧.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٢٨٣، خ ١٢١.

١٧٦ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ
 الشَّغَافُ، وهو غِلافُ القلبِ»^(١)، ويسمى الحِلْبُ، و«هي جُلَيْدةٌ لاصقةٌ بالقلبِ
 ومنه قيلَ خَلَبَهُ إذا بلغَ شَغَافَ قلبِهِ»^(٢)، وفي خلقِ الإنسانِ قالَ ثابتٌ: «وفي القلبِ
 الشغافُ، وهو حجابُ القلبِ، وإذا وصلَ الحبُّ إلى الشغافِ ودخلَ تحتهُ كانَ
 أغلبَ على القلبِ وكذلك الخوفُ»^(٣)، وفي جَلِّ المعجماتِ نجدُ نَفْحَةَ قرآنيةً في
 تحديدهِ معنى الشغافِ، ومن فرائدِ التعبيرِ القرآني استعمالُ هذهِ الكلمةِ لمرةٍ واحدةٍ
 فقط في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ ۗ قَدْ
 شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرِيهَا فِي صِلَىٰ مُبِينٍ﴾^(٤).

وشغفها حباً أي أصاب شغاف قلبها أي باطنه، وقيل وسطه، وهما يتقاربان^(٥)،
 وقال الفراء شغفها حباً أي خرق شغاف قلبها ووصل إليه^(٦)، والباحث يؤيد هذا
 الرأي الأخير.

أمَّا الفؤادُ فقد عُرف بقربه من معنى القلب أو أمَّها مترادفان؛ إذ يقول أبو هلال
 العسكري: «لم يُفَرِّقَ بينهما أهلُ اللغةِ، بل عرفوا كلاهما بالآخر»^(٧)، أمَّا أصلُ
 لفظِ الفؤادِ كما يرى ابنُ فارسِ فمن (ف أ د)، وهو «أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على حُمَّى
 وشِدَّةِ حرارةٍ. من ذلك: فأدَّتْ اللَّحْمَ: شويته، وهذا فَيْدٌ، أي مشويٌّ، والمِفَادُ:
 السَّفُودُ، والمِفْتَادُ: الموضعُ يُشَوَّى فيه... ومما هو من قياسِ البابِ عندنا: الفؤادُ،

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ١٩٥.

(٢) لسان العرب: ٩/ ١٧٨.

(٣) خلق الإنسان، ثابت: ٢٦١.

(٤) يوسف: ٣٠.

(٥) ينظر: المفردات غريب القرآن: ٢٦٣.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٩/ ١٧٨.

(٧) معجم الفروق اللغوية، تنظيم بيت الله بيت: ٤٣٣.

الفصل الثاني: المبحث الثالث الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به ١٧٧
 والفأد: مصدر فأدته، إذا أصبت فؤاده»^(١)، وسمي الفؤاد لتفؤده أي لتوقده^(٢)،
 وفي الفؤاد غشاوة وهي غلافه^(٣)، فالفؤاد غشاؤه الخلب^(٤)، والقلب غشاؤه
 الشغاف على ما يبدو، وبذلك يكون القلب داخل الفؤاد، والفؤاد داخل الخلب،
 وهذا ما يميل إليه الباحث، بدليل قول الرسول:

«أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفئِدَةً»^(٥).

فالأفئدة وصفت بالرقّة؛ لأنّ الفؤاد غشاوة القلب والقلوب وصفت باللين^(٦)؛
 لأنّ اللين يكون للأشياء الصلبة أو السميكة وهذا الوصف ما يناسب اللفظين.
 ومن الفرائد في نهج البلاغة أيضاً استعمال الشغاف مستعاراً لجزء آخر من
 الإنسان في صفة خلقه بقوله عليه السلام:

«أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَشَغِفِ الْأُسْتَارِ، نُظْفَةً دِفَاقًا...».

وشغف جمع شغاف وهو في الأصل غلاف القلب، فاستعار الإمام عليه السلام الشغف
 وهو جمع شغاف القلب لموضع الولد^(٧)، حتى تكون الدلالة شاملة للرعاية والمحبة
 الآليه لهذا المخلوق وبحجبه عما سواه؛ فالمفردة ارتبط معناها بذلك لكنها في النص
 بمعنى الأغلفة المتعددة، واللفظ جاء في النص للدلالة على الغلاف الذي يحفظ
 الطفل في بطن أمه؛ لأنّ الله سبحانه وبقدرته يعدّ الجنين من ماء الرجل الذي يفتقر
 إلى الصورة والشكل بعد أن يتكامل فيكون محاطاً في الظلمات بالمشيمة والرحم

(١) مقاييس اللغة: ٤/٤٦٩.

(٢) ينظر: العين: ٨/٧٩.

(٣) ينظر: خلق الإنسان، الزجاج: ٨٤.

(٤) ينظر: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان: ٢٠.

(٥) مسند الإمام أحمد: الحديث (٧٤٣٢): ١٢/٤٠٢.

(٦) ينظر: معجم الفروق اللغوية: ٤٣٣.

(٧) ينظر: لسان العرب: ٩/١٧٨.

١٧٨ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

وبطن الأم^(١)، وإنَّما سمي الجنين جنيناً؛ لأنه اجتنَّ أي أكتنَّ مستوراً في بطن أمه^(٢).
أمَّا استعمال الفؤاد، فقد اختلفت دلالاته باختلاف مساقاته، ويتضح ذلك من
الاطلاع على النصوص الواردة فيها اللفظ، ومنها قوله عليه السلام في وصف الناس عند
مبعث الرسول:

«وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ... وَاسْتَعْلَقَتْ عَلَى أَفئِدَتِهِمْ أَقْقَالُ الرَّيْنِ».

وأققال الرِّين حجاب الضلال^(٣)، الناتج عن الذنب على الذنب^(٤)، وقد
استعمل الإمام الأفئدة للإغلاق؛ لأنَّها السبيل إلى القلوب وحجابها؛ فالفؤاد غشاء
القلب والقلب حبه، وهو رقيق مما يسرع إمالته^(٥)؛ لذا كانت النار أحق بالابتداء
به في قوله تعالى:

﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوَفَّدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفئِدَةِ ﴿٧﴾﴾^(٦).

وفي الشاهد الثاني للفؤاد يوظف الإمام إحدى سمات الفؤاد في قوله: «وَأَنْصِتُوا
لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفئِدَتِكُمْ إِلَيَّ»، وهي الاكتساب للأفكار سواء أكانت صالحة أم فاسدة؛
لذا كانت جلُّ خطابات الإمام في ذكر الفؤاد نابعة من هذا الاتجاه؛ لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ
كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾^(٧).

(١) ينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ٧.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣٤٠.

(٤) ينظر: نهج البلاغة، تح: محمد أبي الفضل: ٨٥ / ٢.

(٥) ينظر: الكليات: ١١٠٤.

(٦) الهُمرَّة: ٦، ٧.

(٧) الإسراء: ٣٦.

الفصل الثاني: المبحث الثالث الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به ١٧٩
ذلك أن الفؤاد هو القلب وما سكن فيه وجال فإذا رُقَّ نفذ القول فيه وخلص
إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله^(١)، فالإمام أراد استمالة الناس
بخطابات تدق أبواب الأفتدة؛ بوصفها حجاب القلب.

الجموعه الثالثه:

تضمُّ الألفاظ الدالة على ما يلحق بالقلب وهي (النِّيَاط، الأَبهر)، ومن
شواهدنا:

- النِّيَاط: ذكر مرة واحدة في قول الإمام عليه السلام في صفة القلب:

«لَقَدْ عَلَّقَ نِيَّاطُ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةً هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَهُوَ الْقَلْبُ، وَذَلِكَ
أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادًا مِنْ خِلَافِهَا»^(٢).

- الأَبهر: ورد مرة واحدة في كلام الإمام عليه السلام فيمن شغله حب الدنيا:

«...هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وَغَمٌّ يَحْزُنُهُ، كَذَلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ،
مُنْقَطِعًا أَبْهَرًا، هَيْنًا عَلَى اللَّهِ فَنَاؤُهُ، وَعَلَى الْأَخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ»^(٣).

أمَّا المعاني اللغوية لهذه الألفاظ، فلفظ النِّيَاط، أصله من الجذر (ن و ط) وله
«أصلٌ صحيح يدلُّ على تعليق شيءٍ بشيءٍ، ونُطِئَهُ به: علَّقْتَهُ به، والنَّوْطُ: ما يَتَعَلَّقُ
به أيضاً، والجمع أنواط... والنِّيَاط: عِرْقٌ علَّقَ به القلب، والجمع أنوطة»^(٤)، وقد
ذُكر أن نِيَّاطَ الْقَلْبِ عِلَاقَتُهُ التي يتعلَّقُ بها فإذا طُعِنَ في ذلك المكان مات^(٥)، فنيَاط

(١) ينظر: معجم الفروق اللغوية: ٤٣٣.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ٣٣٠، ح ١٠٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٣٨٩، ح ٣٧٣.

(٤) مقاييس اللغة: ٥/ ٣٧٠.

(٥) ينظر: غريب الحديث، ابن قتيبة: ٢/ ١٣٢.

١٨٠ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

القلب هي رباطه^(١)، أمّا الأبهْر: فهو أكبر عروق القلب، وهو من الجذر (ب ه ر)، وله «أصلان: أحدهما الغَلْبَة والعلوّ، والآخر وَسَط الشيء. فأما الأول فقال أهل اللغة: البَهْر الغَلْبَة، يقال ضوءٌ باهر، ومن ذلك قولهم في الشتم: بهراً، أي غَلْبَةً... وأما الأصل الآخر فقولهم لوسط الوادي ووسط كل شيء بهْرَة، ويقال أبهار الليل، إذا انتصف^(٢)»^(٢)، وجاء في التهذيب بأنّ «الأبهْر: عرقٌ مُسْتَبِطِنُ الصُّلبِ، والقلبُ مُتَّصِلٌ به، فإذا انقطع لم يكن معه حياة»^(٣)، وقيل: إنّ الأبهْر «هو عرقٌ مُسْتَبِطِنُ القلبِ فإذا انقطع لم تبق معه حياة، وقيل الأبهْر عرق منشؤه الرأس ويمتدُّ إلى القدم وله شرايينُ تتصلُّ بأكثر الأطراف والبدن فالذي في الرأس منه يسمى النَّامة ومنه قولهم: أسكت الله نامة أي أماته ويمتدُّ إلى الحلق فيسمى فيه الوريد ويمتدُّ إلى الصدر فيسمى الأبهْر ويمتدُّ إلى الظهر فيسمى الوترين والفؤاد معلقٌ به...»^(٤)، ويبدو من ذلك أنّ الأبهْر اسم لأحد العروق المختلف في مكانه، ويبدو أنّ ألفاظ هذه المجموعة تمثل مصاحبات معجمية تلازم القلب، وقد إنهازت بتداولها بين العامة لشهرة معانيها اللغوية.

وفي نهج البلاغة جاء لفظ النياط بمصاحبة لفظ القلب، في قول الإمام (عليه السلام):

«لَقَدْ عَلِقَ بِنِيَّاطٍ هَذَا الْإِنْسَانَ بَضْعَةً هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَهُوَ الْقَلْبُ».

فالنياط جاءت في النص مجموعة «والقياس النوط لأنه من ناط ينوط إذا علّق غير أنّ الواو تعاقب الياء في حروف كثيرة، فقليل النيطُ نياط القلب وهو العرق الذي القلب متعلقٌ به»^(٥)، فالنياط في النص قد جاءت بمعنى العرق، وهذا معنى النياط في

(١) ينظر: غريب الحديث، الخطابي: ١/ ٢٣٤.

(٢) مقاييس اللغة: ١/ ٣٠٨.

(٣) تهذيب اللغة: ٢/ ٣٢٩، وينظر: اللسان: ٤/ ٨١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ١٨.

(٥) لسان العرب: ٧/ ٤٢١.

الفصل الثاني: المبحث الثالث الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به ١٨١
النص كما يبدو؛ لأنها جاءت مع القلب لوصف خلقه واختصاص بعض العروق به.

وقد جاء لفظ الأبر في سياق الحديث عن حب الدنيا، بقوله عليه السلام :

«هَمْ يَشْعَلُهُ، وَغَمٌّ يَحْزُنُهُ، كَذَلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ فَيُلْقَى بِالْفِضَاءِ، مُنْقَطِعاً
أَبْهَرَاهُ، هَيِّنَا عَلَى اللَّهِ فَنَاوُهُ، وَعَلَى الْإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ».

ويقال: أخذت بكظمه أي بمخرج نفسه، والكظم بالتحريك مخرج النفس من
الحلق^(١)، ولا يخفى أن دلالة لفظ الأبرين هنا قد ارتبطت بالموت وانقطاع الحياة؛
لأن الأبرين عرقان في العنق متصلان بالقلب إذا انقطعت مات صاحبها؛ فيقال
للميت: قد انقطع أبراه^(٢)، وقد يكون هذا الانقطاع مقصوداً به توقُّف هذين
العرقين عن دفع الدم إلى أجزاء الجسم للكناية عن الهلاك؛ لأن استعمال هذه
الكناية قد أبقى للنص حيويته بتتابع المقاطع الصوتية وانسجام سجعاتها.

ومن دراسة لألفاظ القلب وملحقاته يظهر أنها إنمازت بدقة الدلالات التي
اختارها الإمام في نصوص نهج البلاغة كل حسب دلالته، فضلاً عن تمتع القلب
بعلاقات دلالية مع العقل والحواس الأخرى؛ لأنه يستعمل لمعانٍ إنفعالية عديدة
بوصفه مركز التأثير^(٣)، فهو رئيس في مملكة الجسد، ولا شيء من أعضائه يكون في
تقلب بالأصالة مثله^(٤).

أمّا لفظ الفؤاد فلم نجده إلا مجموعاً مُعرِّفاً في جميع مواضع ذكره، ويمكن أن
يكون ذلك لأنه مفهوم قرآني أراد الإمام الارتفاع بشأنه وتفريقه عمّا في داخله،
لقوله تعالى:

(١) ينظر: لسان العرب: ١٢/٥١٩.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، تح: محمد أبي الفضل: ٢/٣٨٩، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/١٨.

(٣) ينظر: العقل والقلب في الرؤية القرآنية: ٣٥٤-٣٥٩.

(٤) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٩/٣٣٨.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الفؤاد لم يُعرّف بدقة من أصحاب المعجمات، فلم نجد بصوره واضحة في العين والمقاييس حتى ابن منظور في لسانه سوى تعليل التسمية؛ إذ ذكر أنّ الفؤاد القلب وقيل باطن القلب، وقيل غير ذلك (٢)، ولنا بكلام أبي هلال العسكري دليل واضح على الاختلاف في معناه؛ إذ يقول: «لم يُفرّق بينها أهل اللغة، بل عرفوا كلاًّ منهما بالآخر» (٣)، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّه ليس في استعمال الإمام للفؤاد ما يدل على أنّه خاص بمعنى توحد القلب.

وكان للسياق دور في تخصيص الفؤاد بالذكر من دون القلب في بعض نصوص نهج البلاغة؛ ذلك أنّه ﷺ لم يستعمله بمواضع تقلب الأحوال والصفات، بل في خطابات التكليف والمسؤولية كالحج مثلاً (٤)، وهذا ما يفسر قلة الاستعمال مقارنة بالقلب الذي يستعمل في موارد متعددة فيتوجه النظر إليه (٥).

أمّا العلاقات الدلالية بين أجزاء هذه المجموعة فيمكن توضيحها بالآتي:

أن الجنان والسويداء يكونان بداخل القلب، والشغاف خارجه، والفؤاد ما يحيط به، والنياط ملحق به، أما ما وقع بين القلب والفؤاد والجنان منها فقد كان في تسمية هذا الجزء من جسم الإنسان وقد حاولنا التفريق بينها من جهتي اللغة والاستعمال، وأمّا ألفاظ السويداء والشغاف والنياط، فقد ارتبطت بالقلب في

(١) القصص: ١٠٠.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٣/٣٢٩، وينظر: الكليات: ١١٠٤.

(٣) معجم الفروق اللغوية: ٤٣٣.

(٤) نهج البلاغة: ٢/١٠٠، خ ٢٣٨.

(٥) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٩/٣٣٨.

الفصل الثاني: المبحث الثالث الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به ١٨٣

علاقة الكل والجزء، والسويداء لفظ ورد في نهج البلاغة مرتين فقط، منها مرة لغير الإنسان إذ استعير للملائكة، وأخرى له جاءت في سياق حب الدنيا، أما الشغاف فهو من الفرائد في القرآن ونهج البلاغة أيضاً، استعارها عليه السلام لجزء آخر من الإنسان مرة واحدة، فقد استعملت بمعنى الأغلفة المحيطة بالجنين، وأما لفظ الأبر فقد جاء في سياق التعبير عن منتهى الحياة الدنيا للإنسان، وأما النياط فقد استعمل مع القلب بعلاقة وظيفية مرة واحدة أيضاً.

المبحث الرابع

الألفاظ الدالة على البطن وما يلحق به

تمثل هذه الألفاظ أكثر السمات المحتملة للعلاقات اللفظية في نهج البلاغة، ولكن ليس بشكل ضروري أو تلقائي^(١)، وتعدّ دراسة هذه المفردات في بعض جوانبها محاولة لتفسير حياة مجتمع ما، ويمكن أيضاً التعرف إلى علم الألفاظ بوصفه نظاماً من الدراسات الاجتماعية يستعمل الكلمات في النصوص التي وردت فيها؛ إذ تُظهر في لحظة خاصة أنّ لبعض هذه الكلمات أهمية أساسية وأخرى هامشية^(٢)، ويتميز كتاب نهج البلاغة بغنى في المفردات الخاصة بخلق الإنسان وما يصاحبها من كلمات سائدة، ومنها المجموعة التي تضم الألفاظ الدالة على البطن وهي: (صفاق، وأحشاء، وكبد، ورحم)، ويُلاحظ في بعضها وجود معانٍ مولدة تتناسب مع مفاهيم دلالية جديدة، كما يتضح من الشواهد الآتية:

- البطن: ورد لفظ البطن خمس عشرة مرة فيما يخصّ الإنسان في نهج البلاغة^(٣)،

ومنها قول الإمام عليه السلام في النبي الأكرم:

(١) ينظر: علم الدلالة، بيار جيرو: ١٥٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٤١.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ١/١٠٣، خ ١٠٤، ١/٣٧٥، خ ١٦١، ١/٤٤١، خ ١٨٤، ١/٢٨١، خ ١٢٠،

١/١٢١، خ ٥٦، ١/٣٢٩، خ ١٤٤، ١/٤٥٢، خ ١٨٨، ١/٤٣١، خ ١٨٣، ١/٢٦١، خ ١١١،

١/٣٤٨، خ ١٥١، ١/٣٨٧، خ ١٦٤، ٢/٣٧٥، ح ٢٩٥، ٢/٣٨٩، ح ٣٧٣.

«وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ، فَضَمَ الدُّنْيَا قَضَاءً، وَلَمْ يُعْرِهَا ظَرْفًا، أَهَضُمُ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَحْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا...»^(١).

وقوله عليه السلام في اختيار حجج الله على خلقه:

«إِنَّ الْأَيِّمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَيَّ سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»^(٢).

- الصفاق: جاء مرة واحدة في نهج البلاغة بقول الإمام عليه السلام يصف موسى كليم الله:

«...كَانَ يَأْكُلُ بِقَلَّةِ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهَزَالِهِ وَتَشَدُّبِ لَحْمِهِ»^(٣).

- الحشا: ذكره الإمام عليه السلام مرة واحدة في وصف ملك الموت وتوفيه الأنفس:

«هَلْ تُحْسِبُ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا! بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيْلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا!...»^(٤).

- الكبد: ذكره الإمام عليه السلام مرتين، في قوله عن نفسه:

«هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعِمَةِ... أَوْ أُبَيْتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ عَرَّتِي، وَأَكْبَادٌ حَرَّتِي، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ عَارًا أَنْ تَبَيْتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقِدِّ»^(٥).

(١) المصدر نفسه: ١/٣٧٦، خ ١٦١.

(٢) المصدر نفسه: ١/٣٢٩، خ ١٤٤٤.

(٣) المصدر نفسه: ١/٣٧٥، خ ١٦١.

(٤) نهج البلاغة: ١/٢٦١، خ ١١١.

(٥) المصدر نفسه: ٢/٢٢٤ك٥٤ أ وبيت الشعر يروى في نسخ محققة مثل نسخة فارس الحسنون ونسخة

هاشم الميلاني هكذا: وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقِدِّ.

الفصل الثاني: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على البطن وما يلحق به ١٨٧

الرَّحِم: تكرر ذكره سبعاً وعشرين مرة^(١)، منها كلام الإمام (عليه السلام) عن علم الغيب

واختصاص الله به:

«... فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ
بَجِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا، أَوْ فِي الْجَنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا»^(٢).

وقوله (عليه السلام) ينادي الإنسان:

«أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ
الْأُسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ»^(٣).

أمّا ما يتعلّق بالمعنى اللغوي لهذه الألفاظ، فللبطن منها: «أصل واحد لا يكاد
يُخْلَفُ، وهو إنسيُّ الشيءِ والمقبّلِ منه، فالبطن خلافُ الظهر، تقول بَطَنْتُ الرَّجُلَ إِذَا
ضَرَبْتَ بَطْنَهُ... وَالْبَطْنُ: الرَّجُلُ الْعَظِيمُ الْبَطْنُ، وَالْمَبْطُونُ الْعَلِيلُ الْبَطْنُ، وَالْمِبْطَانُ:
الكثيرُ الأكلِ، وَالْمَبْطِنُ الْحَمِيصُ الْبَطْنُ»^(٤)، هذا الأصل الذي وضعه ابن فارس
للجذر (ب ط ن)، ويذكر الراجب الأصفهاني دلالة الأصل، إذ يقول: «أصل
البطن الجارحة وجمعه بطون... والأبطنان عرقان يمرّان على البطن...»^(٥)، وبذلك

(١) ينظر: نهج البلاغة: ١/١٦٠، خ ٨٢، ١/١٨٣، خ ٨٩، ١/٢١٢، خ ٩٣، ١/٢٤٧، خ ١٠٨،
١/٢٥٥، خ ١٠٩، ١/٢٩٩، خ ١٢٨، ١/٣٠٠، خ ١٢٨، ١/٣٤٤، خ ١٥٠، ١/٣٤٧،
خ ١٥١، ١/٣٨٧، خ ١٦٤، ١/٣٨٨، خ ١٦٥، ١/٤٠٨، خ ١٧٣، ١/٧٣، خ ٢٦، ٢/١٠،
خ ٢٠٢، ٢/١٠٩، خ ٢٣٨، ٢/١٥٤، ك ١٨، ٢/١٧٤، ك ٢٨، ٢/١٧٥، ك ٢٨، ٢/٢١٠،
ك ٣٦، ٢/٢٩، خ ٢١١، ٢/٣٢٨، ح ٩٨، ٢/٣٦٠، ح ٢٤٤، ٢/٣٦١، ح ٢٤٩، ٢/٣٧٥،
ح ٢٩٧، ٢/٥٩، خ ٢٢٦.

(٢) المصدر نفسه: ١/٣٠٠، خ ١٢٨.

(٣) المصدر نفسه: ١/٣٨٧، خ ١٦٤.

(٤) مقياس اللغة: ١/٢٤٤.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ١/٥٢-٥٣. وينظر: خلق الإنسان، الزجاج: ٨٥.

يكون أصل البطن للإنسان ثم يُستعار لغيره، ويغطي أجزاء البطن غشاء يسمى الصَّفَاق: وهو «جلد البطن كله»^(١)، والصفاق مشتق من الجذر (ص ف ق) وله أصلٌ «يدلُّ على ملاقة شيءٍ ذي صَفْحَةٍ لشيءٍ مثله بقوَّة». من ذلك صَفَقْتُ الشَّيْءَ بيدي، إذا ضربته بباطن يديك بقوَّة... وقيل لكلِّ منبسَطٍ صَفَقٌ وإن لم يُضرب به على شيء؛ فيقال لجانبي العُنُقِ صَفَقَانِ، ولكلِّ ناحيةٍ صَفَقٌ وِصْفَقٌ، ويقال للجِلْدِ الذي يلي سوادَ البطنِ صَفَقٌ^(٢)، وقد قال عنه ثابت هو «جلد البطن الأسفل اللاصق قبل أن يُشق... وإذا انشق الصفاق كان منه الفتق»^(٣)، وإذا كان البطن المقبل من الإنسان ظاهراً فإنه وعاء الأحشاء باطناً، والأحشاء: يرجعها ابن فارس إلى جذر معتل هو (ح ش و) ثم يقول: «الحاء والشين وما بعدها معتلُّ أصلٌ واحد، وربما هُمَزَ فيكون المعنيان متقاربين أيضاً، وهو أن يُودَعَ الشيءُ وعاءً باستقصاء. يقال حشوته أحشوه حَشَوْاً، وَحِشْوَةَ الإنسان والدابة: أمعاؤه... والحشا: حشا الإنسان، والجمع أحشاء»^(٤)، والحشا «ما دون الحجاب مما في البطن كله من الكبِدِ والطحال والكرش وما تبع ذلك... والحشي ظاهر البطن وهو الحِضْن»^(٥)، وفي خلق الإنسان، قال ثابت: «وفي البطن الأحشاء، الواحدة حَشَى، وهي ما بين ضلوع الخلف التي في آخر الجنب إلى الورك»^(٦)، أمّا ما وقع في جوف البطن من الأجزاء موضع البحث فهو الكَبِدُ: ويرجع أصله إلى الجذر (ك ب د) وله «أصلٌ

(١) المفردات في غريب القرآن: ٦٧/٥.

(٢) مقاييس اللغة: ٢٩٠/٣.

(٣) خلق الإنسان، ثابت: ٢٦٧.

(٤) مقاييس اللغة: ٦٤/٢.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم: ٤١٥، وينظر المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي

المقرئ (ت ٧٧٠هـ): ٥٢.

(٦) خلق الإنسان، ثابت: ٢٦٢.

الفصل الثاني: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على البطن وما يلحق به ١٨٩
صحيح يدلُّ على شِدَّة في شيء وقُوَّة، ومن الباب الكَبْد، وهي معروفة، سمَّيت
كَبْدًا لتكَبُّدِها، والأكبد: الذي نَهَدَ موضعُ كَبْدِه، وكَبَدْتُ الرَّجُلَ: أصبْتُ كَبْدَه،
وكَبَدُ القوسِ: مستعارٌ من كَبَدِ الإنسان، وهو مَقْبُضُها... ومن ذلك الكَبْد، وهي
المشَقَّة. يقال: لَقِيَ فلانٌ من هذا الأمر كَبْدًا، أي مَشَقَّة^(١)، ومكان الكَبْد الجوف
من الإنسان وفيه القصب وهي شعبه، وفيها الزائدة وهي قطعة معلق فيها الكَبْد
وفيها عمودها وهو المشرف في وسطها^(٢)، والجمع منها أكباد، وكبود قليلاً
والأشهر فيها التأنيث وقيل: تُذكر وتؤنث^(٣).

وفي آخر الحشا يقع الرَّحِم: وهو من الأجزاء الخاصة بالأنثى ويرجع إلى الجذر
(ر ح م) وله «أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرِّقَّة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رَحِمَه
يَرِحُّه، إذا رَقَّ له وتعطَّفَ عليه... والرَّحِم: عَلاقة القِرابَة، ثم سمَّيت رَحِمُ الأنثى
رَحِمًا من هذا، لأنَّ منها ما يكون ما يُرَحِمُ وَيُرَقُّ له مِنْ ولد^(٤)، هذا هو الأصل،
وقد تسكن الحاء^(٥)، أمَّا معناه فهو «بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن... وجمعه
الأرحام»^(٦).

وقد استعمل الإمام في نهج البلاغة هذه الألفاظ بنسب متفاوتة تبعاً للغرض
الذي سيقَّت من أجله؛ ومن ذلك استعمال البطن منها الذي غلب فيه ذكر الإمام
مُحصَّ البطن أو مرادفه ثمان مرات^(٧) من مجموع خمس عشرة مرة ورد فيها اللفظ

(١) مقاييس اللغة: ١٥٣/٥، وينظر: الجيم: ١٤٧/٣.

(٢) ينظر: خلق الانسان: ثابت، ٢٦٢، وخلق الانسان، الزجاج: ٨٥.

(٣) ينظر: المعجم المبتكر فيما يتعلق بالمؤنث والمذكر: ٢٦٥.

(٤) مقاييس اللغة: ٤٩٨/٢.

(٥) ينظر: المخصص: ٣٩/٢.

(٦) العين: ٢٢٤/٣، وينظر: خلق الانسان، الزجاج: ٩٥ المخصص: ٣٩/٢.

(٧) ينظر: نهج البلاغة: ١٠٣/١، خ ١٠٤، ٣٧٥/١، خ ١٦١، ٤٤١/١، خ ١٨٤، ٢٨١/١، خ ١٢٠،

١٩٠ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
 مخصوصاً به الإنسان في نهج البلاغة، ومنها قول الإمام في صفة رسول الله: «أَهْضَمُ
 أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا»، والمَخْمَصَةُ شدة الجوع نتيجة خلاء
 البطن من الطعام جوعاً، وفلان خَمِيصُ البطن عن أموال الناس أي عَفِيفٌ عنها^(١)،
 ولذلك ذكر الإمام الأنبياء والمؤمنين بهذه الهيئة كي يكونوا أسوة لغيرهم؛ ف«البطنة:
 امتلاء البطن من الطعام، وهي الأشر من كثرة المال أيضاً»^(٢)، وكثرة الأكل وعِظَمَ
 البطن مَعِيبٌ^(٣)، ومَّا يحرص الإنسان على بطانتها؛ لذا نفى ﷺ هذه الصفة عن
 النبي الأكرم؛ لأنه عفيف عن ذلك، ولعله أراد أن النبي خرج من الدنيا الدنية
 وليس له منها شيء، فجاء استعمال لفظ البطن في هذا النص حتى يكون معبراً
 عن العفة بشقيها المذكورين، وبعد تتبع السياقات والقرائن اللفظية في النصوص
 الأخر الدالة على خمص البطن تبين أن تلك الاستعمالات تصبُّ في معنى الدعوة
 إلى التعفف والزهد.

أما الشاهد الثاني للفظ البطن وهو قوله ﷺ:

«إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ».

فقد نسبت البطن في النص إلى مجموعة بشرية وليس إلى جسم إنساني، وهذا ما
 أحدث انزياحاً في المعنى نحو قوم يداخلهم ويدخلونه اجتماعياً، فتبلورت دلالة
 لفظ البطن تتناسب مع مفاهيم دلالية جديدة تُظهر تقسيمات قبلية، أشار إليها
 أمير المؤمنين في موقف ما باستعمال أساسي للفظ، والبطن ما دون القبيلة^(٤)، وقيل:

٢ / ٣٧٥، ح ٢٩٥، ٢ / ٣٨٩، ح ٣٧٣ / ٣٧٦، خ ١٦١.

(١) أساس البلاغة: ١ / ٢٦٧.

(٢) العين: ٧ / ٤٤٠.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٧ / ٢٩.

(٤) ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: القلقشندي، ٢ / ٢٧٧.

الفصل الثاني: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على البطن وما يلحق به ١٩١
هو دون الفخذِ وفوق العِمارة، والجمع أَبْطُنٌ وَبُطُونٌ^(١)، والرأي الأول أدق؛ لأن
ابن منظور يسوق لهذه الدلالة شاهداً من كلام الإمام علي عليه السلام فيقول: «وفي حديث
علي عليه السلام: كَتَبَ عَلَى كُلِّ بَطْنٍ عُقُولَهُ؛ قَالَ: الْبَطْنُ مَا دُونَ الْقَبِيلَةِ وَفَوْقَ الْفَخْذِ، أَي
كَتَبَ عَلَيْهِمْ مَا تَعَرَّمَهُ الْعَاقِلَةُ مِنَ الدِّيَاتِ فَبَيَّنَ مَا عَلَى كُلِّ قَوْمٍ مِنْهَا»^(٢)، فالبطن في
كلام الإمام إحدى مراتب تقسيم القبيلة التي أخذت تسميتها عن جسم الإنسان
بعلاقة وقوع البطن داخلها، ومما تجدر الإشارة إليه أن أمير المؤمنين استعمل لفظ
البطن في نصوص أخرى للإنسان^(٣) وغيره^(٤)، ووظفت أكثرها في سياق الموعظة
والنصح.

أما صفاق البطن فيذكره الإمام عليه السلام في حديثه عن موسى عليه السلام كَلِيمِ اللَّهِ إِذْ قَالَ:
«لَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لَهُزَالِهِ وَتَشَدُّبِ لَحْمِهِ».
وصفاق البطن الجلد الذي يغطي أحشاء البطن، وهو «جليدة البطن التي تلي
الجلدة الظاهرة»^(٥)، وشفيف الجلد رقيقه، والكلام جاء في سياق دَمِ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا،
وَكَثْرَةِ مَحَاذِيرِهَا وَمَسَاوِيهَا، وقد ذكر الإمام الأنبياء أسوة ودليلاً على ذلك، فبعد ذكر
الرسول يذكر موسى عليه السلام بكلام مفاده أن خضرة البقل كانت ترى في بطنه من الهزال
وإنه ما سأل الله إلا أكلة من الخبز^(٦)، فالإمام استعمل الجلد الباطن وهو الصفاق

(١) ينظر: لسان العرب: ١٣ / ٥٣.

(٢) لسان العرب: ١٣ / ٥٣.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: على سبيل المثال: ١ / ٤٣١، خ ١٨٣، ١ / ٢٦١، خ ١١١، ١ / ٣٤٨، خ ١٥١،
٣٨٧ / ١، خ ١٦٤ ...

(٤) مثل بطن الأرض وبطون البرزخ وبطون القبور وبطون الأودية وهي دلالات مكانية من الأرض
وما سفل منها.

(٥) مقالة في أسماء أعضاء الإنسان: ٢٠.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩ / ٢٣١.

١٩٢ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
 وقد وصفه بأنه شفيف أي رقيق، يُسْتَشْفَى ما وراءه للمبالغة في استقصاء المعنى،
 وقد انماز هذا الاستعمال برسم صورة دالة على تعلّم الجوع ودم الدنيا بتوظيف
 لفظ غطاء البطن الذي عبر به عن مستقر الطعام والشراب، وكشفت الصورة أيضاً
 أن هذا الغطاء يتكون من جلد ظاهر وجلد باطن^(١)، والجلدتان مخترقتان بالنظر؛
 لأنّ خضرة البقل كانت ترى في بطنه بسبب الهزال وتفترق اللحم^(٢)، فهذه الصورة
 الكنائية هي رسالة غير لفظية إلى عامة الناس أريد منها التأسّي بفقر كليم الله ﷺ
 وزهده واقتفاء خطاه في ترك طلبه للدنيا^(٣).

وبعد أن ذكر الإمام البطن وغشائها ذكر أحشائها في خطبة له ﷺ وصف فيها
 ملك الموت وتوفيه الأنفس فقال:

«كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيْلُجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمِ الرُّوحُ
 أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا!».

ويأتي اللفظ ضمن سلسلة تساؤلات أراد منها ﷺ إثبات عجز الإنسان عن وصف
 مخلوق مثله ومن ثم عجزه عن وصف خالقه، وفي هذا النص يستعمل الإمام لفظ
 الأحشاء مع لفظ الجنين الساكن في بطن أمه؛ لأنّ الاثنين تضمّنا معنى الإيداع بدقة،
 وهو ما أراده الإمام، وفسّر ابن أبي الحديد هذا النص تفسيراً مناسباً بقوله: «والتقسيم
 الذي قسّمه في وفاة الجنين حاصر؛ لأنه مع فرضنا إياه جسماً يقبض الأرواح التي في
 الأجسام إما أن يكون مع الجنين في جوف أمه فيقبض روحه عند حضور أجله... أو
 أن يلج جوف أمه لقبض روحه فيقبضها... أو أن يقبضها من غير حاجة إلى الولوج
 إلى جوفها وذلك بأن تطيعه الروح وتكون مسخرة فإذا أراد قبضها امتدت إليه،

(١) ينظر: نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة، مكارم الشيرازي: ٣٤٦.

(٢) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٩/٢٣٢.

(٣) ينظر: الدنيا في نهج البلاغة، مكتبة الروضة الحيدرية: ٦٣.

الفصل الثاني: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على البطن وما يلحق به ١٩٣
وهذه القسمة لا يمكن الزيادة عليها، ولو قسمها واضع المنطق لما زاد»^(١)، ويمكن
الاستعانة بقول الإمام في موضع آخر دليلاً على الرأي الأخير لابن أبي الحديد
وهو: «ثُمَّ اَزْدَادَ الْمَوْتُ التِّيَاطَافَ بِهِ، فَقُبِضَ بَصْرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ
مِنْ جَسَدِهِ»^(٢)، لأن الجنين وديعة في الجسد والروح هي التي تخرج منه، ولمناسبة
دلالة الاستقصاء في الحفظ استعمل عليه السلام خفاء الأحشاء وكثرة حجبتها في تقوية المعنى
وإثبات القدرة؛ لذا لم يستعمل الرحم في مثل هذا الغرض.

أمّا لفظ الكبد فقد وردت في نهج البلاغة مرة مستعارة للأرض^(٣)، ومرتين
خُصَّ بهما الإنسان في قوله عليه السلام في الشاهد المذكور:

«هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ... أَوْ أَبِيتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرَّتِي، وَأَكْبَادٌ
حَرَّتِي، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ عَارًا أَنْ تَبِيَّتَ بِيْطْنَةٌ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقَدِّ»

والسياق العام يجري باتجاه الإحساس بالآلام الآخرين، ممن لا أحد يتعهدهم
بالرعاية^(٤)، وقوله عليه السلام:

«أَكْبَادٌ حَرَّتِي».

يراد منه المبالغة في الإشارة إلى منازعة شدة العطش لتأمين حاجات الجسم
فكأنها قد يبست، وهو ما يعني المشقة والمكابدة بالرجوع إلى أصل المادة، قال تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٣٨/٧.

(٢) نهج البلاغة: ٢٥١/١.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ٣١٩/١، خ ١٣٨.

(٤) ينظر: الإنسان الكامل في الإسلام، عبد الرحمن بدوي: ٦٩.

(٥) البلد: ٤.

١٩٤ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

فضلاً عن أنّ الإمام استعمل الكبد لدلالة العطش؛ لأنّه مفهوم إلتصق بها قديماً عند العرب، فالإمام قد استقى مواده من مصدرين في هذا النص، أحدهما: من البيئة الشعرية القديمة وهو بيت الشعر تضمنه النص باقتباس نصي، والآخر: حديث لرَسُولِ اللَّهِ وهو قوله:

«فِي كُلِّ ذَاتٍ كَبِدٌ حَرَّى أَجْرٌ»^(١).

تضمنه النص باقتباس معنوي، ولا يتحرّج الباحث من تسميته أداءً تطبيقياً؛ لأنّ الإمام اقتبس الحديث بتطبيقه لأمر الله على لسان رسوله؛ فينفي التقصير عن نفسه ويقول:

«هِيَ هَاتِ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَسَعِي إِلَى تَخَيَّرِ الْأَطْعِمَةِ...».

ويستفاد من هذا الاقتباس أنه دليل نقلي على تأنيث الكبد من ثلاثة مصادر يعتدُّ بها؛ إذ أُنثت في الشعر ووصفت بأنها (حرى) مؤنث (حران) وفي الحديث الشريف وكلام الإمام.

أمّا لفظ الرحم فقد وظّفه الإمام في أغراضٍ آخر من نسج الحقيقة القطعية للرحم، وسنكتفي بإيراد شاهدين للدلالة الحقيقية^(٢)، أحدهما قوله ﷺ:

«أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأُسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعَتْ فِي قَرَارِ مَكِينٍ».

وفي هذا النص يخاطب الإمام الإنسان ليلفت انتباهه إلى الرعاية الإلهية التي جعلته في أحسن تقويم، متكامل الخلقة والصفات، والمراد أن الجنين حينما ينمو ويكبر ويتحرك في بطن أمه يكون محمياً ومحجوباً بأستار وظلمات تقيه شرّ الأذى،

(١) مسند احمد: حديث رقم (٧٠٧٥): ٦٤٧/١١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال لا الحصر: ٣٠٠/١، ١٢٨/١، ١٨٣/١، ٨٩، ٢١٢/١،

الفصل الثاني: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على البطن وما يلحق به ١٩٥

وفي النص يحدد الإمام مكان هذا الإنسان في ظلمات الأرحام، ومضاعفات الأستار، والظلمات ثلاث وهي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة والسائل المحيط بالجنين^(١)، ومن اللافت للنظر أن الإمام استعمل لرحم المرأة لفظاً مركباً آخر يلائم المرحلة، مقتبساً ذلك من القرآن الكريم وهو تركيب (القرار المكين)^(٢)، وكان مسوغ ذلك الاستعمال الإشارة إلى رعاية الله للجنين من ناحية وضعه في مكان حصين؛ لأنه في خلقه مهياً لاحتضان البيضة الملقحة من خلال الهرمونات والغدد والمشيمة وغشاء الرحم، ومن لطف الله وعنايته أن خلق للجنين سائلاً خاصاً يسمى السائل الأمينوسي؛ ليسمح له بالحركة ويقيه من المؤثرات والأخطار، أما خارج نطاق الرحم فهناك الأربطة المتعددة التي تمدد من أجزاء الرحم لترتبط مع عضلات وعظام الحوض؛ لحمل الرحم والمحافظة عليه ومنعه من الانقلاب، ولا يمكن إغفال أثر عظام الحوض وعضلاته التي تحيط بالرحم؛ لتشكيل درعاً قوياً يحمي الرحم ومحتوياته، بهذا التركيب الهندسية الإلهية المحكمة صار الجنين يتمتع بالحماية الكافية التي تستحق تسمية القرار المكين؛ وقد جاء هذا الوصف في كلام الإمام لتنبية الإنسان إلى الأسباب والمتطلبات التي تديم الحياة وتبعد الأضرار والمضاعفات عنه؛ حتى يخرج سوياً مستوفياً جميع ما فيه^(٣)،

أما في الشاهد الثاني فيقول: ﴿لِيَعْلَمَ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ...﴾، ويأتي توظيف الرحم في هذا السياق والسياقات الأخر المماثلة له لغرضين على ما يبدو: الأول يُتصور في القدرة الربانية وبداعة الخلق والتصوير، والآخر: تعريف الإنسان بصغر شأنه أمام خالقه وبيان محدودية اختياره وضعفه

(١) ينظر: نهج البلاغة والطب والحديث: ٤٤.

(٢) ورد ذكر القرار المكين في القرآن الكريم مرتين، في قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ نَحْنُ خَالِقُهَا) (المؤمنون: ١٣)، وقوله: (بِإِذْنِ رَبِّهِ) (المرسلات: ٢١).

(٣) ينظر: نهج البلاغة والطب والحديث: ٤٣-٤٦.

في عالمي التكوين والآخرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام علي عليه السلام قد أولى اهتماماً بدلالة مجازية للرحم وهي وصل الرحم وقطعه؛ إذ ظهرت في طيات نهج البلاغة قرابة العشرين مرة من أصل سبع وعشرين مرة ذكر فيها لفظ الرحم، أمّا الأخرى فكانت من الدلالة الحقيقية له^(١)، وسنكتفي بذكر شاهدين فقط لصلة الرحم^(٢)، وقطعه^(٣)، توخياً للإيجاز واستيعاباً للمفاهيم في إشارة إلى أهمية هذا المجاز عند الإمام، ومن شواهد صلة الرحم قوله عليه السلام:

«...وَصِلَّةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ»^(٤).

وقد استعار الإمام مفهوم الصلّة من الرّحم وعبر عن الأقارب به «لكونهم خارجين من رحم واحدة»^(٥)، فالولد أقرب الناس إلى رحم أمه وعلاقته بالرحم هي علاقة تعلق، لذا كان هو المثل الأعلى في التشبيه به عن قوة الترابط الاجتماعي، والمراد أن تحقق الوصل بما يتعلق من أبناء جلده يؤخر أجل الإنسان لما له من عظيم الشأن عند الرحمن الرحيم^(٦)؛ إذ إنّ صلة الرّحم توجب الزيادة في العمر والقطيعة توجب النقصان، وكذلك البرّ والعقوق وهكذا.

(١) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال لا الحصر: ٣٠٠/١، خ ١٢٨، ١٨٣/١، خ ٨٩، ٢١٢/١، خ ٩٣، ٣٨٧/١، خ ١٦٤...

(٢) ينظر: المصدر نفسه، على سبيل المثال لا الحصر: ١٥٤/٢، ك ١٨، ٣٢٨/٢، ح ٩٨، ٣٦١/٢، ح ٢٤٩...

(٣) ينظر: المصدر نفسه، على سبيل المثال لا الحصر: ٤٠٨/١، خ ١٧٣، ٢٩/٢، خ ٢١١، ٢١٠/٢، ك ٣٦...

(٤) المصدر نفسه: ٢٥٥/١، خ ١٠٩.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٣٩١/١.

(٦) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣/٣٤٣.

الفصل الثاني: المبحث الرابع الألفاظ الدالة على البطن وما يلحق به ١٩٧

أما معنى قطع الرحم فمنه قوله ﷺ:

«وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ...»^(١).

والإمام هنا يُذكر العرب في عصرها قبل الإسلام بما كانوا عليه، فقطع الرّحم مما نهى عنه الإسلام وأعظم جرمه؛ وهو تعبير مجازي يعبر به عن انقطاع الروابط الاجتماعية أو اختلالها؛ لذلك ورد في الحديث عن رسول الله أن الله ﷻ هو القائل: «أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته»^(٢)، ويبدو أنّ خوفاً في قلب إمامنا على العباد، ورحمة بيّنة منه قد ظهرت في كثافة استعمال لفظ الرحم والتحذير من قطعه ووجوب وصله.

ويتبين مما سبق أنّ الألفاظ الدالة على البطن وملحقاتها قد استعمل كل منها في سياقه فاستعمال هذه الأجزاء جاء لمقاصد متعلقة بمعان لصيقة بوظائف تلك الأجزاء أو هيأتها أو غير ذلك مما يخص هذا الجزء أو ذلك، فاستعمال الإمام لهذه الألفاظ لم يسمح لعلاقات الاستبدال بين هذه الألفاظ أن تكون لها ثغرة في نصوص تلك الألفاظ، على الرغم من التقارب الدلالي في استعمال بعض الألفاظ مثل (الأحشاء، والكبد)، وقد ظهر في استعمال لفظ البطن غلبة ارتباطها بمصاحبة لغوية معينة مثل كلمة الخمص، وفي نصوص أخر لم يخص بها الإنسان مثلت دلالاتها العلاقة الانعكاسية مع لفظ الظهر والظاهر أحياناً، وقد تميز الاستعمال في هذا اللفظ بطابع الوعظ، ورافق ذلك تقسيماً قبلية اشتقت من جسم الإنسان أقرها ﷺ.

وتبلور من البحث تنوع الموارد التي استقى منها الإمام لغته وأولها القرآن

(١) نهج البلاغة: ١/٧٣، خ ٢٦.

(٢) السنن الكبرى: ٧/٢٦.

١٩٨ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
الكرِيم، وَثَانِيهَا حَدِيثُ رَسُوْلِ اللهِ، وَالْبَيْئَةُ الشَّعْرِيَّةُ الْقَدِيْمَةُ، وَيَكْشِفُ اسْتِعْمَالَ
جِزْءِ الْكَبْدِ عَنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْإِمَامِ وَرَعِيَّتِهِ، وَيَكْشِفُ وَصْفَ جِزْءٍ آخَرَ مِنْ جِسْمِ
الْإِنْسَانِ عَنِ التَّعَفُّفِ بِأَقْوَى صُوْرِهِ وَهُوَ الصَّفَاقُ، وَتَبْرُزُ هَيْمَنَةُ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ
فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ لِإِثْبَاتِ قُوَّةِ الْخَالِقِ وَضَعْفِ الْمَخْلُوقِ مِثْلَ الْأَحْشَاءِ وَالرَّحْمِ،
وَأَخِيْرًا لِأَبَدِّ مِنْ ذِكْرِ السِّيَاقَاتِ الَّتِي صُوْرَتِ الْمَعَانَاةُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ قَطْعِ الرَّحْمِ
وَالْإِلْحَاحِ عَلَى صَلْتِهِ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْمَصَاحِبَةُ اللَّغْوِيَّةُ.

المبحث الخامس

الألفاظ الدالة على الجنب وما يلحق بها

لا يخفى أنّ الجسم الإنساني مصدر لعدد كبير من التسميات، والتسمية تقوم على العلة في كل الحالات، وترتبط بمعانٍ وإيحاءاتٍ وإشاراتٍ خاصة بأجزاء من الجسم^(١)، ومنها الجنب وملحقاته، فقد مثلت ثراءً دلاليًا يُزاد إلى الذخيرة اللغوية العربية، ووقع بعضها في القرآن ومن ذلك قوله تعالى:

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١٦) (٢).

وكان في المتن المدروس (نهج البلاغة) عدد من النصوص التي ورد فيها لفظ الجنب وملحقاته التي تمثل مجموعة دلالية ذات سمات مشتركة لها أهمية كبرى تواصلياً، وهذه الألفاظ تضمّ (الجنب، الخاصرة، الكشح، العطف)، ومن شواهدنا:

- الجنب^(٣): كان حضور اللفظ للإنسان في تسعة نصوص^(٤)، ومنها قول

(١) ينظر: علم الدلالة، بيير جيرو: ١٠١.

(٢) السجدة: ١٦.

(٣) مما اقترب في النهج من معنى الجنب لفظ (أحناء) في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «... لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَتَّقِدُحُ الشُّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبُهَةِ»، (نهج البلاغة: ٢/ ٣٤١، ح ١٤٣)؛ لأنه يشترك في المعنى مع جانب الإنسان.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٢٥١، خ ١٠٨، ٢/ ٩٦، خ ٢٣٨، ٢/ ١٦٧، ك ٢٧، ٢/ ٢٣٠، ك ٤٦،

الإمام عليه السلام لأصحابه عند الحرب:

«لَا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطَّنُوا^(١) لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا...»^(٢).

وقوله عليه السلام في كتاب إلى عثمان بن حنيف الأنصاري:

«طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ عُمُضَهَا»^(٣).

- العِطْفُ^(٤): جاء اللفظ في نصين من كلام الإمام عليه السلام وهما قوله في وصف مبايعة الناس له:

«فَمَا رَاعِنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِّيَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ»^(٥).

وقوله عليه السلام عن بيت الله الحرام:

«ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْتَمَى رِحَالِهِمْ...»^(٦).

- الكَشْحُ: استعمل في نصين، وهما قول الإمام عليه السلام عن الخلافة:

٢/٢٧٦، ك٦١، ٢/١٥٠، ك١٦٦، ٢/٢٢٨، ك٤٥٥.

(١) في بعض النسخ (وَطَّنُوا)، مثل نسخة هاشم الميلاني (ص: ٣٧٨)، وفارس الحسون (ص: ٤٩١)، وغيرها.

(٢) نهج البلاغة: ٢/١٥٠، ك١٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢/٢٢٧، ك٤٥٥.

(٤) ورد اللفظ في النهج أيضاً بقول للرضي من دون نص الكتاب، ذكر فيه أمير المؤمنين المنذر، بقوله: إنه لَنظَارٌ فِي عِطْفِيهِ، (ينظر: نهج البلاغة: ٢/٢٩٦، ك٧١).

(٥) المصدر نفسه: ١/٣٤، خ٣.

(٦) نهج البلاغة: ٢/١٠٠، خ٣٣٨.

الفصل الثاني: المبحث الخامس الألفاظ الدالة على الجنب وما يلحق بها ٢٠١

«فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ
بِيَدِ جَدَاءٍ، أَوْ أَصِيرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ»^(١).

وقوله ﷺ عن النبي:

«وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ... أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْمَصُهُمْ
مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا»^(٢).

- الخاصة: استعملت الخاصة مرة واحدة فقط في كلام للإمام ﷺ يحث فيه

أصحابه على الجهاد:

«فَشَدُّوا عَقْدَ الْمَآزِرِ، وَاطَّوُّوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ، لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ...»^(٣).

ويمكن تلخيص المعنى اللغوي لهذه الألفاظ بالآتي: فالجنب «مجتمع الأضلاع
وأسفل الضلوع»^(٤)، كما ذكر ابن فارس، وهو من الجذر (ج ن ب)، وله «أصلان
متقاربان أحدهما: الناحية، والآخر البعد... ومن الباب الجنب للإنسان وغيره...
والمجنب: الخير الكثير، كأنه إلى جنب الإنسان، وجنبت الدابة إذا قُدَّتْها إلى جنبك،
وكذلك جنبت الأسير، وسُمِّي التُّرسُ مجنباً لأنه إلى جنب الإنسان، وأمَّا البعد،
فالجَنَابَةُ؛ لأنه يبعد عما يقرب منه غيره، من الصَّلَاةِ والمسجد وغير ذلك...»^(٥)،
لكن الراغب يجعل الجارحة أصلاً للجنب، ثم يستعار في الناحية التي تليها كعادة
العرب في استعارة سائر الجوارح لذلك مثل اليمين والشمال^(٦)، قال الله ﷻ:

(١) المصدر نفسه: ١/ ٣٠، ٣.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٣٧٦، خ ١٦١.

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٣٢، خ ٢١٥.

(٤) مقالة في أسماء أعضاء جسم الإنسان: ٢٠.

(٥) مقاييس اللغة: ١/ ٤٨٣.

(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٢٩.

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۗ هَذَا مَا كُنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١).

أمّا في خلق الإنسان، فقد قال الأصمعي عن الجنين: «وهما الملاطان وهما الدفان والكشحان، والقربان، والواحد كشح وقرب، والجماع الكشوح والأقرب، وفي الجنب الفريصتان... وفي الجنب الحصير وهو الذي إذا رأيت الرجل يعمل رأيت له إطاراً بين الشاكلة وبين الجنب... والقرب والكشح والحشى والصقل والإطل والخصر واحد» (٢)، وعلى ذلك يكون الجنبان مكتنفين للصلب مكونين جانبيه (٣)، أمّا العطف، فقد قال عنه الخليل: «وعطفا كل شيء جانبا وعطفا الإنسان من لدن رأسه إلى وركه» (٤)، وهو من الجذر (ع ط ف) وله أصلٌ واحدٌ «يدلُّ على انثناء وعجاج، يقال: عَطَفْتُ الشَّيْءَ، إذا أَمَلْتَهُ، وَاِنْعَطَفَ، إذا انعاج... ويقال للجانبين العطفان، سمياً بذلك لأنَّ الإنسان يميل عليهما. ألا ترى أنَّهم يقولون: ثنى عطفه، إذا أَعْرَضَ عنك وجفأك... وفلانٌ يَتَعَاطَفُ في مشيته، إذا تمايل، والإنسان يتعطف بثوبه، وهو شبه التوشح. والرِّداء نفسه عِطَافٌ، لأنَّه يُعْطَفُ، ثم يتسعون في ذلك» (٥)، وهذا الجزء من الإنسان مختلف في تحديد مكانه من جسم الإنسان، فقد قيل: هو المنكب عينه، وقيل الإبط... وقيل هو جانب الإنسان (٦)، ويذكر الرأي الأخير صاحب المفردات أيضاً (٧)، وهو ما يؤيده الباحث.

(١) التوبة: ٣٥.

(٢) خلق الإنسان: الأصمعي، ٢١٣.

(٣) ينظر: خلق الإنسان: الزجاج، ٧٩.

(٤) العين: ١٧/٢.

(٥) مقاييس اللغة: ٤/ ٣٥١.

(٦) ينظر: المخصص: ١/ ٩٦، ولسان العرب: ٩/ ٢٤٩.

(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢/ ٤٤٠.

الفصل الثاني: المبحث الخامس الألفاظ الدالة على الجنب وما يلحق بها ٢٠٣

وهناك رأي يقول بأنّ الكشح والخاصرة واحد من هذه الألفاظ، ومنهم ابن فارس، إذ قال أنّ للجذر (ك ش ح): «أصلٌ صحيح، وهو بَعْضُ خَلْقِ الحيوان، فالكَشْحُ: الخَصْر»^(١)، لكن الخليل يحدد الكشح «من لدن السرة إلى المتن ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو موضع موقع السيف إلى المتقلد»^(٢)، ويتوسع ثابت فيقول: «هو ما بين الوركين إلى حيال الإبط من المنكب...»^(٣)، وقيل الكَشْحُ: ما بين الجنب والخاصرة^(٤)، ويمكن التعويل على رأي الخليل في أخذ معنى الكشح؛ لأنه أكثر دقة في التحديد، ويجعل من الكشح جزءاً من الجنب الظاهر أوسع من الخاصرة سواء أكانت نهايته إلى المتن، أم إلى الإبط، والخاصرة حددها الخليل بقوله: «والخاصرتان: ما بين الحرقفة والقصيرى»^(٥)، وهي مشتقة من الجذر (خ ص ر)، وله في اللغة «أصلان: أحدهما البَرْد، والآخر وَسَطُ الشَّيْءِ، فالأوّل قولهم خَصِرَ الإنسانُ يُخَصِرُ خَصِراً، إذا آلمَهُ البَرْدُ في أطرافه، وخَصِرَ يوماً خَصِراً، أي اشتدَّ بَرْدُهُ، وأمّا الآخر فالخَصِرُ خَصِرَ الإنسانِ وغيره، وهو وَسَطُهُ المستدِقُّ فوق الوركين»^(٦)، وقيل: إنها آخر منقطع الأضلاع وهي طفيفة الجنب التي تتصل بأطراف الأضلاع^(٧)، وهو رأي يجعل من الخاصرة جزءاً مكماً للجنب، فجنب الإنسان تحت الإبط إلى الخصر، والخصر هو وسط الإنسان، وهذا يتفق وما نفعله اليوم في حال التخصّر وهو وضع اليدين على الخصر.

(١) مقاييس اللغة: ٥ / ١٨٣.

(٢) العين: ٣ / ٥٧.

(٣) خلق الإنسان: ٢٥٨، وينظر: خلق الإنسان، الزجاج: ٧٩.

(٤) ينظر: خلق الإنسان في اللغة، البغدادي: ٥٧.

(٥) العين: ٤ / ١٨٢.

(٦) مقاييس اللغة: ٢ / ١٨٨.

(٧) ينظر: خلق الإنسان، الزجاج: ٨٠.

أما استعمال الألفاظ المذكورة، فمنه استعمال الإمام عليه السلام للجنب في الشاهد الأول:
«أَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطَّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا».

والجنب، جمع جَنَب، ويأتي توظيف اللفظ في سياق كلام للإمام إلى أصحابه عند الحرب، فيوصيهم عليه السلام بأن تكون ضرباتهم للعدو محكمة؛ فيمهدوا للجنب مَصَارِعَهَا، أي أماكن سقوطها، كأنهم مهدوا للمضروب مصرعه^(١)، وهي كناية في غاية الروعة وتصوير في غاية الابداع، فاستعمل عليه السلام الجنب للدلالة على مصرع صاحبه في النص، وقد ألفت هذه الدلالة بظلالها على هذا اللفظ؛ لأن هذا يلائم أوضاع الحرب، فسقوط القتلى غالباً على جوانبهم واستقرار أحوالهم يكون عليها.
أما الشاهد الثاني فهو قوله عليه السلام في كتاب إلى عثمان بن حنيف الأنصاري:

«طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا».

وكان الإمام قد بعث بهذا الكتاب إليه لما كان واليه على البصرة، وحضر مادبة قوم من أهلها عائلهم مجفو وغنيهم مدعو، فعاتبه الإمام على ذلك^(٢)، ثم قال هذا الكلام، وعرك البؤس بالجنب، أي الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه^(٣)، وقيل: البؤس هو الضرّ، فيقال: عرك فلان بجنبه الأذى أي أغضى عنه وصبر عليه، وقد ورد اللفظ بتعبير مجازي في سلسلة من المتواليات الكلامية الهادفة إلى توحّي التصبّر على الشدائد والمكاره التي تردّ على هذه النفس، لتصبح في زمرة أولياء الله الذين تنزهوا عن ملاذ الدنيا والمشقة الناتجة عن ذلك^(٤)، وإنّما جاز المجاز في قول الإمام؛ لأنّ الإنسان من ناحية جانبه يمكن أن يجانب الأذى، أي يتعد عنه فيصبر عليه.

(١) ينظر: نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل: ٢/ ١٥٠، ونهج البلاغة، تح: هاشم الميلاني: ٤٢٥.

(٢) ينظر: أعلام نهج البلاغة، هاشم مرتضى: ١٦٤.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، تح: فارس الحسون: ٥٥٨.

(٤) ينظر: شرح كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، هاشم الميلاني: ٦٩.

الفصل الثاني: المبحث الخامس الألفاظ الدالة على الجنب وما يلحق بها ٢٠٥
ولابدَّ من الإشارة إلى أنّ الإمام قد طوَّع لفظ الجنب واستعماله باشتقاقات
متعددة، ومن ذلك استعمال منفرد جعل من الجسد مركزاً للاتجاهات بصورة عامة،
والجنب بصورة خاصة، في قوله عن حال الميت:

«...وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ
جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ»^(١).

والمعنى أي جعلوا مستوحشين، والمستوحش المهموم الفزع، ويروى أوحشوا
من جانبه أي خلوا منه وأقفروا تقول: قد أوحش المنزل من أهله أي أقفر^(٢)، فدلالة
الجانب في النص مكانية عن نواحي الجسد، فكأنهم جعلوا الشيء وانصرفوا عن
جنبه، وقد أظهر استعمال هذه الدلالة للجنب دقة التصوير الملائمة للسنن الاجتماعية
المتعلقة بمرحلة من مراحل الموت ومراعاتها، ومما يُلاحظ في سياقات هذا اللفظ
الأخرى بأبنيته كافة^(٣) أنّ الإمام وظّفه لأغراض فحواها يتأرجح بين النصح
والتوبيخ جاءت أكثرها في كتبه وعهوده وقلّت في الخطب واختفت في الحكم.

أمّا العطف في استعمال أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان شاهداً على مبايعة الناس له
في قوله:

«يَتَنَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِيءَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِظْفَايَ».
وَشُقَّ عِظْفَاهُ: خُدَشَ جانباها، دلالة على شدة الاصطكاك والزحام لأجل البيعة
على الخلافة^(٤)، وقد شبه عليه السلام ذلك الزحام بعُرْفُ الضَّبُع في السياق؛ لكثرة الشعر

(١) نهج البلاغة: ١/ ٢٥١، ١٠٨.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ ٢١٠.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ٢/ ١٦٧، ٢/ ٢٧، ٢/ ٢٣٠، ٢/ ٤٦، ٢/ ٢٧٦، ٢/ ٦١، ٢/ ١٥٠،
ك ١٦٦، ٢/ ٩٦، خ ٢٣٨، ٢/ ٢٢٨، ك ٤٥...

(٤) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٣٤، ونهج البلاغة، محمد عبدة: ٤٢.

٢٠٦ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة
 على عنقها، فيضرب به المثل في الكثرة والازدحام فبعد تلك السنوات العجاف
 تطلع الناس إلى من ينجيهم جراء خلافة المتقدمين، فاتجهوا يتتابعون مزدحمين
 إلى الإمام لوعي ديني لا بعنوان الإمامة الإلهية بل أرادوا بيعته بعنوان الخليفة،
 والحقيقة أن الناظر للسياق يجد بأن هذه البيعة لأنفسهم وصلاح أمرهم^(١)؛ لذلك
 قال عليه السلام:

«لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا، إِنِّي أُرِيدُكُمْ
 لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ»^(٢).

ويمكن أن يكون استعمال العطف هنا لتضمنه معنى التمايل فالعطف من
 الأجزاء التي تظهر فيها هذه المعاني، وفي الشاهد الثاني كانت نسبته إلى حجاج بيت
 الله الحرام بقوله عليه السلام:

«ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتُّنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ».

وعطف الرجل: جانبه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي
 يلويه ويميله^(٣)، وقيل: إن معنى ثاني عطفه، لاوي عنقه^(٤)، ويمكن الإفادة من
 الرأيين مجتمعين لاستخراج الدلالة، ففي النص معنى يَتُّنُوا أَعْطَافَهُمْ، أي مالوا
 عما كانوا عليه وتوجهوا إليه ليقصدوه ويججوه^(٥)، وهذا ما يناسب مقام التكليف
 والتوجه المعنوي وشوق الخلق إليه؛ لأنه قدوم إلى بيت الله طلباً لفضله وثوابه،
 ليتزودوا من العرفان لربهم^(٦).

(١) ينظر: سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، هاشم الميلاني: ٧٢-٧٥.

(٢) نهج البلاغة: ١/ ٣١٤، خ ١٣٦.

(٣) ينظر: معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: ٥/ ٣٦٨.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري ت ٣١٠هـ: ١٨/ ٥٧٣.

(٥) ينظر: نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ١٥٩.

(٦) ينظر: الحج في نهج البلاغة، فارس الحسون: ٢٣-٢٤.

الفصل الثاني: المبحث الخامس الألفاظ الدالة على الجنب وما يلحق بها ٢٠٧
ويصاحب الفعل (طوى) لفظ الكشح للتعبير عن زوائد الإنسان، ففي شاهد
اللفظ الأول عن الخلافة قال عليه السلام:

«فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا».

ويتضح من المصاحبات اللغوية في الشاهد أنه أراد الدلالة المجازية؛ لأنه أراد بصورة طي الكشح إظهار دلالة تحمّل الجوع بالإعراض عمّا يسدُّ ذلك الجوع أو يفضل عن سدِّ الحاجة، ولكنه عنى الخلافة هنا فشبها بشيء مأكول، قال ابن أبي الحديد: «إِنَّ مَنْ أَجَاعَ نَفْسَهُ فَقَدْ طَوَى كَشْحَهُ كَمَا أَنْ مِنْ أَكَلَ وَشَبِعَ فَقَدْ مَلَأَ كَشْحَهُ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَأْجَعَ نَفْسَهُ عَنْهَا وَلَمْ أَلْقِهَا»^(١)، وقيل: طويت عنها كشحاً أي قطعته وصرمتها؛ لأنَّ من كان إلى جانبك الأيمن مائلاً فطويت كشحك الأيسر فقد ملت عنه^(٢)، ويبدو أنَّ الرأي الثاني هو أقرب للمعنى؛ لأنَّ الكاشح في النص الذي يَطْوِي عن الخلافة كَشْحَهُ، يقال: طويتُ كَشْحِي على الأمر، إذا أضمرته وسرته، وهناك ثمة فرق بين (طويت عليها) و (طويت عنها) فحرف الجر (عن) قرينة ترجح كون الطوي لمعنى الإمالة؛ لذا يقال للذهاب كَشَحْ؛ لأنَّه يَمْضِي مَبْدِئاً كَشْحَهُ إِعْرَاضاً عَنِ الْمَذْهَبِ عَنْهُ^(٣)، وقد جسَّد الإمام معنى الإعراض عن الدنيا والخلافة في استعمال هذا الجزء من البدن؛ لما يلتصق به من معنى الزيادة في بدن الإنسان؛ لذلك وظّفه الإمام أيضاً في وصف النبي فقال:

«أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْصَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا».

وهذا النص يبين بعض صفات النبي عليه السلام المتعلقة بتعفّفه ولطافة جسمه الطاهر، وخلوه من الزوائد^(٤)، يقال «رَجُلٌ أَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ، أَي مُنْصَمِّمُهُمَا... وَلُطْفٌ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/١٥٢.

(٢) ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٤٣.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/١٨٣.

(٤) ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٣٧٥.

٢٠٨ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
الْكَشْحِ وَالْهَضْمُ فِي الْإِنْسَانِ قِلَّةُ أَنْجِفَارِ الْجَنْبَيْنِ وَلَطَافَتُهُمَا، وَرَجُلٌ أَهْضَمٌ بَيْنَ الْهَضْمِ
وَأَمْرَأَةٍ هَضْمَاءُ وَهَضِيمٌ^(١)، والمراد من استعمال الكشح قلة الأكل؛ لأن الكشح
مأخوذ فيه معنى الإمالة والإعراض.

وأما الخاصرة، فقد جاء استعمالها في سياق حث أصحاب الإمام على الجهاد
وترك الشهوات في قوله:

«فَشَدُّوا عَقْدَ الْمَآزِرِ، وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ، لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ».

وفي معنى (اطووا فضول الخواصر) رأيان الأول: أي ما فضل من مآزركم
يلتفت على أقدامكم، فاطووه حتى تحققوا في العمل ولا يعوقكم شيء عن الإسراع
في عملكم^(٢)، والثاني: كناية عن النهي عن كثرة الأكل؛ لأن كثير الأكل لا تطوى
فضول خواصره لامتلائها، والبطنة تذهب الفطنة وتمنع عن الحملة وكانت العرب
عند الحرب تمسك عن الأكل والشبع فكانوا يحمدون قلة الأكل^(٣)، ويظهر أن من
ذهب إلى الرأي الأول قد فسر القول بقريظة ما قبله على الرغم من استيفاء الغاية
بشد المآزر، وأما من ذهب إلى الثاني فقد فسر القول بقريظة ما بعده، والباحث يميل
إلى الرأي الثاني؛ لأن المآزر ليس جزءاً من الخاصرة أو ما يفضل منها، فضلاً عن
أن ذلك لا يناسب قريظة (لا تجتمع عزيمة ووليمة) في النص، وهي من متمات
ما يمنع من إمضاء العزائم ونقص الهمم؛ إذ لا يجتمع طلب المعالي مع الركون
إلى اللذائذ، فلا تقتنى الفضائل النفيسة إلا بالكف عن اللذائذ النفسية ولا تنال
درجات الكمال إلا بمقاساة الشدائد وركوب الأهوال^(٤)، وقد استعمل عليه السلام جزء

(١) لسان العرب: ١٢/٦١٣.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، شرح محمد عبدة: ٤٢٤، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١/١٤٣.

(٣) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٦/١٩٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٦/١٩٣.

الفصل الثاني: المبحث الخامس الألفاظ الدالة على الجنب وما يلحق بها ٢٠٩
الخاصرة من الجسم للتعبير عن هذا المعنى؛ لتوسطها جذع الإنسان، فتكون محور دوران المقاتل باتجاهات مختلفة، ولو عبّر بالبطن مثلاً أو غيرها لانصرف الذهن باتجاهها إلى غير ما أراد ﷺ من معنى المرونة والحركة.

ومن تحليل نصوص ألفاظ المجموعة الدالة على جنب الإنسان وملحقاته يُلاحظ شيوع لفظ الجنب كثيراً مقارنة بما لحق به، وقد ظهرت علاقة الترادف بين الجنب وبعض هذه الملحقات في التقديم اللغوي مثل الكشح، والخاصرة، والعطف، ولكن الاستعمال يبيّن علاقة العموم والخصوص بينها، فجاء الجنب بمعنى يدلّ على شق الإنسان، والكشح بمعنى يدلّ على جنب الإنسان من سرته إلى وسط الظهر، والخصر بمعنى يدلّ على وسط الإنسان... أمّا سياقات الألفاظ فكانت هي الأخرى مختلفة، فالجنب قد وُظّف في سياقات النصح والتوبيخ تارة، وسياقات ظرفية مكانية تارة أخرى، واستعملت الخاصرة في سياقات القتال واستلزام الحركة، أمّا الكشح، فقد جاء في سياقات مثلت زوائد البدن ناسبت فيها الأصل اللغوي الذي اشتق منه اللفظ، وظهر من استعمال الكشح عند الإمام اشتراكه مع الجنب بسماوات رئيسة أكثر من بقية الأجزاء الأخرى.

المبحث السادس

الألفاظ الدالة على الظهر وما يلحق به

تتضمَّن بعض الكلمات في النص معنى أساسياً وآخر سياقياً، وتنهل معناها من السياق الذي ترتبط به، فتقرير معنى لفظ ما في فلسفة اللغة يعني عادة مجموع الموضوعات التي يحيل عليها هذا اللفظ، أو حالة من حالاته، فعندما يجد اللغوي نفسه أمام كلمة (ظَهْر) مثلاً، فسوف يكون اهتمامه بكيفية معرفة إحالة هذه الكلمة على موضوع محدد، وهذا ما يمكن معرفته بالاستعمالات الخاصة باللسان، لكن هذا لا يمكن أن يتجاهل أن كلمة الظهر تحيل على مصدر مولد مذكر بالمعنى البيولوجي الصرف للكلمة، فهي تحيل أيضاً على سلسلة أخرى من الكيانات التي توحى بها الكلمة، انطلاقاً من أن هذا الموضوع يعود إلى التداوليات بوصفه الاستعمال الفعلي للسان من لدن مستعمليه^(١)، ولا يغفل أثر المجاز من ذلك في تجديد حياة الألفاظ؛ لأنَّه وسيلة اتساع للدلالة من حيث استعمال الألفاظ استعمالاً جديداً على وفق علاقات استعارية، أو تشبيهية أو حالية أو سببية، ما يجعل المجاز ينزل منزلة الحقيقة أو دون هذه المنزلة^(٢)، وقد إناز الظهر وبعض الألفاظ الملحقة به بتعبيرات مجازية وأنماط استعارية واسعة الانتشار في نهج البلاغة كسعته من جسم

(١) ينظر: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه: ١٣٩-١٤٠.

(٢) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٦٢٧.

٢١٢ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة
 الإنسان؛ فقد مثل محوراً لمعانٍ متنوعة كمعنى الظهور، والوضوح، ونحو ذلك
 من المعاني التي يجليها البحث في النصوص الواردة فيها لفظ الظهر، والألفاظ التي
 تلحق به، وستكون دراسة الألفاظ في هذا المبحث على مجموعتين، الأولى تتضمن
 الألفاظ: (ظهر، صلب، فقرة)، والمجموعة الأخرى تتضمن الألفاظ: (عائق،
 ثبج، كاهل، منكب، كتف، متن، حدبة)، غير أن بعض ألفاظ هذه المجموعة الثانية
 انفردت باستعمالها لغير الإنسان في نهج البلاغة فضلاً عن قلة شواهدها^(١)، ومنها
 (الثبج)^(٢)، الكاهل^(٣)، الكتف^(٤)، الحدبة^(٥)؛ لذلك سوف نُعرض عن دراستها.

المجموعة الأولى:

تتضمن ألفاظ جزء الظهر ومكوناته (ظهر، صلب، فقرة)، ومن شواهدها:
 - الظَّهْر: جاء استعمال هذا اللفظ للإنسان ست عشرة مرة^(٦)، منها قول
 الإمام عليه السلام في ذم البصرة وأهلها بعد واقعة الجمل:
 «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَعَا فَأَجَبْتُمْ، وَعَقِرَ فَهَرَبْتُمْ... الْمُقِيمُ بَيْنَ

- (١) ينظر: نهج البلاغة: ١/١٩، خ ١، ١٩٦/١، خ ٩٠، ٣٩٨/١، خ ١٦٧.
 (٢) جاء في خلق الإنسان أن الثبج هو من ملحقات الظهر، قيل: «أنه موصل الظهر في العنق»، (خلق
 الإنسان: ثابت، ٢٣٥، وينظر: خلق الإنسان في اللغة: ٤٦، والمخصص: ٢/١٥).
 (٣) الكاهل: وهو من (كهل) وله «أصلٌ يدلُّ على قُوَّة في الشَّيْءِ أو اجتماع جِبَلَةٍ. من ذلك الكَاهِل: ما
 بين الكتفين: سمِّي بذلك لقُوَّته». (مقاييس اللغة: ٥/١٤٤. وينظر: العين، ٣/٣٧٨).
 (٤) الكتف: وهي العظم بما فيه، وفي ظهر الكتف لوحها، وهي مطبقة على الظهر. (ينظر: خلق
 الإنسان: ثابت ٢١١-٢١٣).
 (٥) الحدبة: وهي من (حدب) وله «أصلٌ واحد، وهو ارتفاع الشَّيْء... والحدَّب في الظَّهْر؛ يقال حدَّب
 واحدودَّب...». (مقاييس اللغة: ٢/٣٦).
 (٦) ينظر: نهج البلاغة: ١/١٨٣، خ ٨٩، ١/٢٥١، خ ١٠٨، ١/٢٨، خ ٢، ١/٣٠٨، خ ١٣٣، ٢/٤٣،
 خ ٢١٧، ٢/٥٨، خ ٢٢٥، ٢/١٠٠، خ ٢٣٨، ٢/١٤٥، ١٢/١٥٦، ٢/٢٠، ٢/١٨٨، ك ٣١،
 ٢/٢١٠، ك ٣٦، ٢/٣١٣، ح ٣١، ٢/٣٣٣، ح ١١٦، ٢/٤٠٠، ح ٤٢٤.

الفصل الثاني: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الظهر وما يلحق به ٢١٣

أَظْهَرِكُمْ مُرْتَهَنَ بَدَنِيهِ، وَالشَّخِصَ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةِ مِنْ رَبِّهِ»^(١).

وقوله عليه السلام في المتخاذلين عن نصره الحق:

«أَيُّهَا النَّاسُ... لِيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ التِّيَّهُ مِنْ بَعْدِي أضعافاً بِمَا خَلَفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَذُنَى، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ»^(٢).

- الصُّلْبُ: استعمله الإمام عليه السلام ست مرات^(٣)، منها قوله في الأنبياء عليهم السلام:

«فَاسْتَوَدَعْتُهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخْتُهُمْ كَرَائِمِ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى سَلْفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِيَدِي اللَّهِ خَلْفٌ»^(٤)،
وقوله عليه السلام يصف عظمة الخالق:

«عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافِينَ... وَمَحَطُّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ»^(٥).

- الْفِقْرَةُ: استعمل الإمام عليه السلام الفقرة مرة واحدة في سياق ذكر الأمم الماضية:

«وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مَنَّتَهُمْ مِنْ تَصَاغِنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحِنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابِرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي...»^(٦).

أمَّا المعنى اللغوي للألفاظ، فيمكن توضيحه بالآتي:

الظهر: وهو من الجذر (ظ ه ر) وله «أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على قوَّةٍ وبروز...»

(١) المصدر نفسه: ٤٨/١، خ ١٣.

(٢) المصدر نفسه: ٤٩٩/١، خ ١٦٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧/١، خ ١٢، ١٨١/١، خ ٨٨، ١٢٤/١، خ ٥٩، ١٤٨/١، ١٠٨.

(٤) المصدر نفسه: ٢١٢/١، خ ٩٣.

(٥) المصدر نفسه: ٢٠٤/١، خ ٩٠.

(٦) المصدر نفسه: ١٠٥/٢، خ ٢٣٨.

٢١٤ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
والأصل فيه كَلَّه ظهر الإنسان، وهو خلافُ بطنه، وهو يجمع البروزَ والقوَّةَ^(١)،
ويحدد الظَّهْرَ «من لَدُنْ مُؤَخَّرِ الْكَاهِلِ إِلَى أَدْنَى الْعَجْزِ عِنْدَ آخِرِهِ»^(٢)، وهو «حَبْلُ
الْمَتْنِ مِنْ عَصَبٍ أَوْ عَقَبٍ أَوْ لَحْمٍ»^(٣)، والظَّهْرُ مذكور لا غير^(٤)، والجمع أَظْهَرٌ وظُهُورٌ
وظُهْرَانٌ^(٥).

وفي الظهر الصُّلب، وهو «هو عظم الفقار المتصل في وسط الظهر»^(٦)، وأصله
من الجذر (ص ل ب) وله «أصلان: أحدهما يدلُّ على الشدَّة والقوَّة، والآخر
جنس من الودك، فالأوَّل الصُّلب، وهو الشيء الشَّدِيد، وكذلك سُمِّيَ الظَّهْرُ
صُلْبًا لقوَّته... وأما الأصل الآخر فالصَّليب، وهو وَدَكُ الْعَظْمِ. يقال اصْطَلَبَ
الرَّجُلُ، إِذَا جَمَعَ الْعِظَامَ فَاسْتَخْرَجَ وَدَكَهَا لِأَتَدِمَ بِهِ»^(٧)، أمَّا الصُّلب والاصطلاب
فهو استخراج الودك من العظم، والصَّلب هو تعليق الإنسان للقتل، وقيل هو
من شدَّ صلبه على خشب، وقيل إنما هو من صلب الودك^(٨)، وسُمِّيَ المصلوبُ
بذلك كَأَنَّ السَّمْنَ يَجْرِي عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ سُمِّيَ الشَّيْءُ الَّذِي يُصَلَّبُ عَلَيْهِ صَلْبِيًّا عَلَى
المجاورة^(٩)، ومن الصور القرآنية لذلك قوله تعالى:

﴿يَصَلِحِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيسْتَقِي رَبَّهُ وَخَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ

(١) مقاييس اللغة: ٤٧١ / ٣.

(٢) المخصص: ١٥ / ٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٥ / ٢.

(٤) ينظر: المعجم المبتكر في بيان ما يتعلق بالذكر والمؤنث: ٢٢٤.

(٥) ينظر: لسان العرب: ٥٢٠ / ٤.

(٦) العين: ١٢٧ / ٧.

(٧) مقاييس اللغة: ٣٠١ / ٣.

(٨) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢٨٤ / ١.

(٩) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٠١ / ٣.

فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾^(١).

ومن كتب خلق الإنسان نذكر قول الأصمعي: «وفي الصلب النخاع وهو الذي يأخذ من الهامة ثم ينقاد في فقار الصلب حتى يبلغ عجب الذنب»^(٢)، وللصلب الأثر الرئيس في قوام الإنسان؛ لما يتسم به من القوة التي عرف بها.

أَمَّا الْفِقْرَةُ فَبِهَا الْوَحْدَةُ الْأَسَاسُ فِي بِنَاءِ الْعَمُودِ الْفَقْرِي، وَهِيَ مِنَ الْجَذْرِ (ف ق ر)، و«يدلُّ على انفراجٍ في شيء من عضوٍ أو غير ذلك. من ذلك: الْفَقَارُ لِلظَّهْرِ، الْوَاحِدَةُ فِقَارَةٌ، سَمَّيْتُ لِلْحُزُوزِ وَالْفُصُولِ الَّتِي بَيْنَهَا»^(٣)، قال أبو زيد (ت ٢١٥هـ)^(٤): «الْفِقْرُ هِيَ الْمَفَاصِلُ أَيْضاً فِي الصُّلْبِ كُلِّ مَفْصِلٍ فِقَارَةٌ وَمَحَالَةٌ وَالْفَقَارُ وَالسَّنَاسِينُ رُؤُوسُ الْفِقْرِ وَالوَاحِدَةُ: سِنْسِنَةٌ وَفِقَارَةٌ»^(٥)، وفي خلق الإنسان قال الأصمعي: «وفي الصُّلْبِ الْفَقَارُ وَالوَاحِدَةُ فِقَارَةٌ وَفِقْرَةٌ وَهِيَ مَا بَيْنَ كُلِّ مَفْصَلَيْنِ، وَالدَّأْيُ فِقَارُ الظَّهْرِ وَالْعَنْقُ وَالوَاحِدَةُ دَأْيَةٌ، وَهِيَ الطَّبَقُ وَالوَاحِدَةُ طَبَقَةٌ وَكُلُّ فِقْرَةٍ طَبَقَةٌ»^(٦)، وَالْفِقْرَةُ وَالْفِقَارَةُ لُغَتَانِ، فَقَدْ جَاءَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: «وَالْفَقَارُ حَرَزُ الظَّهْرِ وَاحِدَتُهَا فِقَارَةٌ وَهِيَ الْفِقْرُ أَيْضاً وَالوَاحِدَةُ فِقْرَةٌ»^(٧).

(١) يوسف: ٤١.

(٢) خلق الإنسان، الأصمعي، ١/ ٢١١.

(٣) مقاييس اللغة: ٤/ ٤٤٣.

(٤) له كتاب في خلق الإنسان مفقود، وهو من الثقة نقل عنه الكثير من اللغويين، واسمه سعيد بن أوس، كنيته المعروف بها أبو زيد الأنصاري الخزرجي، وهو إمام نحوي صاحب تصانيف أدبية ولغوية، (ينظر: بغية الوعاة: ١/ ٥٨٢، ومعجم المتنق والمفترق في ألقاب أئمة اللغة والنحو وكناهم وأنساجهم، محمد كشاش: ٩٧).

(٥) غريب الحديث، ابن قتيبة: ٢/ ٢٧٧.

(٦) خلق الإنسان، الأصمعي: ٢١٠.

(٧) غريب الحديث، ابن قتيبة: ٢/ ٢٧٧.

٢١٦ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

مما سبق تتضح العلاقات بصورة جلية بين الظهر وبقية الألفاظ بوصفه الوحدة الجامعة بعلاقة الاحتواء؛ لأنَّ الفقرة كما أوضحنا هي المكوّن الأساس للصلب الذي ينتمي إلى الظهر الذي يتكون من العصب والعظم واللحم، وهذا أحد الفروق الأساسية بين الظهر والصلب، فضلاً عن ذلك فإنَّ الظهر يتحدد من الأعلى بأصل العنق، بامتداده إلى الجمجمة في الصلب، وإذا أردنا مقارنة أصل الفقرة مع أصل الصلب والظهر فإنَّها تكون من باب وجود الفواصل فيها؛ لأنَّ هذه الفواصل من شأنها أن تعمل على تقوية الصلب بتقليل الثقل على أجسام الفقرات كما تكسبه قابلية الانثناء والحركة.

أمّا عن استعمال الألفاظ في نهج البلاغة، فالظهر قد إنماز باستيفاء صيغ الجمع الثلاث له عند الإمام، فمن (ظهران) ما جاء في قوله عليه السلام في صفة الزهاد: «كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا... تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الآخِرَةِ»^(١).

ومن (أظهر) قول الإمام عليه السلام في الشاهد الأول للفظ الظهر في سياق ذم البصرة وأهلها بعد واقعة الجمل؛ إذ قال: «المُقيمُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةِ مِنْ رَبِّهِ».

ودلالة الاستعمال هو بادٍ وظاهر في وسطهم؛ بدليل ما ورد في لسان العرب أنّ: «معناه أنَّ ظَهراً منهم قَدَّامه وظهرأ وراءه فهو مَكْنُوفٌ من جانبيه ومن جوانبه إذا قيل بين أظهرهم ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم مطلقاً... وكل ما كان في وسط شيء ومُعْظَمُه فهو بين ظَهْرَيْه وظَهْرَانِيَه»^(٢)، ويمكن إلتباس الفارق

(١) نهج البلاغة: ٥٨/٢، خ ٢٢٥.

(٢) لسان العرب: ٥٢٣/٤.

الفصل الثاني: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الظهر وما يلحق به ٢١٧
الدلالي بين صيغتا الجمع والصيغة الأخرى للجمع ظُهور بأن ظَهْرَانِ وَأَظْهَرَ قد
استعملتا في سياقات عبر في الإمام عن الإنسان كاملاً بهذه الألفاظ أما صيغة ظُهور
فقد استعملت في سياقات متنوعة فكانت الأكثر حظاً في الاستعمال، ومن ذلك
قول الإمام عليه السلام في الشاهد الثاني:

«لِيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ التَّيُّهُ مِنْ بَعْدِي أَوْعَافاً بِمَا خَلَفْتُمْ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ».

وعبارة: «خَلَفْتُمْ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ»، أي: أعرضتم عنه، فكأنهم استهانوا به
وخلفوه وراء ظهورهم ولم يلتفتوا إليه^(١)، ومنه قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَسُبِّئِنَّهُ وَاللِّنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ
فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ۖ ثُمَّ قَلِيلًا مِمَّا يَشْتُرُونَ ﴿١٧٧﴾﴾^(٢).

والظُّهْرِيُّ: كلُّ شيءٍ يجعله بظَهْرٍ، أي: تنساه، كأنك قد جعلته خلف ظهرك،
إعراضاً عنه وتركاً له، إذا لم تُقبل عليه^(٣)، ويمكن أن يكون مسوغ استعمال الظهر
هنا لأنهم سوف يحملون الذنوب لتركهم الحق، والحمل إنما يكون على الظهر فكان
ذلك من مصاديق استعماله.

وقد استعمل الإمام الظهر ست عشرة مرة للإنسان من أصل ست وعشرين
مرة ذكر فيها اللفظ في النهج، أما الموارد العشرة الأخرى، فكانت لغيره^(٤)، وفيما
خُصَّ به الإنسان من استعمال، فقد تواترت الدلالات على ثقل الظهر تارة،^(٥)
وخفته أخرى^(٦)، قال ابن سيده: «رجل خفيف الظَّهْر: قليل العيال، وثقيل الظَّهْر:

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٢٨٥/٤.

(٢) آل عمران: من الآية: ١٨٧.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٧١/٣.

(٤) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ١/١٣٨، ١/٨٩، ٢/١٠٠، ٢/٢٣٨، ٢/٣٣٣، ح ١١٦...

(٥) ينظر: نهج البلاغة: ١/٢٥١، ٢/١٠٨، ٢/٤٣، ٢/١٠٨، ٢/١٥٦، ك ٢٠.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢/١٨٨، ك ٣١، ٢/٤٠٠، ح ٤٢٤.

٢١٨ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
كثير العيال، وكلاهما على المثل»^(١)، وهذا التضاد في توظيف المفردة يعدّ من أروع
وسائل بيان الدلالة وجلاء المعنى، الذي يرفد اللغة بتعبيرات تجعل من المفردة
مطواعة بيد صاحبها، ومن أمثلة ذلك التوظيف أيضاً ما جاء من نصوص تشير إلى
قوة الظهر^(٢)، ولينه^(٣).

وكان خير ما يُستشهد به لاستعمال لفظ الصلب حديث الإمام عن الأنبياء عليهم السلام،
إذ يقول:

«تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُظَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ».

وَتَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ أَي: تناقلتهم والتناسخ في الميراث أن يموت
ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم كأنّ ذلك تناقل من واحد إلى آخر ومنه
نسخت الكتاب وانتسخته واستنسخته أي نقلت ما فيه، ويروى تناسلتهم^(٤)، وما
يلحظ في النص أنّ الإمام لم يجعل الأصلاب والأرحام مطلقة، بل جاءت مضافة وما
يتلاءم مع سلسلة الهداية الربانية للبشرية، وهي إضافة الكرامة للصلب والطهارة
للرحم وهما معنويتان في كليهما؛ لدالتهما على التوحيد والصلاح من دون الضلالة
والانحراف، وهذا من شأنه أن يستدعي صورة تتكون في ذهن المتلقي لتجسّد
المعرفة المنطقية^(٥)، وقد قيل في تفسير قوله تعالى:

﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(٦).

معناه وتقلبك في الساجدين الموحدين من نبي لنبي حتى أخرجك نبياً من

(١) المحكم والمحيط الأعظم: ٢٨٥/٤.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ٣١٣/٢، ح ٣١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨/١، خ ٢، ٢١٠/٢، ك ٣٦.

(٤) ينظر: نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٦٣-٦٤.

(٥) ينظر: علم الدلالة: بيبير جيرو، ٥٨.

(٦) الشعراء: ٢١٩.

الفصل الثاني: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الظهر وما يلحق به ٢١٩
صلب أبيه عن نكاح غير سفاح من لدن آدم^(١)، والتفسير يؤيد المعنى في قول
الإمام عليه السلام؛ لأن الله تعالى قد وعد آباءه الموحدين بوراثة الأرض في الكتب السماوية
المتقدمة^(٢)، وقد وصفهم الإمام بكرائم الأصلاب في النص؛ إشارة إلى التوحيد
وتسلسل الطهارة من نبيٍّ لآخر.

أمّا الشاهد الثاني للفظ الصلب فقد جاء تقريراً لعظمة الخالق وهو قول
الإمام عليه السلام:

«عَالِمُ السَّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ... وَوَحَّظَ الْأَمْشَاجَ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ».
ففيه إشارة إلى تولد ماء الرجل يذكر عليه السلام مسارب الأصلاب وهي جمع مسرب،
والتي يسيل المنيّ فيها عند نزوله من الصلب أو عند التكوّن^(٣)، ويأتي استعمال
اللفظ في سياق سرد ما يُخفى على الإنسان إدراكه لإثبات علم الله بأدق الأشياء،
أمّا في النصوص الأخرى فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يخرج استعماله للصلب عن معنى
التناسل للمرات الست التي ورد اللفظ فيها، بغض النظر عن الظروف الزمانية
والمكانية التي تكتنف التعبير في بعض النصوص، ويلاحظ لزوم صيغة الجمع من
دون المفرد في استعمال هذا اللفظ^(٤).

أمّا استعمال لفظ الفقرة عند الإمام فقد ظهر فيه ترجيحه للغة الفقرة على فقارة
في قوله عليه السلام عن الأمم الماضية:

«وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ».

(١) ينظر: الميزان: ٢٤٠/١٥.

(٢) ينظر: وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية، نور مهدي الساعدي، (رسالة ماجستير):
٩٤.

(٣) ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٢٢٩.

(٤) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ٤٧/١، ١٢، ١/١٨١، خ ٨٨...

٢٢٠ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

وكسر فقرتهم: كسر ظهورهم، ذكر الجزء وأراد الكل للمبالغة في الدلالة؛ لأنَّ الفقار في ظهر الإنسان يقوم عليها كيانه فإذا كسرت عجز عن الوقوف والعمل^(١)، يقال: فقَرْتُهُ الفاقة، وهي الدَّاهية، كأنها كاسرةٌ لفقار الظهر^(٢)، أي أصابته مصيبة شديدة قد كسرت فقرته^(٣)، وهو تعبير مجازي ناتج عمَّا فصله الإمام بعد هذه العبارة في السياق من أمور معنوية لغرض الاعتبار والوعظ، بدليل أنَّه يقال للفقير: مكسور فقار الظهر كأنه مكسور فقار الظهر، من ذلَّته ومسكنته^(٤)، ويعبر عن ذلك بالفقرة لا بالظهر؛ لأنَّها ينظر إليها على أنَّها عظام ضعيفة؛ لوجود انفراج فيها، أمَّا قوتها فتكمن في اجتماعها لا تفرقها.

ومن دراسة النصوص الوارد فيها استعمال الظهر، يتضح أنَّ هذا الجزء قد إنماز بتعبيرات مجازية مشهورة الاستعمال حتى في وقتنا الحاضر، ويرجح الباحث أنَّ الظهر من أهم ألفاظ أجزاء الإنسان التي استقى الإنسان العربي المعاني من؛ لأنَّه من مصادر قوة الإنسان وما يفخر بمدلولاته على أرومته، أما سياقياً فقد جاء الصلب في سياق التذكير بنسب الإنسان والفقرة في سياق مثلت فيه نواة بناء عظام الظهر؛ فبدت علاقة العموم والخصوص بين الظهر وهذه الألفاظ واضحة المعالم.

الجموعة الثانية:

تتضمن ألفاظ مكملات الظهر أو ما يلحق به، وهي (العائق، المنكب، المتن)، ومن شواهداها:

- العائق: استعمل مرة واحدة في قول الإمام (عليه السلام) للخوارج:

(١) ينظر: دراسات في نهج البلاغة: ١١٨.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/٣٥٥.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ١٣/١٦٨.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/٣٥٥، والمخصص: ٢/١٤.

الفصل الثاني: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الظهر وما يلحق به ٢٢١

«...فَلِمَ تُضَلَّلُونَ عَامَّةً أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطِيئِي، وَتُكْفَرُونَهُمْ بِذُنُوبِي! سَيُوفِكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبِرَاءَةِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَدْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبِ»^(١).

- الْمُنْكَبُ: جاء المنكب للإنسان في أربعة شواهد^(٢)، منها قول الإمام (عليه السلام) في واقعة الشجرة:

«وَأَلَقْتُ بِغُضَنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِعَظِ أَعْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ»^(٣).

وقوله (عليه السلام) يصف بيت الله الحرام:

«...فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْتَقَى رِحَالِهِمْ... حَتَّى يَهْرُؤُوا مِنَّا كِبَهُمْ ذُلًّا يُهْلِلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْنًا غُبْرًا لَهُ»^(٤).

- المتن: استعمل مرة واحدة للإنسان في قول الإمام (عليه السلام) في المؤمنين:

«حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَاةِ، وَمُجَاهَدَةَ الصِّيَامِ فِي الْيَامِ الْمَفْرُوضَاتِ... لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ... التِّصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا، وَحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً»^(٥).

وقبل دراسة هذه الشواهد لا بد من المرور على المعنى اللغوي للألفاظ موضع البحث، فالعائق من الجذر (ع ت ق) وله أصل «يجمع معنى الكرم خَلْقَةً وَخُلُقًا، ومعنى الْقِدَمِ... ومما شذَّ عن هذا الأصل: عاتقا الإنسان، وهما ما بين المنكبين

(١) نهج البلاغة: ١/ ٢٩٥، خ ١٢٧.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٣٠٧، خ ١٣٢، ٢/ ٢٧٦، ك ٦١.

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ١١٥، خ ٢٣٨.

(٤) المصدر نفسه: ٢/ ١٠٠، خ ٢٣٨.

(٥) المصدر نفسه: ٢/ ١٠٣، خ ٢٣٨.

٢٢٢ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
 والعُنُق، والجمع العواتق، ويقال العاتق يذكَر ويؤنَّث^(١)، وقال أبو حاتم: الجمع
 عُتُق وعواتق^(٢)، وفي خلق الإنسان قال الأصمعي: «هو ما بين المنكب وصفح
 العنق من موضع الرداء من الجانبين جميعاً يقال له العاتق»^(٣)، وقال ثابت: «...
 ومن المنكبين إلى أصل العنق العاتقان وحبل العاتق العصبه الممتدة من العنق إلى
 المنكب يقال ضربه على حبل عاتقه إذ ضربه على حبل ذلك الموضع»^(٤)، والباحث
 يميل إلى هذا التحديد لمقاربتة الأصل، وهو أول أجزاء الظهر تقدماً على غيره
 ويتلوه بالذكر في نهج البلاغة المنكِبُ، وهو من الجذر (ن ك ب) وله أصلٌ «يدلُّ
 على مِيلٍ أو مَيْلٍ في الشَّيء... والأنكَبُ: الذي كأنَّه يمشي في شِقِّ، والمنكِبُ: مُجْتَمِعٌ
 ما بين العَضُد والكَتِف، وهما مَنكَبان، لأُمَّهَما في الجانبين»^(٥)، والمنكب مما يتقوى
 به الإنسان؛ لأنَّه مجمع رأس العضد والكتف وطرف الترقوة، والحيد المشرف من
 المنكب يقال له: المشاشة، وكل عظم لا مَخَّ فيه فهو مشاش، أمَّا باطن المنكب،
 فيقال له الإبط^(٦).

أمَّا المتن فهو «مَتَتان، حَمَتانِ معصوبتانِ بينهما صُلْبُ الظَّهْرِ مَعْلُوتانِ بَعَقِبِ
 والجميع المَتُونُ»^(٧)، و«المتنُ والمْتَنَةُ لغتان، يُذكَرُ ويؤنَّثُ»^(٨)، وهو من الجذر(م
 ت ن) وله «أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على صلابَةٍ في الشَّيء مع امتدادٍ وطول. منه

(١) مقاييس اللغة: ٤ / ٢١٩-٢٢٢.

(٢) ينظر: المخصص: ١/ ١٥٩.

(٣) خلق الإنسان، الأصمعي: ٢٠٤.

(٤) خلق الإنسان، ثابت: ٢١١.

(٥) مقاييس اللغة: ٥ / ٤٧٤.

(٦) ينظر: خلق الإنسان: الأصمعي: ٢٠٤، وخلق الإنسان، ثابت: ٢١٤.

(٧) العين: ٨/ ١٢١.

(٨) المصدر نفسه: ٨/ ١٢١.

الفصل الثاني: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الظهر وما يلحق به ٢٢٣
المتن: ما صَلَّبَ من الأرض وارتفع وانقاد، والجمع مِتَانٌ، ورأيته بذلك المتن، ومنه
شبه المتن من الإنسان: مُكْتَنِفَا الصُّلْبِ من عَصَبٍ ولحم^(١)، وفي خلق الإنسان
قال ثابت: بأنَّ المتنين يكتنفان الصلب من الكاهل إلى الورك، والسلائل، لحم
المتن والواحدة سلية^(٢). ويظهر في هذه الألفاظ وضوح المعنى اللغوي من دون
إلتباس، وفضلاً عن ذلك فقد تميزت بثنائية الخلق في ظهر الإنسان.

وفي الاستعمال فشهد لفظ العاتق، قد ورد في كلام له عليه السلام للخوارج:

«سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبَرَاءَةِ وَالسُّقْمِ».

وهذا الكلام ذو مضمون اجتماعي صيغ في أسلوب لغوي يرمي إلى صناعة
أفعال ومواقف اجتماعية بالكلمات، والتأثير في المخاطب بحمله على فعل أو تركه،
أو تقرير حكم من الأحكام، ودلالة وضع السيف على العاتق في الأصل هي
الاستعداد والمواظبة على دوام القتال^(٣)، لكنه عليه السلام هنا قصد التوبيخ منها؛ إذ تحوّل
المعنى في بيئة النص بسبب اختلاف ظروف الخطاب إلى كناية عن ترك الحرب،
وذلك لتقديمهم السيوف لضرب رقاب الناس ولسفك دمائهم، ونذكر للمعنى
الأول ما يماثله من حديث النبي إذ قال: «استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فإن لم
يفعلوا فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأيدوا خضراءهم»^(٤).

وجاء استعمال جزء المنكب فيما يخص الإنسان بأربعة نصوص^(٥)، ومنها

قوله عليه السلام عن حادثة الشجرة:

(١) مقاييس اللغة: ٥/ ٢٩٤.

(٢) ينظر: المخصص: ١٧/٢.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٤٩٦.

(٤) السنن الكبرى: حديث رقم (١٧٢٥٧): ٨/ ١٩٢، وينظر: مسند أحمد بن حنبل حديث

رقم (١٠٣٣٧): ٢/ ٤٤٨، وغريب الحديث للخطابي: ١/ ٣٦١.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٣٠٧، خ ١٣٢، ٢/ ٢٧٦، ك ٦١، ٢/ ١١٥، خ ٢٣٨، ٢/ ١٠٠، خ ٢٣٨.

«وَأَلْقَتْ بُغْضِنَهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبِعَظِ أَعْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ...».

وقد وقعت هذه الحادثة عند سؤال الملاء من قريش الرسول أن يدعو شجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديه كي يؤمنوا، فدلالة المنكب المنسوب إلى الإمام هي حقيقية مكانية من جسمه الشريف لا غير، لأنَّ المنكب هو مركز لميلان جذع الإنسان وتغيير صورته العرضية، وربما أُريد منها الدلالة العاطفية؛ لبيان قربه من الرسول، وإثبات حضوره ويقال إنَّ ذلك كان شاهد إمامته، كما كان شاهداً لنبوة نبياً كما جاء في أحاديث نبوية كثيرة^(١)، وتظهر دلالة أخرى لمنكب الإنسان في حركته بقول أمير المؤمنين عليه السلام عن بيت الله الحرام:

«فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ... حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا يُهْلَلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ».

والهزُّ في الأصل الحركة واهتزَّ إذا تحرك^(٢)، فاستعمله عليه السلام على معنى الغاية لقوله تهوى؛ لأنَّ من عادة المستبشر الراضي أن يهزَّ منكبه، والمعنى تسرع إليه قلوب الحاج من المفاوز والمهاوي إلى أن يحركوا المناكب مطيعين منقادين^(٣)، يحركهم الشوق نحوه إلى أن يسافروا إليه فكنتى عن السفر بهز المناكب، و(ذلاً) حال إمَّا منهم وإمَّا من المناكب^(٤)، والسياق بعد ذلك يبيِّن حال الطواف، وبهذه الدلالة للمنكب لا يخرج الاستعمال عن باب الإمالة في الأصل وإن كانت هذه الإمالة معنوية، لكنَّها جاءت في تسلسل زمني لأحداث متعلِّقة بتهيئة الإنسان لقيمة دينية عليا وهي حج

(١) مسند أحمد بن حنبل حديث رقم (١٦٠٨): ١ / ١٨٥.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٥ / ٤٢٣.

(٣) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١١ / ٣٤٢.

(٤) ينظر: نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ١٣ / ١٦٠.

الفصل الثاني: المبحث السادس الألفاظ الدالة على الظهر وما يلحق به ٢٢٥
بيت الله.

ويظهر في النصين استعمال المنكب لدلالة عاطفية عند الإمام؛ لتضمّنه معنى الإمامة وتوظيفه لحركات معينة، وقد نالت هذه الحركات نصيباً من التطور الدلالي، فلحركة المنكب تعبيرات نستعملها نحن في حياتنا اليومية أيضاً لها دلالات تختلف باختلاف المستوى التداولي، فهز المنكب مثلاً قد يعني الرفض في نسج كلامي معين، والفرح فالراقص يهزّ منكمبه.

ووظّف الإمام لفظ المتن لأربع مرات في نهج البلاغة^(١)، غير أنّه قصد الإنسان مرة واحدة فيها، وهي قوله ﷺ في وصف مظاهر الصوم عند عباد الله المؤمنين:
«التصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاعراً، وحقوق البطن بالمتون من الصيام تذللاً».

ولحوق البطن بالمتون من الصيام تذللاً، تعبير مجازي عن جوع في الصوم^(٢)، ويقتضي زوال الأشر والبطر ويوجب مذلة النفس وقمعها عن الانهك في الشهوات^(٣)، ولعلّ هذا التوجيه جاء لتحقيق غرض المتكلم من استعمال المتن بدلاً عن الظهر أو غيره، وهو اكتنافه باللحم الذي يراد إذابته بالصوم مع امتداده وبروزه على وجه الظهر.

ويلحظ أنّ لألفاظ هذه المجموعة ارتباطاً واضحاً بالوحدة الدلالية الجامعة (الظهر)، وقد تجلّى ذلك في التقديم اللغوي، فمثلت بعض الأجزاء للظهر دفة

(١) من ذلك قوله ﷺ في خلق الأرض: «فَأَتَمَدَّ جِبَاهَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مَتُونِ أَفْطَارِهَا، وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَابَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً، وَأَزْرَهَا فِيهَا أَوْتَاداً».
(نهج البلاغة: ٢/ ١٥، خ ٢٠٤).

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١١/ ٣٦٤.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ١٣/ ١٦٥.

٢٢٦..... أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
القيادة للمشاعر والعواطف كالمُنكب، وارتبطت طاعة الإنسان في استعمال الإمام
بمتمنه، وارتبطت قوته بعاقته؛ إذ جاء في سياق القتال والحرب.

الفصل الثالث الألفاظ الدالة على الأطراف وما يلحق به

المبحث الأول

الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها

المبحث الثاني

الألفاظ الدالة على الرّجل وما يلحق بها

المبحث الأول

الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها

تعدُّ الأطراف من أهم أدوات جسم الإنسان، إلا أنَّها لا يمكن تحديدها بعضو معين من أعضائه أو توابع ذلك العضو؛ لذا من الأفضل دراستها في هذا الموضوع من البحث بمعزل عن الأعضاء وأجزائها، ولا يخفى أنَّ النظر إلى ألفاظ أجزاء الجسم في مواقع تراكيبها وسياقها، يجلي لنا الكثير من المعاني وضلالها؛ إذ إنَّ ما يحدده السياق ويتطلبه لا يصلح غيره في موضعه، وهي بعد ذلك محاولة تفسير كل فكرة بتتبع واقتفاء أثر نتائجها العملية^(١)، فالمتكلمون لا يتقيدون بحرفية اللغة في كثير من الأحيان وهو ما يجعل المخاطب في حاجة إلى عوامل عديدة أخرى تساعده على فهم حديث المتكلم منها السياق الثقافي والاجتماعي وجملة الاستنتاجات التي يهتدي إليها منطقياً أو عرفياً عن طريق القرائن، ومن هنا ينبغي التفريق بين المعنى اللغوي والمعنى المقصود وهو المفهوم عن طريق اللغة وحدها وبين المعنى المقصود الذي يفهم من القولة المستخدمة في ظل عناصر المساق^(٢)، والذي يعتبر بمثابة حل لمعالجة تعددية المعاني؛ لذلك ذُكر بأنَّ دلالة الكلمة تُعطى من السياق وتكون متعلقة به^(٣)، وبناءً على ذلك سنتتبع هنا لفظ الأطراف بصورة عامة، ومن ثمَّ

(١) ينظر: البرجمانية، وليام جيمس: ٦٤.

(٢) ينظر: المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس: ١٤١.

(٣) ينظر: المعنى في علم المصطلحات، ترجمة: ريتا خاطر: ١١٠-١١٢.

٢٣٠ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

التخصيص بذكر أَلْفَاظِهَا، فالأطراف جاء استعمالها للإنسان في نهج البلاغة في خمسة عشر نصاً^(١)، ومنها قوله ﷺ يصف المتقين:

«فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِحَبَاهِهِمْ وَأَكْفَهُمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ»^(٢).

وقوله ﷺ في خطبة قبل مقتله:

«... جُثَّةٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَ حَرَكَ، وَصَامِتَةٌ بَعْدَ نُطْقٍ لِيَعْظُكُمْ هُدُوءِي، وَخُفُوتِ إِطْرَاقِي، وَسُكُونِ أَطْرَاقِي فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ»^(٣).

و«منتهى كل شيء طرفه، والأطراف اسم الأصابع لا يُفرد إلا بإضافة إلى الأَصْبَعِ، يقال: أشار بطرفِ إصْبَعِهِ، وَالطَّرْفُ: الطائفة من الشيء... وأطراف الأرض: نواحيها، والواحدُ: طَرْفٌ»^(٤)، إذن فالطرف معنى عائم مالم يجدد، ويمثل أحد أدوات الإنسان إذا خُصِّصَ به، وبملاحظة النصوص الواردة فيها كلمة أطراف لم تُذكر إلا مضافة إلى ضمير أو اسم^(٥)، وأمام هذا لاسبيل إلى معرفة الدلالة إلا من نافذة إضافتها ووجودها في سياقها، والنص الأول يبين دور قرينة الإضافة في تحديد المعنى، فقوله ﷺ:

«فَهُمْ...مُفْتَرِشُونَ لِحَبَاهِهِمْ وَأَكْفَهُمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ».

هو وصف للسجود وبتحقق الإضافة في التركيب لم يبقَ لقارئ النص خيار

(١) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ١/ ٣٤٩، خ ١٥٢، ٢/ ٦٩، خ ٢٣٢، ٢/ ٧٠، خ ٢٣٢... .

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٤٤٥، خ ١٨٦.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٣٤١، ٤٩.

(٤) العين: ٨/ ٤١٤، وينظر الجيم، أبو عمرو الشيباني(ت ٢٠٦هـ): ٢/ ٢١١، ٢١٧.

(٥) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ١/ ٢٥٠، خ ١٠٨، ٢/ ١٠٣، خ ٢٣٨... .

الفصل الثالث: المبحث الأول الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها ٢٣١
سوى دلالة اللفظ على أصابع الأقدام، أمّا النص الآخر، فبيّن دور قرائن السياق
في تحديد الدلالة فقوله عليه السلام:

«لِيَعْظُمَ هُدُؤِي، وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي، وَسُكُونُ أَطْرَافِي».

يذكر الإمام الأطراف لمناسبة سياق الكلام؛ لأنّها من أكثر الأعضاء حركة
ودلالة على التحديد، والمراد في النص ذهاب حركة ما انتهى من جذع الإنسان،
وهي اليدان والرأس والرجلان^(١)، أو اليدان والرجلان فقط^(٢)، ويلاحظ أنّ
الأطراف نُسبت إلى الإنسان بكامله من دون تحديد؛ لأنّ معنى هذه الكلمة يأتي
بحسب ما تضاف إليه، وقد أُسندت إلى الضمير الدال على المتكلم، ومن هذين
الشاهدين والشواهد الأخر، نتنبه على المعنى العائم للفظ إذ لا تحدده القرائن
وأنماط السياق، ومن المناسب هنا أن نبيّن أنّ هذه الكلمة عنواناً لدلالة مرنة قابلة
للزيادة استطاع الإمام بحنكته اللغوية ليّ عنقها فجعلها طيّعة له.

وكانت اليدان من بين أهم تلك الأطراف؛ إذ تتمتع بحركات وأوضاع كثيرة
جداً إذا ما قورنت بالجوارح الأخرى، وقد يكون بعضها إرادياً وبعضها الآخر لا
إرادياً؛ بسبب ارتباطها الوثيق بالدماغ، فقد أظهرت حركات اليدين عبر التاريخ
أهمية كشف ما يجول في الدماغ، وهذا يعني أنّ الصلة بين اللغة والحياة تمثل إحدى
غايات الإنسان، وقد ظهر ذلك عند المحدثين في الصلة بين الدراسة اللسانية
وعلوم الحياة لفهم أعمق للظاهرة اللغوية على مستوى الفرد أو الجماعة؛ لأنّ هذه
الحركات والأوضاع تتخذ قيمة رمزية للتعبير عن معنى أو مفهوم في مستوى
معين، يكون له ما يناسبه من الرموز اللغوية فتقرأ هذه الحركات الجسدية بحسب

(١) ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٣٤٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة الميسر: ١٢٠، ١٥٩.

٢٣٢ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

العوامل البيئية والثقافية والاجتماعية...^(١)، وغالباً ما يحدث ذلك بمقارنة بين الحركة والعلامة اللغوية، فالركوع والسجود والطواف والتبرُّغ بالتراب ونحوها تعابير بالإشارة، وأحياناً تكون الحركات والإشارات في أثناء الكلام ساندة للألفاظ في أداء معانيها، ويختلف الناس في التمثيل لذلك^(٢)، وهذا التلازم بينها قد ظهر بوصفه سمة مميزة في الحقل الخاص بألفاظ اليد وأجزائها في نهج البلاغة، وسيأتي تفصيل ذلك، ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام قد عبّر عن يد الإنسان بلفظ الجناح على سبيل الاستعارة^(٣)، وقد قابل الخليل بين جناحي الإنسان وجناحي الطائر بقوله: «وجناحا الطائر يدها، ويدها الإنسان جناحاه»^(٤)، وبمثل هذا المجرى تجري الشواهد التي حُصّص بها الإنسان^(٥)، وعددها سبعة^(٦)، أمّا استعمالها لغير الإنسان، فكان من باب إضافتها لغير ما يخصه في أغلب النصوص.

وبعد قراءة فاحصة لتتبع شواهد لفظ اليد وما يلحق بها من ألفاظ في نهج البلاغة، نرى من الأفضل دراستها على مجموعتين، الأولى: وتتضمن ألفاظ (الباع، العضد، الذراع، الساعد، الزند، المرفق)، لكن شواهد كل من الباع، والزند، والمرفق، كانت قليلة^(٧)، ولم تتوافق مع منهج البحث؛ كونها قد قصد بها الإمام غير

(١) ينظر: أسرار لغة الجسد: ٩٩-١٠٣.

(٢) ينظر: اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، حسن ظاظا: ٢٠-٢١.

(٣) يمكن أن يكون الإمام قد اقتفى الأسلوب القرآني في هذه الاستعارة التي وردت فيه مراراً، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥)، وقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤).

(٤) العين: ٨٤/٣، وينظر: المخصص: ٤/٢، ولسان العرب: ٤٢٨/٢.

(٥) ينظر: بلاغة العرب نشأتها - تطورها - علومها، علي سلوم: ٢٢٠.

(٦) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ١٦٧/٢، ك٤٦٦، ١٧٣/٢، ك٢٨٨، ٣٢٠/٢، ٦١، ٢٣٠/٢،

ك٤٦٦...

(٧) استعمل المرفق في نهج البلاغة مرة واحدة (ينظر: ٨٨/٢، خ٢٣٧)، والباع مرة واحدة أيضاً

الفصل الثالث: المبحث الأول الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها ٢٣٣
 الإنسان، أو أن استعمالها لم يدل على انتمائها إلى أجزاء جسمه، أمّا المجموعة الثانية
 فهي: (الكف، الأصابع، الأنامل، البنان)، وقد نالت هذه ألفاظ اليد نصيباً وافراً
 من ألفاظ جسم الإنسان في نهج البلاغة، فمثّلت أيضاً دلاليّاً وثرأء لغويّاً، يتضح
 ذلك بجلاء في هذه الألفاظ التي استعملها الإمام (عليه السلام) في النصوص.

المجموعة الأولى:

تتضمن اليد وملحقاتها الآتية: (العُضد، الذراع، الساعد)، ومن شواهدها:
 - اليد: وكان أكثر ما خصّ الإنسان من هذه الألفاظ اليد؛ إذ بلغ ذلك مائة
 وثلاثة شواهد^(١)، ومنها قول الإمام (عليه السلام) في إحدى حكمه:

(ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٢٤٤، خ ١٠٧)، واستعمل الزند مرتين (ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٩٦،
 خ ٣٥، ١/ ٢١٣، خ ٩٣).
 (١) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٢٤، خ ١، ١/ ٣٠، خ ٣، ١/ ٣٧٦، خ ١٦١، ١/ ٢٣٩، خ ١٥٠، ١/ ٢٩٦،
 خ ١٢٧، ١/ ٤٠٩، خ ١٧٣، ١/ ٤٠٥، خ ١٧١، ١/ ٢١٦، خ ٩٦، ١/ ٢٥٧، خ ٩٢، ١/ ٢٥٠،
 خ ١٠٨، ١/ ٣٧٦، خ ١٦١، ١/ ٤٠٠، خ ١٦٨، ١/ ٣١٦، خ ١٣٧، ١/ ٣٣٢، خ ١٤٦، ١/ ٢٤٩،
 خ ١٠٨، ١/ ٢٨٠، خ ١٢٠، ١/ ٣٧٠، خ ١٥٩، ١/ ٢١٦، خ ٩٦، ١/ ١٦٦، خ ٢٣، ١/ ١٩١،
 خ ٩٠، ١/ ٢٠٥، خ ٩٠، ١/ ٢١٧، خ ٩٦، ١/ ٢٤٠، خ ١٠٥، ١/ ٢٥٢، خ ١٠٨، ١/ ٢٨٧،
 خ ١٢٤، ١/ ٣٠٣، خ ١٣٠، ١/ ٣٩٨، خ ١٦٧، ١/ ٤٢٢، خ ١٧٨، ١/ ٢٠٧، خ ٩٢، ١/ ٢٣٤،
 خ ١٠٤، ١/ ١٢٣٤، خ ١٠٤، ٢/ ٣٠، خ ٢١٢، ٢/ ٣٣، ك ٥٥، ٢/ ٤٤، خ ٢١٧، ٢/ ٥٥، خ ٢٢٤،
 ٢/ ٦٠، خ ٢٢٧، ١/ ٢٢٢، خ ٢٣، ٢/ ٧١، خ ٢٣٢، ١/ ٧٤، خ ٢٦، ٢/ ٧٦، خ ٢٣٣، ٢/ ٩٧،
 خ ٢٣٨، ٢/ ١٢، خ ٢٠٣، ٢/ ٢٢٣، ك ٤٥، ٢/ ٢٣٨، ك ٥٣، ٢/ ٢٤١، ك ٥٣، ٢/ ٢٤٢،
 ك ٥٣، ٢/ ٢٤٧، ك ٥٣، ٢/ ٢٥١، ك ٥٣، ٢/ ٢٥٢، ك ٥٣، ٢/ ٢٧٤، ك ٦٠، ٢/ ٣١٦، ح ٤١،
 ٢/ ٣٣٣، ح ١١٦، ٢/ ١١٤، خ ٢٣٨، ٢/ ١٩٤، ك ٣١، ١/ ٢٧٧، ك ٦٢، ٢/ ١١٥، خ ٢٣٨،
 ٢/ ٢٦٨، ك ٥٥، ٢/ ١٩٨، ك ٣١، ٢/ ٢٠٥، ك ٣٣، ٢/ ٢١٤، ك ٤٠، ٢/ ٣٣٦، ح ١٢٧،
 ٢/ ٤٠٠، ح ٤٢٤، ٢/ ٢١٩، ك ٤٤، ٢/ ٣١٤، ح ٣١، ٢/ ٣١٥، ح ٣٧، ٢/ ١١٤، خ ٢٣٨،
 ٢/ ١٠٥، خ ٢٣٨، ٢/ ١٠٦، خ ٢٣٨، ٢/ ١٠٨، خ ٢٣٨، ٢/ ١١٠، خ ٢٣٨، ٢/ ١١١، خ
 ٢٣٨، ٢/ ١٥٢، ك ١٧، ٢/ ١٧١، ك ٢٨، ٢/ ١٧٣، ك ٢٨، ٢/ ٢٤٢، ك ٥٣، ٢/ ٢٩٩، ك ٧٤،

«مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ»^(١).

وقوله عليه السلام يُذَكِّرُ النَّاسَ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ:

«أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَتَلَمَّتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ...»^(٢).

- العُضْدُ وَالذَّرَاعُ: ورد كل منهما في نهج البلاغة مرة واحدة في نصّ يصف

الإمام عليه السلام علاقته برسول الله:

«وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضَّوءِ مِنَ الضَّوءِ»^(٣)، وَالذَّرَاعُ مِنَ الْعُضْدِ»^(٤).

- السَّاعِدُ: ذُكِرَ هَذَا اللَّفْظُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٥)، وَمِنْهَا قَوْلُ الْإِمَامِ عليه السلام فِي اسْتِفْهَارِ

النَّاسِ إِلَى الشَّامِ:

«فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ»^(٦).

٣١١/٢ ح، ٢٠، ٣١٩/٢ ح، ٦٠، ٣٥٩/٢ ح، ٢٣٣، ٣٧٨/٢ ح، ٣١٦ ح، ١٩٤/٢ ك، ٣١٤،
٢٠٢/٢ ك، ٣١١/٢ ك، ٢٦٢/٢ ك، ٥٣، ٢٦٣/٢ ك، ٥٣، ٢١٧/٢ ك، ٤٢، ١١٤/٢ خ، ٢٣٨،
١٣٣/٢ ك، ٥٥، ١٩٠/٢ ك، ١٣، ١٩٨/٢ ك، ٣١، ٢١٤/٢ ك، ٤٠، ٣٩٢/٢ ح، ٣٨١، ٣٣٦/٢ ح، ١٢٧،
١٨٩/٢ ك، ٣١، ٢٤٠/٢ ك، ٥٣، ٣٩٢/٢ ح، ٣٨٠، ٢٢٣/٢ ك، ٤٥، ٣٩٢/٢ ح، ٣٨٠، ٣٨٣/٢ ح،
٣٤٠، ٣٩٢/٢ ح، ٣٨١، ٣٠٤/٢ ح، ٤٣٤، ٤١١/٢ ح، ٤٧٤.

(١) المصدر نفسه: ٣٥٧/٢ ح، ٢٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ١١٠/٢ خ، ٢٣٨.

(٣) في بعض النسخ (كَالصَّنُو مِنْ الصَّنُو) منها نسخة محمد عبدة، وتحقيق: فارس الحسون، وتحقيق: هاشم الميلاني، وهي آخر نسخة حققت على أقدم النسخ سنة ٢٠١٢م حسب علم الباحث.

(٤) نهج البلاغة: ٢/٢٢٥، ك، ٤٥.

(٥) المصدر نفسه: ١/٢٨٩، خ، ١٢٤.

(٦) المصدر نفسه: ١/٩٣، خ، ٣٤.

وقوله ﷺ في الحثّ على الموعظة:

«أَيُّهَا الْيَفْنَ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمْتَ أَطْوَأُ النَّارِ
بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ»^(١).

أمّا معنى هذه الألفاظ لغّةً، فإنَّ اليد منها قد اختلفت في أصلها؛ فيقول ابن فارس: «الياء والبدال: أصل بناء اليد للإنسان وغيره... ويجمع على الأيادي ويديّ... واليد: القوّة»^(٢)، أمّا الخليل والجوهري والزنجشري وابن منظور وغيرهم^(٣)، فإنَّ أصل بناء اليد عندهم الجذر (ي د ي)، إذ جاء في الصحاح أنّ «أصلها يدي على فعل ساكنة العين لأن جمعها أيدي ويدي وهذا جمع فعل... وقد جمعت في الشعر على أياد... وهو جمع الجمع»^(٤)، وجاء في لسان العرب أنّ «اليد من أطراف الأصابع إلى الكف، وهي أنثى محذوفة اللام وزنها (فعل) يديّ، فحذفت الياء تخفيفاً فاعتقت حركة اللام على الدال، والنسب إليه على مذهب سيبويه يدويّ، والأخفش يخالفه فيقول: يديّ كنديّ، والجمع أيدي على ما يغلب في جمع فعل في أدنى العدّد»^(٥)، وهو لغة لبعض العرب يحذفون الياء من الأصل كما يحذفونها مع الإضافة، فيكون الذاهب منها الياء؛ لأن تصغيرها يديّة^(٦)، وقد ذكر في اللسان أيضا ما يبرر رأي ابن فارس على أنّ «اليد اسم على حرفين، وما كان من الأسامي على حرفين قد حذف منه حرف، فلا يُردّ إلا في التصغير أو في التشية

(١) المصدر نفسه: ١/ ٤٤٠، خ ١٨٤.

(٢) مقاييس اللغة: ٦/ ١٥٢.

(٣) ينظر: العين: ٨/ ٩٧، والصحاح: ٦/ ٢٥٣٩، ولسان العرب: ١٥/ ٤١٩.

(٤) الصحاح: ٦/ ٢٥٣٩.

(٥) لسان العرب: ١٥/ ٤١٩.

(٦) ينظر: الصحاح: ٦/ ٢٥٤٠.

٢٣٦ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
أَوِ الْجَمْعِ وَرَبْمَا لَمْ يُرَدِّ فِي التَّنْبِيَةِ وَيُشْنَى عَلَى لَفْظِ الْوَاحِدِ»^(١)، وَخِلَاصَةُ الْقَوْلِ أَنَّ
الْيَدَّ مِنْ أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ إِلَى الْكَفِّ، وَهِيَ أُشْنَى مَحْدُوفَةٌ اللَّامِ، أَمَّا الْعَضُدُ الْمَتَّصِلُ
بِسَاعِدِهَا، فَهُوَ «مَا بَيْنَ الْمِرْفَقِ إِلَى الْكَتِفِ، يُقَالُ عَضُدًا وَعَضُدًا، وَهُمَا عَضُدَانِ،
وَالْجَمْعُ أَعْضَادٌ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ»^(٢)، وَيُرْجَعُ إِلَى الْجَنْدَرِ (ع ض د) وَلَهُ «أَصْلٌ صَحِيحٌ
يَدُلُّ عَلَى عَضْوٍ مِنَ الْأَعْضَاءِ؛ يُسْتَعَارُ فِي مَوْضِعِ الْقُوَّةِ وَالْمَعِينِ»^(٣)، وَأَضَافَ ثَابِتٌ
أَنَّ فِي الْعَضُدِ الْقَصْبَةَ، وَقَصْبَةُ الْعَضُدِ عَظْمُهَا، وَالْجَمْعُ قَصَبٌ، وَفِي الْعَضُدِ الْعَضَلَةُ،
وَهِى اللَّحْمَةُ الْغَلِيظَةُ فِيهَا، وَمَلْتَقَى الْعَضُدِ وَالذَّرَاعِ وَمَا احْتَزَمَ بِهِ الْمِرْفَقُ^(٤)، وَهَذَا
الْخَلْقُ وَالْوَضِيفَةُ قَدْ أَضْفَى دَلَالَةً إِلَى لَفْظِ الذَّرَاعِ وَأَصْلُهُ اللَّغْوِيُّ، فَالْجَنْدَرُ (ذ ر ع)
لَهُ «أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى امْتِدَادٍ وَتَحْرُكٍ إِلَى قُدَمٍ، ثُمَّ تَرَجَعَ الْفُرُوعُ إِلَى هَذَا الْأَصْلِ،
فَالذَّرَاعُ ذِرَاعُ الْإِنْسَانِ، مَعْرُوفَةٌ، وَالذَّرْعُ: مَصْدَرُ ذَرَعْتُ»^(٥)، قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:
«أَلَا تَرَبُّعُ أَيْهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرَعِكَ»^(٦) وَجَاءَ فِي خَلْقِ
الْإِنْسَانِ أَنَّ فِي كُلِّ ذِرَاعٍ زَنْدَيْنِ، وَالْوَاحِدُ زَنْدٌ، وَهُمَا اللَّذَانِ اجْتَمَعَا فَصَارَا ذِرَاعًا،
وَمَعْظَمُ الذَّرَاعِ: الْعَظْمَةُ، وَالْحُضْمَةُ^(٧)، وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَ بَعْضِ اللَّغَوِيِّينَ أَنَّ الذَّرَاعَ
يُسَمَّى السَّاعِدَ، قَالَ الْخَلِيلُ: «عَظْمُ الذَّرَاعِ: مَلْتَقَى الزَنْدَيْنِ مِنْ لَدُنِ الْمِرْفَقِ إِلَى
الرَّسْغِ وَجَمْعُهُ، سَوَاعِدٌ»^(٨)، وَيُرَى ابْنَ فَارِسٍ أَنَّ السَّاعِدَ لَفْظٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْجَنْدَرِ (س

(١) لسان العرب: ٤١٩/١٥.

(٢) مقاييس اللغة: ٣٤٨/٤، وينظر: ١٦٣/٢.

(٣) مقاييس اللغة: ٣٤٨/٤.

(٤) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ٢١٧-٢١٩.

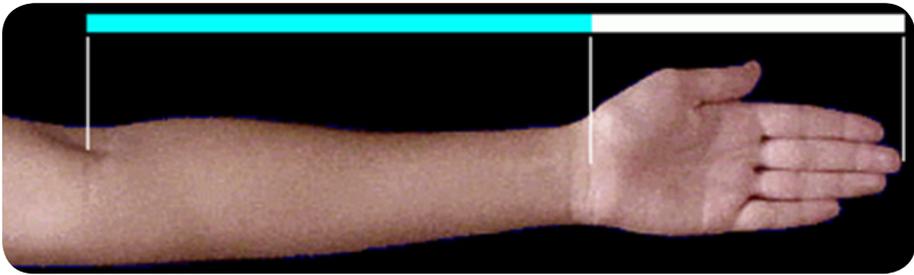
(٥) مقاييس اللغة: ٣٥٠/٢.

(٦) نهج البلاغة: ١٧٢/٢، ك ٢٨.

(٧) ينظر: كتاب خلق الإنسان، ثابت: ٢١٩-٢٢١.

(٨) العين: ٣٢٢/١.

الفصل الثالث: المبحث الأول الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها ٢٣٧
 ع د) وله «أصلٌ يدل على خير وسرور، خلاف النَّحْس، فالسَّعْد: اليُمْن في الأمر...
 هذا هو الأصل، ثم قالوا لساعد الإنسان ساعد، لأنَّه يتقوَّى به على أمره، ولهذا
 يقال ساعده على أمره، إذا عاونَه، كأنه ضمَّ ساعده إلى ساعده، وقال بعضهم:
 المساعدة المعاونة في كل شيء»^(١)، وربَّما جاءت التسمية على معنى المساعدة في
 الأصل؛ إذ إنَّ هذا الساعد مكون من عظمي الزند اللذين يقوي أحدهما الآخر،
 وفي خلق الإنسان قيل: إنَّ الذراع والساعد واحد إلا أن الذراع تؤنَّث والساعد
 تذكر، يقال هذه ذراع طويلةٌ، وهذا ساعد طويل^(٢)، ويبدو من ذلك أنَّ الساعد
 مأخوذ فيه معنى الكف الذي يدخل في مسمى الذراع، لكن ساعد اليد يقابل ساق
 الرجل في الخلق وكلاهما مأخوذ به معنى القوة والشدة، وبتقابل الأجزاء لا يمكن
 أن يدخل مع الساعد الكف كعدم دخول القدم في معنى الساق، فالساعد كما قال
 الخليل نهايته من الأسفل الرسغ ومن الأعلى المرفق الذي يتصل به مع العضد كما
 يتضح من (الشكل ٩)^(٣)، لكنه لا يرادف الذراع فالمنطقة المحددة الكاملة تمثل
 الذراع، والمنطقة المظللة منها تمثل الساعد فقط.



(الشكل ٩)، يوضح الفرق بين الذراع والساعد

وأما في نهج البلاغة فقد فاقت اليد الكفَّ في نهج البلاغة بكثرة استعمالها،

(١) مقاييس اللغة: ٧٥ / ٣.

(٢) ينظر: كتاب خلق الإنسان، ثابت: ٢١٩ - ٢٢١، وينظر: كتاب خلق الإنسان، الأصمعي: ٢٠٦.

(٣) الشبكة العنكبوتية: www.google.iq.

٢٣٨ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ
وتنماز بمجازاتها مقارنةً بأطراف الإنسان الأخرى، فقد تكرر استعمالها في نهج
البلاغة مائة وست عشرة مرة، وخصَّ الإنسان منها بمائة وثلاثة شواهد^(١)، ومنها
قوله عليه السلام:

«مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ».

وتمثل لفظة اليد في هذه الحكمة الأساس لتعبير عُرفت دلالته قديماً، وهي
النعمة، ويذهب عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) إلى أنَّ هذا نقل للمعنى وهو
مجاز وليس بتشبيه أو استعارة؛ لأنَّك لا تثبت للنعمة بإجراء اسم اليد عليها
شيئاً من صفات الجارحة المعلومة؛ إذ لا مجانسة بين الجارحة والنعمة، وإنَّ هذا
المعنى لا يصح لليد إلا في إشارة إلى المنعم أو التلويح به^(٢)، ويفسر الرضي (رحمه
الله) اليد بأنها النعمة فيقول «واليدان هاهنا عبارتان عن النعمتين، ففرَّقَ عليه السلام بين
نعمة العبد ونعمة الرب، فجعل تلك قصيرة وهذه طويلة، لأنَّ نعم الله سبحانه
أبداً تضعف على نعم المخلوقين أضعافاً كثيرة، إذ كانت نعمه تعالى أصل النعم
كلها، فكل نعمة إليها ترجع ومنها تنزع»^(٣)، فالإمام في هذه الحكمة يضع
قرينة فاصلة دالة على المنعم، تفريقاً لنعمة العبد عن نعمة الرب وهي الطول
والقصر؛ فاقترانها بما يلائم القريب وهو الإعطاء والقصر؛ لظهورهما في الجارحة
المخصوصة^(٤)، ويُشكِّل محمد جواد مغنية على فهم الشريف الرضي هذا ومن
جاء بعده من الشارحين، بأنَّ المراد باليد القصيرة إعطاؤه الصدقة للمعوزين،

(١) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ٣٧٦/١، خ ١٦١، ٣٧٥/١، خ ١٦١، ٩٠/١، خ ٣٣،
٢٧٧/٢، ك ٦٢، ٢٨١/١، خ ١٢٠، ٢٧٧/٢، ك ٦٢، ١١٥/٢، خ ٢٣٨، ٢١٩/٢، ح ٣٧،
٢١٧/١، خ ٩٦، ١١٠/٢، خ ٢٣٨....

(٢) ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ): ٣٥١.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل: ٣٥٧/٢.

(٤) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/١٦٤.

الفصل الثالث: المبحث الأول الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها ٢٣٩
 فيذكر بأن المراد هنا عمل الإنسان وجهاده، والتضحية بالنفس والنفيس لنصرة
 الحق والعدل، وإزهاق الجور والباطل، ويعلّل بأن الله قد أوضح وبين في الذكر
 الحكيم نوع الأعمال التي يثيب العباد عليها بعباء طويل غير مجذوذ أي غير
 مقطوع^(١)، وهذا الرأي يمكن أن يكون من باب التوسع في المعنى؛ لأنّ ما ذكره
 الرضي أو غيره يقع في حدوده ولا يتعارض معه، وهو أولى بالاتباع لحذف الشيء
 المعطى في نص الإمام، والحذف يورث الأطلاق في المعنى عموماً.
 ومن استعمالات الإمام لليد ما اختص بحركاتها، ومن ذلك قوله عليه السلام في
 النص الثاني:

«أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ».

فقد عبر عليه السلام عن الرفض بإحدى حركات اليد وهي النفض، والتعبير بلفظ
 النّفْض من دون الترك للإشارة إلى طرحهم له وإعراضهم عنه^(٢)، وهو أكد وأبلغ
 من القول: ألقيتم حبل الطاعة عن أيديكم؛ لأنّ كلامه متضمّن أنّكم خليتم أيديكم
 من حبل الطاعة ثم نفضتموها عنه^(٣)، فمن يخلي الشيء من يده ثم ينفض يده منه
 يكون أشدّ تخلية له ممن لا ينفضها بل يقتصر على تخليته فقط؛ لأنّ نفضها إشعار
 بشدة الإطراح والإعراض^(٤)، فحركة نفض اليد تطلق الشحنة الكاملة في التعبير
 مصاحباً للواقعة الحسية التي يعبر عنها مبرزاً لها في صورتها الحسية المتحركة^(٥)؛ لذا
 شبّه الإمام الطاعة بالحبل وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشبّه أنّ الحبل
 آلة الوصلة بين الشئيين والطاعة سبب الاتّصال بقرب الخالق، لذا أمر الله سبحانه

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣٥٦/٤.

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٧/١٢.

(٣) ينظر: منهاج البراعة، الراوندي: ٢/٢٦٤.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/١٨١.

(٥) ينظر: لغة الجسد في القرآن الكريم: ٨٢.

بالاعتصام به في قوله:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ (١).

ومن مكمّلات الصورة الحسية في النص استعارة حبل الله للإسلام (٢)، والتعبير

في نص الإمام مستقى من قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ (٣).

وبالربط بينهما يمكن القول أن الإمام يعبر عن الإنسان بكليته بلفظ اليد في

النص وهو من المجاز؛ فالمراد أنكم رفضتم أنتم فعبر باليد عنهم بأجمعهم.

أمّا عن تحديد اليد، فإن الإمام ذكر اليد في أغلب النصوص مطلقة بمجموع

أجزائها، ولم يحدد ذلك بقريظة أو سياق، وهذا المعنى هو المتبادر إلى الذهن، لكنه عليه السلام

قد حدد في نصوص آخر دلالتها بكفّ اليد وأصابعه، ومنها قوله:

«وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بَنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عليهما السلام عَلَىٰ فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِغُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ...» (٤).

فعبارة بأيديهما العيصي لاشك في أن اليد هنا تعني كف اليد وأصابعه، وفي

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٢/٧-٨.

(٣) الفتح: ١٠.

(٤) نهج البلاغة: ٩٧/٢، خ ٢٣٨.

الفصل الثالث: المبحث الأول الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها ٢٤١
 بعض نصوص نهج البلاغة ذكرت قرائن أُخر تدل على أنَّ المقصود باليد الكف
 وأصابعها، ومنها: «قبض اليد وبسطها، والمسك باليد واللمس بها، وعض اليد،
 وقطع اليد... ونفض اليد»، وقد ذكر مثاله، وفي بعض الأحيان يعبر الإمام عن
 الإنسان بيده وهو من باب ذكر الجزء وإرادة الكل لعلاقة جامعة بينها أو قرينة^(١)،
 وهو أسلوب استعمله الإمام كثيراً، كاستعماله اليد القصيرة في المثال السابق ذكره،
 فالمراد عطاء الإنسان نفسه لكن الإمام ذكر اليد لعلاقة سببية.

أمّا ذكر العضد والذراع في أحد نصوص نهج البلاغة التي تحدّث فيها الإمام
 عن نفسه بقوله:

«وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضَّوءِ مِنَ الضَّوءِ، وَالذَّرَاعُ مِنَ الْعَضُدِ»^(٢).

فيلاحظ فيه تشبيه الجمع وهو «ما تعدد فيه المشبه به»^(٣)؛ جاء للتعريف بمنزلة
 الإمام علي^{عليه السلام} من نبي الله محمد فتشبيهه الإمام نفسه من الرسول بالذراع التي
 أصلها العضد والذراع فرع عليها، كناية عن القرب وشدة الصلة بينها^(٤)، وقد
 بيّن الرسول ذلك في قوله:

«قَدْ أُمِرْتُ أَنْ لَا يُوَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي»^(٥).

فذكرُ الذراع والعضد في كلام الإمام الغرض منه بيان القرابة والدلالة على
 تحديد التلاقي والامتداد^(٦)؛ لذلك لم يعبر عن مراده بالساعد، وما يعزز ذلك
 دلالة الأصل اللغوي على الامتداد والتقدم، والتشبيه السابق في عبارة (كَالضَّوءِ

(١) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: ١٥٥.

(٢) نهج البلاغة: ٢/٢٢٥، ك: ٤٥٥.

(٣) جواهر البلاغة: ٢٣١.

(٤) ينظر: نهج البلاغة، شرح محمد عبدة: ٤٨٩.

(٥) نقلاً عن: نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل: ٢/٢٢٥.

(٦) ينظر: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية، محمد محمد داود: ٣٢٦.

٢٤٢ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ

مِنَ الضَّوِّءِ)، أي بمعنى أنهما صورة واحدة متواشجة، وبذلك تكونت صورة كلية موحدة وممتدة، ودلالة متضافرة مع بعضها بعضاً؛ إذ اشترك لفظا الذراع والعضد بشاهد واحد على سبيل تمثيل العلاقة بين الإمام علي عليه السلام وخاتم الأنبياء، فشبه الإمام نفسه من الرسول بالذراع الذي أصله العضد، كناية عن شدة الامتزاج والاتحاد بينهما^(١)، فضلاً عن دلالته على القوة والمؤازرة؛ فهو من مواطن القوة في الجسم^(٢)؛ لذا استعير لمعنى التقوية والإعانة للإمام، وذكر العضد من باب التمثيل؛ لأنَّ اليد قوامها عضدها، فيقال: عضد الرجل أنصاره وأعوانه^(٣)، ويمكن أن يكون المعنى مستوحىً ممَّا ورد في الذكر الحكيم في قوله جل جلاله:

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكُمَا سُلْطَنَا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْتَمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾^(٤).

أما الساعد فقد ورد في سياق نهج البلاغة بصيغة الجمع، ومنها قول الإمام عليه السلام: «فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ صَرْبٌ بِالمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الهَامِ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ».

وقال في موضع آخر:

«وَصَرْبٌ يَفْلِقُ الهَامَ، وَيَطِيحُ العِظَامَ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ..»^(٥).

وفي كلا النصين بيان لنتائج الضرب ومنها تطاير الأيدي والأرجل^(٦)، وهذا

(١) ينظر: نهج البلاغة، تح: فارس الحسون: ٦٨٠.

(٢) ينظر المخصص: ١/١٦٣، ٤/٢.

(٣) ينظر: الدلالات المجازية لأعضاء جسم الإنسان في معجم لسان العرب، بحث: صالح ملاً عزيز وآخرون: ١٥٠.

(٤) القصص: ٣٥.

(٥) نهج البلاغة: ١/٢٨٩، خ ١٢٤.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/٢٩٣.

الفصل الثالث: المبحث الأول الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها ٢٤٣
ما يتناسب مع القتال وتصويره في السياق؛ لأن السواعد تدل على القوة والمنعة،
ومعنى يطيح السواعد أو العظام: يسقطها، ويندر السواعد: يقطعها ويسقطها
أيضاً، وقد ورد هذا المعنى في كثير من الشروح^(١)، وكلام الإمام عن انفصال
السواعد ووقوعها كناية عن ضرب مواقع القوة لدى الخصم، ويأتي استعمال
الساعد بدلاً من اليد؛ لأنَّ الساعد هو ما يتقوى به الإنسان على غيره، ويعينه على
حمل السلاح وأدوات القتال في المعركة، فلما أراد عليه السلام إظهار قوة اليد أشار إليها
بساعدها، وهذا ما يتناسب مع المصاحبات اللغوية، وقوة ما ذكره من أجزاء
الجسم الأخرى في النصين.

أما النص الآخر الذي ورد فيه لفظ السواعد وهو قوله عليه السلام:

«كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَكُثِبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى
أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ».

فيُدرج ضمن عنوان الحث على التقوى بجميع مراحل حياة الإنسان في فكر
الإمام وذلك باستعمال أجزائه، فقد حدد عليه السلام بعض ضوابط التقوى كالصحة قبل
السقم، وفسحة الأعمار قبل أن تبدل بالضيق، ثم عرض لمشهد من مشاهد يوم
القيامة وهو غلّ الأيدي إلى الأعناق بالجوامع والتفاف النار عليها والتصاقها
بها، فاللتحمت أطواق النار بالعظام التفت عليها وانضمت إليها والتصقت بها،
والجوامع جمع جامعة وهي الغلّ لأنها تجمع اليدين إلى العنق، ونشبت علقته،
والسواعد جمع ساعد^(٢)، وهو ما تُغلّ منه اليد إلى العنق، أمّا أكل لحوم السواعد،
فهو كناية عن ضعف مقاومة الإنسان للعذاب وحركته غير المنضبطة من شدة

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨/٨، والهامش في تحقيقات كل من فارس الحسون: ٩٥،
والدكتور يحيى مراد: ١٦٤، وهاشم الميلاني: ٢٢٥، ومحمد أبو الفضل: ٩٣/١.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/١٢٤، ونهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل: ١/٤٤٠.

٢٤٤ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

الخوف والهلع، ويمكن تعليل استعمال السواعد من دون غيرها في النص؛ لأنّها الجزء الذي تغلُّ منه الأيدي.

المجموعة الثانية:

تتضمن الكفّ والملحقات الآتية: (الإصبع، الأنملة، البنان) ومن شواهدها:

- الكفّ: تكرر استعمال هذا الجزء من اليد للإنسان ثماني مرات^(١)، ومنها قول

الإمام عليه السلام في إحدى حكمه:

«لِلظَّالِمِ الْبَادِيِ غَدًا بِكَفِّهِ عَصَّةٌ»^(٢).

وقوله عليه السلام عن البيعة:

«فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطْفِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ

قَبِضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا»^(٣).

- الإصبع^(٤): ورد هذا الجزء مرتين للإنسان في نهج البلاغة، وهما قول

الإمام عليه السلام يخاطب الناس:

«أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ. فَسُئِلَ عليه السلام عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ

هَذَا؛ فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ: سَمِعْتُ،

وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ: رَأَيْتُ»^(٥).

(١) ينظر: نهج البلاغة: ١/١٤١، خ ٧٢، ١/١٤٥، خ ١٩٠، ١/٤٤٥، خ ١٨٦، ٢/٨٨، خ ٢٣٧،

٢/٢٢٨، ك ٤٥، ٢/٣٣٦، ح ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٣٤٥، ح ١٥٣.

(٣) المصدر نفسه: ٣/٣١٦، خ ١٣٧.

(٤) (الأصابع من الأجزاء المشتركة بين الكف والقدم، لكن الإمام لم يستعملها في نهج البلاغة إلا

لليد فقط؛ لذلك درست مع الأجزاء الملحقة باليد في البحث.

(٥) (المصدر نفسه: ١/٣٢٣، خ ١٤١).

وقوله ﷺ عن رسول الله:

«فَإِذَا أَنْتُمْ أَلْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ»^(١).

- البنان: ورد هذا الجزء مرة واحدة في نهج البلاغة في قول الإمام ﷺ عن الشيطان وجنوده:

«...أَجْلَبَ بِحَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحَيْلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ...»^(٢).

- الأنملة: ورد هذا الجزء مرة واحدة في نهج البلاغة في قول الإمام ﷺ يصف حال من فارق الحياة الدنيا:

«...مُحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ، حَمَلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ»^(٣).

ولفهم الدلالات التي جاءت في هذه النصوص ينبغي معرفة معناها في اللغة، فالكف: يرده ابن فارس إلى الجذر (ك ف ف) ثم يقول: هو «أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قبض وانقباض، من ذلك الكفُّ للإنسان، سُمِّيَتْ بذلك لِأَنَّهَا تَقْبِضُ الشَّيْءَ، ثُمَّ تَقُولُ: كَفَفْتُ فَلَانًا عَنِ الْأَمْرِ وَكَفَفْتُهُ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ يَسْأَلُ النَّاسَ: هُوَ يَسْتَكِفُّ وَيَتَكَفَّفُ، وَالْأَصْلُ هَذَا، ثُمَّ يَفَرِّقُونَ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ فَتَخْتَلِفُ فِي بَعْضِ الْمَعْنَى وَالْقِيَاسُ وَاحِدٌ»^(٤)، والكف: أنشى^(٥)، وكفَّ الإنسان في يده وكفَّ الطائر في

(١) المصدر نفسه: ١/ ٢٢٤، خ ٩٩.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٩٣، خ ٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٣٠٧، خ ١٣٢.

(٤) مقاييس اللغة: ٥/ ١٢٩.

(٥) ينظر: المخصص: ٤/ ٢.

٢٤٦ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ

رجله^(١)، وفي خلق الإنسان قيل: «الكف الراحة مع الأصابع سميت بذلك لأنها تكف الأذى عن البدن»^(٢)، أمّا عند الأصمعي وثابت وغيرهم فإنّ الكفّ تساوي اليد في كلام بعض العرب^(٣)، والباحث لايميل إلى هذا الرأي، فالأصلان مختلفان جذراً ومعنىً في الاستعمال.

ويتصل بالكفّ الأصابع وهي من الجذر(ص ب ع) وله «أصل واحد، ثم يستعار، فالأصل إصبع الإنسان واحدةً أصابعه، ويقال صبغ فلان بفلان، إذا أشار نحوه بإصبعه مغتاباً له»^(٤)، وهي في كلّ كفّ وقدم، ففي الكفّ هي: الإبهام، والسبابة، والوسطى، والبنصر، والخنصر، وصفاتها في القدم مثل ما في اليد^(٥)، والإصبع تكونُ للإنسان والسَّبْع والطير، وقيل: أصله في الإنسان وهو في غيره مستعار، وفيه الظفر^(٦)، والإصبع قد تُذكر والغالب التأنيث، يقال: هذا إصبع على التذكير في بعض اللغات^(٧)، وفي كلام الإمام علي عليه السلام جاءت على الرأي الغالب، والإصبع لفظ جامع تنتمي إليه البنان وهي «أطراف الأصابع من اليدين والرجلين، قال: والبنان في كتاب الله: الشوى، وهي الأيدي والأرجل»^(٨)، أمّا جذرها اللغوي (ب ن ن) فله «أصل واحد، هو اللزوم والإقامة، وإليه ترجع مسائل الباب كلها»^(٩)،

(١) ينظر: العباب: ١/ ٥٠.

(٢) خلق الإنسان، الأصمعي: ٢٠٨، وينظر: الصحاح: ٤/ ١٤٢٢، والمعجم المبتكر: ٢٦٧.

(٣) ينظر: خلق الإنسان: الأصمعي: ٢٠٨، خلق الإنسان، ثابت: ٢٢٥، والمخصص: ٤/ ٢.

(٤) مقاييس اللغة: ٣/ ٣٣١.

(٥) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ٢٢٧، ٣٢٤.

(٦) ينظر: المخصص: ٩/ ٢.

(٧) ينظر: المعجم المبتكر فيما يتعلق بالمؤنث والمذكر: ٧٣.

(٨) العين: ٨/ ٣٧٢.

(٩) مقاييس اللغة: ١/ ١٩١.

الفصل الثالث: المبحث الأول الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها ٢٤٧
وقيل: البنان الأصابع وقيل أطرافها وواحدتها بنانة^(١)، وسميت بهذا الاسم؛ لأنَّ بها صلاح الأحوال، ويُعمل بها كل ما يكون للإقامة والاستقرار ولوازم الحياة، يقال: أبنَّ بالمكان يبنُّ، أي أقام^(٢).

أمَّا الأنملة، فأصلها من الجذر (ن م ل) وكلماته «تدلُّ على تجمُّع في شيء وصِغَرٍ وخِفَّةٍ... والأنملة: واحدة الأنامل، وهي أطراف الأصابع»^(٣)، وذكر ثابت أنَّ في الأصابع الأنامل، وواحدتها أنملة، ويقال أنملة، وهو ما تحت الظفر من طرف الأصابع وفيها الأظفار واحدها ظفرٌ وأظفورٌ، ويقال: رجلٌ سبطٌ الأنامل - وامرأةٌ سبطةٌ الأنامل - إذا كان تامَّ طول الأصابع مع لين فيها^(٤)، أمَّا الجمع، فهو أناملٌ وأنملات^(٥)، ويتبين من ذلك إنَّ البنان أو الأنامل ألفاظ تقع ضمن مسمى أصابع الكف.

أمَّا استعمال الألفاظ المذكورة في نهج البلاغة، فإنَّ كفَّ اليد منها جاء أربع عشرة مرة خصَّ الإنسان بسبع مرات ملازماً لصفة التعريف، ومنها قول الإمام عليه السلام في الشاهد الأول للكف:

«لِلظَّالِمِ الْبَادِي عَدَاً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ».

وهذا المعنى قريب من قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾^(٦).

(١) ينظر: لسان العرب: ١٣ / ٥٩.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١ / ٧٩.

(٣) مقاييس اللغة: ٥ / ٤٨٢.

(٤) ينظر: كتاب خلق الإنسان: ٢٢٤، ٢٣١، والمفردات في غريب القرآن: ٦٥٦.

(٥) ينظر: المخصص: ٢ / ٩.

(٦) الفرقان: ٢٧.

٢٤٨ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ

وإذا نظرنا إلى تركيب النص نجده خلاف المألوف؛ إذ يُلاحظ انزياح عن النمط المألوف لتركيب الجملة العربية^(١)، فقد تخلى لفظ (عَصَّةٌ) عن مقام الابتداء في التركيب وجاء بعد الإخبار لدواعٍ معنوية وغايات تداولية تجعل المتلقي يستجيب لحال مخاطبه^(٢)، وإنَّما قال للبادي؛ «لأن من انتصر بعد ظلمه فلا سبيل عليه، ومن أمثالهم (البادي أظلم)، فإن قلت فإذا لم يكن بادياً لم يكن ظالماً فأني حاجة له إلى الاحتراز بقوله البادي قلت؛ لأن العرب تطلق على ما يقع في مقابلة الظلم اسم الظالم أيضاً»^(٣)، أما عَصُ الكف في النص فهو كناية عن شدة الحسرة والندم^(٤)، ويلاحظ أن الإمام عبر عن هذه الدلالة باستعمال عَصُ الكف ولم يستعمل اليد أو الأصبع مثلاً؛ لأن الأحداث الكلامية في النص حاصلة في الحياة الدنيا؛ لذلك اختلف التعبير عن الآية الشريفة، ويمثل هذا النص أحد الشواهد على المرجعية اللغوية التي استقى منها الإمام موارد كلامه من الأمثال والقرآن الكريم، ومن مجازات استعمال الكف قوله ﷺ في الشاهد الثاني:

«الْبَيْعَةُ الْبَيْعَةُ قَبِضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُموها».

وفائدة تكرار لفظ البيعة في النص شدة حرصهم عليها وفرط رغبتهم فيها، أما قبضت كفي أي امتنعت؛ لأن القبض هو ضمُّ أطراف أصابع اليد^(٥)، وقوله ﷺ بسطتموها من التوسع في الإسناد أي نازعتكم بيدي وتمنعت فجادبتموها وبايعتم عن جدِّ وطوع منكم وكره وزهد مني^(٦)، ودلالة حركة

(١) ينظر: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس: ١٨٦.

(٢) ينظر: الاحتراز في نهج البلاغة دراسة نحوية ودلالية، صباح رحمن الزيايدي، (رسالة ماجستير): ٧٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣٧٠ / ١٨.

(٤) نهج البلاغة، تح: فارس الحسون: ٨١٧.

(٥) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ١٤٩.

(٦) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣٤١ / ٨.

الفصل الثالث: المبحث الأول الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها ٢٤٩

قبض الكفّ وبسطها هذه كناية عن الامتناع والقبول، وهذا الأسلوب الكنائي أبلغ من الحقيقة وأدق في التعبير^(١)، فضلاً عن ذلك أنّ الكفّ قد أُسند إليها فعلان مختلفان أنتجا طباقاً أضفى تواتراً دلالياً، فضلاً عن دلالة الأفعال التي وظفها الإمام، فالفعل قبض فاعله علي عليه السلام ودلالته الامتناع أمّا فاعل بسط، فهو الضمير الدال على جمع المخاطبين، وقد استعمل الإمام الكفّ لهذا المعنى ولم يستعمل اليد؛ لأن البيعة غالباً ما تكون بالكفّ وليس باليد كلّها، فبسطها وعدمه جاء على سبيل الحقيقة كما يبدو، والمعنى باختصار كأنّه عليه السلام قال: فامتنعت عليكم فأبيتم إلا أن تبايعوني^(٢)، والمتدبر في النصوص الأخر^(٣)، يرى أنّ الإمام قد وظّف الكفّ في سياقات دالة على الندم، وأخرى تدل على المنع على اختلاف المصاديق؛ لأنّها سيدة الأدوات ومقود أفعال الجوارح.

ويلحظ في الأصابع وأجزائها أنّ الإمام استعملها مجموعة كلها، وقد تميّز بلغة جسدية في الشاهد الأول للفظ الأصابع، بدافع سؤال سابق عن معنى قوله:

«أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعٍ».

فإنّه عليه السلام «جمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثمّ قال: الباطل أن تقول: سمعتُ، والحق أن تقول: رأيتُ»، وما يظهر من حركة وإيحاء في هذا النص هو تعزيز للخطاب وإغناء له بالحركات؛ لأن الرسائل غير اللفظية من شأنها أن تكمل وتعزز الرسائل اللفظية، فالأفعال تتكلم أكثر من الكلمات، وفي هذه الحالة تصدق الرسالة غير اللفظية؛ إذ إنّها تجيب على السؤال: ماذا يريد أن يقول فعلاً؟ ويبدو أنّ في نهج البلاغة أصولاً واضحة للنظريات الحديثة في التواصل، وتحديدًا واضحاً

(١) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٩٠.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: تح: محمد أبي الفضل: ٣١٦/١.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ١/١٤١، خ ٧٢، ١/١٤٥، خ ١٩٠، ...

٢٥٠ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة
لملامح عناصر الإلقاء الجسدي التي حددها الباحثون المحدثون^(١)، وفي قول الإمام
فإن أصابع اليد وسيلة تدلّ على قلة الشيء^(٢)؛ لذا جاءت حركة جمعها ووضعها بين
أذن الإمام وعينه للتعبير عن التحديد الواضح للقرب ووجوب التمييز بين الحق
والباطل^(٣)، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الحركة الجسدية المشفوعة بالكلام، قد
أسهمت في تفسير الظاهرة اللغوية اللفظية للمتلقي عن طريق القناة البصرية؛
للإيفاء بالمعنى بصورة نهائية.

أمّا المرة الثانية التي ورد فيها لفظ الإصبع، فهو قول الإمام عليه السلام في رسول الله:
«فَإِذَا أَنْتُمْ أَلْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ».

ومعنى أَسْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، أعظمتموه وأجلتتموه كالمملك الذي يشار إليه
بالإصبع ولا يخاطب باللسان^(٤)، فهذه الحركة تكشف عن تحديد الشهرة ودلالة
العلو التي تناسب الرسول؛ لأنّ الناس يشيرون بأصابعهم إلى مثار اهتمامهم^(٥)،
وما يسعف هذا المعنى من المصاحبات اللغوية قوله: «أَلْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ» المكتنى به
عن تواضعهم بإزاء مقام الرسول الأعظم، ويبين كلام الإمام ما للحركة بالأصابع
من انفراد واضح لدلالة التحديد، وقد جاء استعمال الأصابع لهذه المعاني؛ لأنها
تمثل مركز قوة، وحركاتها لها دلالات عدّة وإشارات مرّزة تُسهم كثيراً في اكتساب

(١) ينظر: مبادئ الاتصال غير اللفظي: د. محمد بدره، بتاريخ: الأحد، ٢٢ مارس ٢٠٠٩، منشور
على الرابط:

http://edutrapedia.illaf.net/arabic/show_article.shtml?id44=.

(٢) ينظر: الدلالات المجازية لأعضاء الإنسان في معجم لسان العرب: ١٣١.

(٣) ينظر: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية: ١٠٩.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: تح محمد أبو الفضل: ١/٢٢٤.

(٥) ينظر: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية: ١٠٨، ٣١٩.

الفصل الثالث: المبحث الأول الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها ٢٥١
المعنى كماله^(١)، فللأصابع إيهاءات مشهورة ومتداولة يمكن أن تعطينا عدة معانٍ
تختلف بين شخص وآخر تبعاً لكل ثقافة^(٢).

أمّا البنان، فكان استعماله في سياق التحذير من الشيطان وجنوده بقوله ﷺ:

«يَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ».

ويفهم من السياق^(٣) أنّ الشيطان وجنوده أسبابٌ مُعدّة لقتل من خاطبهم ﷺ
بأيدي أعدائهم واستقصائهم، بدافع الوسوسة والإضلال^(٤)، والبنان في النص
تعني أطراف الأصابع، ذكرها ﷺ لغرض التحذير من أنّهم سيجمعون بين الضرب
على المقاتل وغيره، فيضربون أطراف أصابعكم ويستقصون في أذاكم واستئصالكم
ولا يقصرون في إهلاكهم ولا تمتنعون من ضربهم بحيلة ولا تدفعون ضرّهم
بعزيمة فحالكم في معظم ذلّ ودائرة ضيق، ومعرض موت ومجال بلاء لا منجى
منه^(٥)، وقد خُص البنان بالذكر هنا؛ لتضمنه دلالة اللزوم، فالبنان من لوازم جسم
الإنسان وهي منتهى الأيدي والأرجل وبها يُعمل كل شيء، وفي النص هي التي
تقاتل وتدافع بها لزمها من أفعال عند أصحابه ﷺ^(٦)، هذا وكان ضرب البنان قد
ورد في قوله تعالى:

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي

(١) ينظر: أسرار لغة الجسد: ١١٢.

(٢) للأطلاع على حركات الكفّ وأصابعها وأسماؤها بصورة أكثر تفصيلاً ينظر: كتاب فقه اللغة وسر
العربية، لأبي منصور الثعالبي؛ فقد خصص فصلاً في باب الحركات والأشكال والهيئات وهو

الفصل الثامن في تفصيل حركات اليد وأشكال وضعها وترتيبها: ١٤٨-١٥٠.

(٣) ينظر: سياق الخطبة في نهج البلاغة: ٩٣/٢، خ ٢٣٨.

(٤) شرح نهج البلاغة، ميثم البحراني: ٢٥٥-٢٥٦/٤.

(٥) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٩١/١١.

(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٧٩/١.

فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْتَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴿٧﴾.

ومن اللافت للنظر أن أغلب شراح نهج البلاغة قد تبناوا المعنى اللغوي لكلمة (البنان) وهو الأصابع أو أطرافها، والباحث يميل إلى ذلك، ولكن يختلف مع ما قيل في معنى النص بأن ذكر الإمام للبنان قد جاء على سبيل التمثيل وليس الحقيقة، فكأنه أراد باختلاف هيئة الأطراف من الأصابع في اليد أن تكون صورة لتجسيد اختلاف مقامات من اشترك في الحرب؛ لأن آثارها ستناهم على اختلاف اشتراكهم فيها مثل اختلاف البنان في اليد كطولها واختلاف عملها.

وأما استعمال لفظ الأنامل في الشاهد المذكور آنفا فقد ناسب الجنس الجمعي في سياق ذكر الإمام للميت في النص بنسج من التصوير بالأفعال والحركات الإنسانية التي ترافق تهيأة من فارق الحياة للدفن^(٨)؛ إذ قال عليه السلام:

«مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَائِيَا يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ، حَمَلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكَ بِالْأَنَامِلِ».

ف «أعواد المنايا: النعش، ويتعاطى به الرجال يتداولونه تارة على أكتاف هؤلاء وتارة على أكتاف هؤلاء، وقد فُسر ذلك بقوله حملاً على المناكب وإمساكاً بالأنامل»^(٩)، وهذا من المجاز المرسل علاقته جزئية «إذ ذكر لفظ الجزء وأريد منه الكل»^(١٠)، فالإمساك يتم باليد وليس فقط بالأصابع، والإمام ذكر الأنامل وأراد اليد، لكنه استعمل الأنامل من دون غيرها وقيد دورها بالمسك؛ لأن استعمال

(٧) الأنفال: ١٢.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨/ ٢٧٠.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٨/ ٢٧١.

(١٠) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٥٥.

الفصل الثالث: المبحث الأول الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها ٢٥٣
الأنامل يومي بضعف الميِّت؛ إذ تكفي الأنامل لمسكه ولو استعمل اليد لدل ذلك
على قوة الميِّت، فضلاً عن أن المسك بالأنامل يلائم معنى الاشتراك ومعنى الانتهاء
الذي أَرادَه الإمام؛ ففعل التعاطي لا ينتهي إلا بآخر جزء من الأصابع لمتتهي الحياة
من الناس، والاشترك يكون في فضل الحمل أو الرفع وهذا ما يمكن أن يتناسب
مع مضمون الخطاب الذي أراد الإمام إيصاله^(١).

ولا يخفى أن اليد وملحقاتها حازت حضوراً بارزاً في اللغة العربية قديماً
وحديثاً، وكان لها النصيب الأوفر عمن سواها من ألفاظ جسم الإنسان في
طيات نهج البلاغة أيضاً، فقد مثل استعمال اليد المتنوع في كلام الإمام دلالات
عدّة ومتنوعة بحسب سياقها ومصاحباتها اللغوية في النصوص يصعب تحديدها
هنا التزاماً بمنهجية البحث وتوخياً للإيجاز، وكل ما يمكن قوله هنا إنَّ الإمام
جعل من اليد آلة للعمل، وواسطة لظهور المعاني المختصة بها، والمتجلية عنها،
مادية كانت أم معنوية، لأنها مصدر القوة واليد سبب له، أما استعمال لواحقها
فيتضح أن الإمام ﷺ لم يستعمل ساعدها إلا مجموعاً في حين استعمل لفظ الذراع
مفرداً، ولذلك أسباب يرى الباحث أنها تكمن في دواعي الاستعمال اللغوي، أمّا
سياقياً فإنَّ السواعد قد استعملت لدلالة الغلبة على المقابل والضعف عنده تارة؛
لأن قرينة تطاير السواعد دلّت على الخسارة وأشارت إلى الضعف والوهن
للساعدين الطائرين، واستعملت في مواضع أُخر للدلالة على المساعدة والمؤازرة
تارة أُخرى؛ لأن هناك ثمة علاقة دلالية تداولية ما بين المعنى اللغوي والمعنى
التداولي، فالسواعد هي التي يستعين بها المقاتل في المعركة، فإذا ذهبت ذهبت قوته،
بينما استعمل الذراع للتشيل والقياس؛ إذ وظّف الإمام كل من الذراع والعضد
في سياق واحد أخذ فيه معنى اتصال الجزأين وما يتعلّق به من سمات، ويبدو أن

(١) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١١/٢١٢.

٢٥٤ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

الإمام لما أراد تحديد العلاقة بينه وبين الرسول استعمل الذراع، ولما أراد الإشارة إلى مصدر القوة عبر بالساعد.

أما استعمال أصابع اليد، فجاء على الرأي الغالب وهو لغة التأنيث، وقد اختصّ لفظ الإصبع بلغة الجسد في الاستعمال، إذ كشفت بعض النصوص عن عاداتٍ وقيمٍ عرفها المجتمع قد أسهمت في تجسيد الواقع التداولي بين المخاطب والمتلقي، واختصّت الأنامل من ملحقات الإصبع بتصوير جانب من السنن الاجتماعية الخاصة بأحوال الميِّت، أما البنان فقد اختصّت بسياق التحذير من القتل.

المبحث الثاني

الألفاظ الدالة على الرجل وما يلحق بها

تعدّ الرجلين وسيلة الإنسان الأساس في الحركة والتنقل، وفي بعض الأحيان تظهر حركاتها رغبات أو مواقف معينة؛ لذا لا بدّ من تقصي مهمتها الدلالية ضمن السياق الذي وردت فيه في النص^(١)، فضلاً عن النظر للفظ من زاوية الحقل الدلالي الخاص به، والذي ذكر الإمام بعضاً من ألفاظه وهي: (الفخذ، الركبة، الساق، القدم، العقب)، وسوف يكون هدف البحث هنا، الوصول إلى تحديد القيمة الدلالية لجزء رجل الإنسان والألفاظ الملحقة بها بحسب سياقها في نهج البلاغة، وهنا لا بدّ من ذكر بعض شواهداها، وهي:

- الرَّجُلُ: ذُكِرَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لِلإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ^(٢)، مِنْهَا قَوْلُ الإِمَامِ (عليه السلام):

في ذكر النبي عيسى (عليه السلام):

«وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِيهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُدِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ»^(٣).

وقوله (عليه السلام) في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه:

(١) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ٢/ ٣٨٠، ح ٣٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٣٧٦، خ ١١٦.

«...وَسَلِّكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَا فَعْتَهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الْإِقَامَةِ، وَثَبَّتَتْ رِجْلَاهُ بِطَمَئِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ»^(١).

- الفخذ: ذكره الإمام عليه السلام مرة واحدة في كلامه عن الصبر بقوله:

«يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخْدِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أُجْرُهُ»^(٢).

- الرِّكْبَةُ: وردت مرة واحدة في قول الإمام عليه السلام يصف المتقين:

«فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِحَبَاهِهِمْ وَأَكْفِهِمْ وَرُكْبِهِمْ»^(٣)، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ»^(٤).

- السَّاقُ: جاءت في نهج البلاغة خمس مرات^(٥)، منها قول الإمام عليه السلام في وصف

الفتن:

«يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ، مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنِ سَاقِ نُفُطْعٍ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ»^(٦).

وقوله عليه السلام واصفاً حال الدنيا:

«دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ، وَنَهْبٍ وَعَطْبٍ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ»^(٧).

(١) المصدر نفسه: ٣٢ / ٢، خ ٢١٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣٣٩ / ٢، ح ١٤٠.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من نص الخطبة (١٩٣) في شرح محمد عبدة، وتحقيق فارس الحسون، وبعض الشروح، ومثبتة في تحقيق محمد أبي الفضل، وتحقيق هاشم الميلاني، وبعض الشروح.

(٤) نهج البلاغة: ٤٤٥ / ١، خ ١٨٦.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: ٣١٨ / ١، خ ١٩١، ٤٦٤ / ١، خ ١٩١، ٢٠٩ / ١، خ ٩٢.

(٦) المصدر نفسه: ٣٤٧ / ١، خ ١٥١.

(٧) المصدر نفسه: ٨٧ / ٢، خ ٢٣٧.

الفصل الثالث: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الرُّجل وما يلحق بها ٢٥٧

- القدم: ذُكر القدم ست وعشرون مرة للإنسان في نهج البلاغة^(١)، منها قول

الإمام عليه السلام في ذكر يوم القيامة وأحوال الناس فيه:

«فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسِعاً...»^(٢).

وقوله عليه السلام من كتاب للأشتر النخعي:

«انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ... وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِيبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ

الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ»^(٣).

- العقب: ورد هذا الجزء إحدى عشرة مرة^(٤)، منها قول الإمام عليه السلام في حديثه

عن الشك:

«وَالشُّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمَارِي، وَالْهَوْلِ، وَالتَّرَدُّدِ، وَالِاسْتِسْلَامِ: فَمَنْ

جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدِناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ، وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقْبِيهِ...»^(٥).

وقوله عليه السلام في النبي محمد:

«فَمَا أَعْظَمَ مِثَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلْفاً تَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ

(١) ينظر: نهج البلاغة: ١/٣٤٠، خ ١٤٩، ٢/٩٦، خ ٢٣٨، ٢/١٤٠، ك ١٠، ١/٣٥٣، خ ١٥٣،

١/١٩٤، خ ٩٠، ١٢٩٧، خ ١٢٨، ١/٣٧٣، خ ١٦١، ١/٤٤، خ ١٨٤، ١/٤٤٥، خ ١٨٦،

١/٤٥٨، خ ٩٠، ٢/٩٤، خ ٢٣٨، ٢/١٠٠، خ ٢٣٨، ٢/١٤٩، ك ١٥، ٢/٣١٦، ٤١، ٢/١٤١،

ك ١٠، ١/١٣٩، خ ٧١، ١/١٦٩، خ ٨٥، ١/٤٦، خ ١١، ١/١٣٨، ك ٩، ١/٤٤١، خ ١٨٤،

١/٢٢٧، خ ١٠١، ٢/٤٧، خ ٢١٨، ١/٢٠٣، خ ٩٠، ٢/١٤٠، ك ١٠، ٢/٢١٤، ك ٤٠، ٢/٩٤،

خ ٢٣٨، ١/٣٧٣، خ ١٦١، ١/٢٥٣، خ ١٠٨، ٢/٣٧١، ح ٢٦٣، ١/٢٥٣، خ ١٠٨.

(٢) المصدر نفسه: ١/٢٢٧، خ ١٠١.

(٣) المصدر نفسه: ٢/٢٥٢، ك ٥٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/٣٤٤، خ ١٥٠، ١/١٢٢، خ ٥٧، ١/٢٠٣، ك ٣٢، ١/٣٢٠، خ ١٣٨،

١/١٣٣، خ ٦٥، ٢/٣٥، خ ٢١٦، ٢/١٤٨، ك ١٤، ٢/٢٦٩، ح ٢٧٢، ٢/٣١٤، ح ٣١.

(٥) المصدر نفسه: ٢/٣١٤، ح ٣١.

عَقِبَهُ...»^(١).

أمّا ما يتعلّق بالمعنى اللغوي للألفاظ المذكورة، فالرَّجُلُ منها من الجذر (ر ج ل) ومُعْظَمُ بابِهِ «يَدُلُّ عَلَى الْعُضْوِ الَّذِي هُوَ رِجْلٌ كُلُّ ذِي رِجْلٍ، وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ كَلِمَاتٌ تَشْدُدُّ عَنْهُ، فَمُعْظَمُ الْبَابِ الرَّجُلُ: رِجْلُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ»^(٢)، وقيل: الرَّجُلُ العُضْوُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْقِطْعَةُ مِنَ الْجِرَادِ^(٣)، ومن أجزاء هذه الرجل الفخذ، وفيه لغتان فَخِذٌ وَفِخْذٌ أَيْضاً^(٤)، وهو من الجذر (ف خ ذ)، وقد عبّر عنه ابن فارس بأنّه «كلمةٌ واحدة، وهي الفَخِذُ مِنَ الْإِنْسَانِ، مَعْرُوفَةٌ»^(٥)، والفَخِذُ: ما بين الساق والورك، والجمع أَفْخَاذٌ^(٦)، ويتلوه الرُّكْبَةُ: وهي من الأجزاء التي توسطت رجل الإنسان، وأصلها في اللغة من الجذر (ر ك ب) وله «أصلٌ واحد مطّرد منقاس، وهو علوُّ شيءٍ شيئاً، يقال رَكِبَ رُكُوباً يَرَكِبُ... ومن الباب رُكْبَةُ الْإِنْسَانِ، وهي عاليةٌ على ما هي فوقها»^(٧)، فكلُّ شيءٍ علا شيئاً رَكِبَهُ^(٨)، وفي خلق الإنسان الركبة «ملتقى الفخذ والساق، وفي الركبة الرضفة، وهو عظم مطبق على رأس الساق والفخذ»^(٩)، وتركيب هذه الأجزاء ساعد الإنسان على المشي والحركة، وكان للساق دور في ذلك، ويرى صاحب المقاييس أنها من الجذر (س و ق) وله

(١) المصدر نفسه: ١/٣٨٧، خ ١٦١.

(٢) مقاييس اللغة: ٢/٤٩٢.

(٣) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ٦٧، والمعجم المبتكر: ١٨٥.

(٤) ينظر: الصحاح: ٤/٥٦٨.

(٥) مقاييس اللغة: ٤/٤٨١.

(٦) ينظر: المخصص: ٢/٤٨.

(٧) مقاييس اللغة: ٢/٤٣٢.

(٨) ينظر: العين: ٥/٣٦٣، وتهذيب اللغة: /٢١٦١٠.

(٩) خلق الإنسان، الزجاج: ٩٩، وينظر: خلق الإنسان في اللغة، البغدادي: ٥٠.

الفصل الثالث: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الرَّجُل وما يلحق بها ٢٥٩

«أصل واحد، وهو حَدُو الشَّيء... والسُّوق مشتقَّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلِّ شيء، والجمع أسواق، والسَّاق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنَّما سمَّيت بذلك لأنَّ الماشي ينساق عليها»^(١)، وفي خلق الإنسان قال ثابت في باب الساق: «والساق هي ما بين الركبة والكعب، وفيها عضلتها، وهو لحم باطن الساق حيث عظُمت»^(٢)، ويتصل بالساق القدم ويترتَّب عليه وظائف كثيرة وعلاقات جَمَّة، منها، تحديد وجهة الإنسان في السير وبعض أوضاعه ولها من الثراء الدلالي في كلام العرب شيء لا يقل شأنًا عن أهميتها في الجسم، فهي «ما يطأ عليه الإنسان من لدن الرسغ فما فوقه»^(٣)، وهي من الجذر (ق د م) وله «أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على سَبَقٍ ورَعْفٍ ثم يفرَّع منه ما يقاربه: يقولون: القِدَم: خلاف الحُدوث، ويقال: شيءٌ قديم، إذا كان زمانه سالفًا... وقَدَمُ الإنسان معروفةٌ، ولعلَّها سمَّيت بذلك لأنَّها آلةٌ للتقدُّم والسَّبَق»^(٤)، وفي القدم حِمَارَتُهَا، وعُرْشُهَا، وعَقِبُهَا، وفيها الأخص وهو خَصْرُ باطنها الذي يتجافى عن الأرض لا يصيبها إذا مشى الإنسان^(٥)، ويتبين من البحث اللغوي أنَّ الرَّجُل هي وحدة دلالية جامعة لأجزائها من دون ترادف مع الأجزاء المذكورة.

أمَّا العَقِب فهو ما تأخر من القدم، وهي «مؤخر القدم، تؤنثه العرب، وتميمٌ تُخففه، وتجمعُ على أعقابٍ، وثلاث أعقبه، وعقب الرَّجُل ولده وولد ولده والباقون من بعده، وقولهم: لا عقب له أي لم يبق له ولدٌ ذَكَرٌ»^(٦)، والعقب من

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ١١٧، وينظر المفردات في غريب القرآن: ٣٢٩.

(٢) ينظر: خلق الإنسان، ثابت: ٣١٩٠، والمخصص: ٥٢/ ٢.

(٣) العين: ٥/ ١٢٢.

(٤) مقاييس اللغة: ٥/ ٦٥.

(٥) ينظر: كتاب خلق الإنسان، ثابت: ٣٢٣-٣٢٢، والمخصص: ٥٥/ ٢.

(٦) العين: ١/ ١٧٨، وينظر: الصحاح: ١/ ١٨٤، والمعجم المبتر: ٢٣٩.

٢٦٠ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
الجذر (ع ق ب) وله «أَصْلَانِ صَحِيحَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَأْخِيرِ شَيْءٍ وَإِتْيَانِهِ بَعْدَ
غَيْرِهِ، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَشِدَّةٍ وَصُعُوبَةٍ»^(١)، وفي خلق الإنسان
قال ثابت: «وَالْعَقَبُ مَا يَفْضُلُ مِنْ مَوْخِرِ الْقَدَمِ عَلَى السَّاقِ... وَهُوَ مَوْجِعُ الشَّرَاكِ
مِنْ خَلْفِهَا»^(٢)، فهو جزء يحمل ثقل الجسم الإنساني يتصل من الأعلى بجزء تميّز
بصخامته ومناسبة ما يتصل به من جذع الإنسان.

ويلحظ في استعمال الإمام عليه السلام للرجل كثرة استعمالها لغير الإنسان، فقد ذكرت
في النهج تسع مرات خصّ الإنسان بثلاث منها فقط؛ لذا سوف يكون بحث
دلالتها هنا فيما يخص الإنسان ضمن سياقها لا غير، ومن ذلك كلامه في ذكر النبي
عيسى عليه السلام من الشاهد الأول:

«دَابَّتُهُ رَجُلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ».

والدبيب سلوك حركي يعتمد على استخدام الرجلين عند الكائنات الحية
طلباً للطمأنينة أو للابتعاد أو للحصول على شيء معين^(٣)، والدابّة: اسمٌ لما دَبَّ
من الحيوان، مُمَيَّزَةٌ وَغَيْرُ مُمَيَّزَةٍ، والدابّة: التي تُرْكَبُ؛ وَقَدْ غَلَبَ هَذَا الْأَسْمُ عَلَى مَا
يُرْكَبُ مِنَ الدَّوَابِّ، وَهُوَ يَقَعُ عَلَى الْمُدَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ^(٤)، وفي النص كنى الإمام
عن تعفف عيسى عليه السلام وتواضعه بقوله: «دابته رجلاه»، فالسير برجليه من دون
الاستعانة بالدابّة يعني الدلالة على التواضع والتعفف.

أما في الشاهد الثاني فقد جاءت الرّجل في سياق وصف سالك الطريق إلى الله
سبحانه إذ قال:

(١) مقاييس اللغة: ٧٧/٤.

(٢) كتاب خلق الإنسان، ثابت: ٣٢٣.

(٣) ينظر: لغة الجسد في القرآن الكريم: ٩٩.

(٤) ينظر: لسان العرب: ١/٣٧٠.

«وَتَبَّتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ».

وثبات الرّجل في النص من المجاز، وقد استعملت للدلالة على القوة والتمكّن^(١)، لشدة العزم والمواظبة لمن راض نفسه وجوارحه حتى وصل إلى الراحة والسعادة، والطريق المرسوم له، وهذه معانٍ قد مثلتها أفعال من سلك الطريق إلى الله في سياق كلام الإمام^(٢)، ويلحظ في هذين النصين والنص الآخر^(٣)، أنّ النهج الاستعمالي للرجل قد ارتبط بدلالات وظيفية للرجل من ثبات وحركة تستدعي حضور الجسد الإنساني برمته، سواء أكان ذلك حقيقة أم مجازاً، وهذا ما يمنع الاستبدال بجزء آخر كالقدم مثلاً.

وانهاز لفظ الفخذ من الرجل بفرادة الاستعمال واقترانه بحركة جسدية بُني عليها تقرير حكم للإمام^(٤) في إحدى حكمه، وذلك في قوله:

«وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ».

ويبدو أنّ في الدلالة التي سيق من أجلها لفظ الفخذ في النص هي الجزع، فقد عبّر عن ذلك الإمام بما يلزم من العدة وهو ضرب اليدين على ما يقابلها من الفخذين، وبذلك قصور في الاستعداد لحصول الفضيلة وارتكاب ضدها وهو الجزع^(٤)؛ إذ يلجأ الناس في العرف الاجتماعي إلى هذه الحركة عند الجزع، وقد كان استعمالها عند الإمام مختصاً بالجزع والتعبير عنه بلغة جسدية أفرزتها ظروف التداول.

ويذكر الإمام^(٤) «الأعضاء السبعة التي تكون مباشرتها بالأرض من فروض

(١) ينظر: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية: ١٢٠.

(٢) ينظر: لغة الجسد في القرآن الكريم: ٨٩.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ٢ / ٣٨٠، ح ٣٢٣.

(٤) ينظر: شرح حكم أمير المؤمنين: ١٧٦.

٢٦٢ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

الصلاة وهي: الجبهة، والكفان، والركبتان، والقدمان^(١)، في النص المذكور آنفاً لجزء الركبة فيقول:

«فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِحَبَاهِهِمْ وَأَكْفَهُمْ وَرُكْبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ».

ولفظ الركبة جاء في سياق لغوي يبين صفات المتقين ووصف هيئة الركوع والانحناء في صلاتهم، ثم السجود^(٢)، وسبقها باسم الفاعل مجموعاً وهو مفترشون، ومعناه باسطون لها على الأرض^(٣)، وبذلك تتضح دلالة الخضوع ضمناً لحركة الركبتين التي ذكرها الإمام مع الأجزاء السبعة لأنتاج دلالة كبرى مع مجموعة من حركات الأعضاء الأخرى، وهي السجود، يدل على ذلك السياق والقرينة النحوية بالعطف المتوالي للمفردات في النص المذكور.

أمّا الدلالة الاستعمالية لجزء الساق من الرجل عند الإمام فتتضح من تحليل الشواهد ومنها ما ورد في سياق حديث لأمير المؤمنين عليه السلام عن الفتن إذ قال:

«مِرْعَادُ مِبْرَاقٍ، كَاشِفَةٌ عَنِ سَاقٍ تُقَطَّعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ».

وعبارة «كَاشِفَةٌ عَنِ سَاقٍ» في النص تعبير استعملته العرب، وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٤).

والساق هنا تحمل دلالة شدة الأمر^(٥)؛ إذ إنَّ حركة كشف الستار عن الساق

(١) نهج البلاغة: تح: محمد أبي الفضل: ٤٤٥ / ١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه: ٢٢١.

(٣) ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٤٩٥.

(٤) القلم: ٤٢.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٢٩.

الفصل الثالث: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الرَّجُل وما يلحق بها ٢٦٣
يقوم بها الناس حينما يشمرون بداعي شدة الأمر، قال: عليه السلام:

«إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ»^(١).

لذا يكتنى بها عن الشدة، ويذكر الإمام عليه السلام تعبيراً آخر للساق في الشاهد الآخر
مزيداً عليه مصدر مشتق من فعلها وهو (السياق) في كلامه عن حال الدنيا:
«أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ».

للدلالة على الاستعداد لسوقهم لما ينتظرون من آجالهم، وقد استعمل الإمام
الساق هنا من دون غيرها من أجزاء الرَّجُل؛ لتضمنها معنى الانسياق بدافع حقيقي
أو مجازي، والمراد متأهبون قائمون على ساق^(٢)، لا يلبثون أن يضربوا على سوقهم
فينكبوا للموت على وجوههم؛ للحاق بالماضين، وفراق الباقيين^(٣)، ومصداق ذلك
قوله تعالى:

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾^(٤).

ويظهر أن الدلالة الاستعمالية لهذا الجزء من الرجل عند الإمام هي الاستعداد
وما وراءه من أسباب على اختلاف النصوص^(٥).

أمّا القدم فقد حظيت بنصيب وافر في نصوص نهج البلاغة فقد ذكرت القدم
ثلاثين مرة؛ لذا كانت سياقات هذه القدم منبعاً ثراً لرفد الدلالات الخاصة بأجزاء
الإنسان، التي وردت في النهج بأفعال واستعارات مصاحبة أعطتها القدرة على
توليد فروع دلالية، ومجازات لم تألفها حتى آخر المعجمات؛ إذ نجد كثيراً من

(١) نهج البلاغة: ١/ ٢٠٩، خ، ٩٢.

(٢) ينظر: أساس البلاغة: ٤٨٤.

(٣) نهج البلاغة، تح: فارس الحسون: ٣٧٣.

(٤) القيامة: ٣٠.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: ١/ ٣١٨، خ، ١٩١، ١/ ٤٦٤، خ، ١٩١.

٢٦٤ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة
التعبيرات الخاصة بها لم يذكرها أهل اللغة تصل حد الضعف أو أكثر^(١)، وبعيداً
عن استحشاء تلك المفردة وإحصاء دلالاتها في نهج البلاغة، سوف يكون هدف
البحث مدى انصهار المفردة وانسجام دلالتها في النص، وقد ذكرنا للفظ القدم
شاهدين الأول قوله ﷺ في ذكر يوم القيامة وأحوال الناس:
«فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً».

وهو تعبير يشير إلى ازدحام فلا يصبح فراغ لمكان يكفي لوضع قدم فيه^(٢)،
وربما جاءت القدمان معبرتين عن الشخص لتكثيف هذا المعنى وملاءمته لموقف
يوم القيامة ودلالة السبق المنصوص عليها، والمشار إليها بإحالة بعدية في النص،
وهي إحدى آليات الربط التي استعملها الإمام، فقد تجلت الإحالة بنوعيتها القبليّة
والبعدية بعودة الضمائر على مُفسّر موجود في النص، وهو الاسم الموصول (مَنْ)
الذي مثّل محور العلاقة بين طرفي الخطاب^(٣).

وفي الشاهد الثاني للفظ القدم قال ﷺ يوصي الأشر باختيار عمّال له:

«مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ».

ويلحظ أنّ الإمام في النص قد «سلك مسلكاً خاصاً يعتمد على استعمال صيغ
الأمر والتوكيد المعروفة في اللغة مستفيداً من الثروة اللغوية التي يخترنها وقدرته
في بناء الأساليب البلاغية»^(٤)؛ لبيان الواجبات والإلتزام بها وتنفيذها من الولاية،
فالخطاب قد بدأ بفعل أمر وتوسطه آخر يستلزم التنفيذ على المتقدم في الإسلام
صاحب القَدَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وفي التركيب قد أضفى ﷺ دلالة صوتية، فضلاً

(١) ينظر: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية: ١١٩-١٢٨.

(٢) ينظر: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية: ٣٤٩.

(٣) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي: ١١٧.

(٤) عهد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لمالك الأشر دراسة تحليلية في ضوء علم النص: ٣١.

الفصل الثالث: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الرّجل وما يلحق بها ٢٦٥
 عن دلالة التقدم في الخير والفضل التي حملها سبق القدم، لأن السابق متقدم زمنياً
 كما وصف^(١)، فجاءت الصفة مع موصوفها لتحقيق التوازن الإيقاعي؛ كي يكون
 الكلام أسهل حفظاً وأثبت في الذهن، وهذه من سمات رسائل الإمام^(٢)، وخير من
 مثل هذا المعنى حسان بن ثابت في قوله^(٣): (البيسط)

لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا
 لِأَوْلَانَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعُ

والإمام^(٤) قد استعمل القدم في النصوص الأخرى^(٥)، في بنى الأفراد والتشبية
 والجمع بعلاقات متنوعة مع الأصل اللغوي في سياقات معينة، في جلها كانت
 القدم متقدمة تارة أو متأخرة تارة أخرى.

وتشترك العقب مع الساق في الاقتباس القرآني في النهج؛ إذ ورد ذلك في

قوله^(٦):

«وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَّصَ عَلَى عَقْبِيهِ».

وفي هذا المقطع من كلام أمير المؤمنين ترد جملة: «نَكَّصَ عَلَى عَقْبِيهِ» بالتركيب
 نفسه في القرآن الكريم بقوله:

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ
 وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَّصَ عَلَى عَقْبِيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
 مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾^(٧).

(١) ينظر: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية: ٣٤٩.

(٢) ينظر: رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة لغوية، رملة خضير مظلوم: ١١٦.

(٣) ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه: وليد عرفات: ٢٦٧/١.

(٤) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نهج البلاغة: ١/٣٥٣، ١/١٥٣، ١/١٦٩، ٨/١، ٤٦/١، ١١/١،

١٣٨/١، ٩/٢، ١٤٠/٢، ١٠/٢، ٢١٤/٢، ٤٠/٢، ٣٧١/٢، ح ٢٦٣...

(٥) الأنفال: من الآية ٤٨.

٢٦٦ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ

وهذا أسلوب اقتفى فيه الإمام الأسلوب القرآني في بناء الجمل القصيرة في نهج البلاغة؛ لأنَّ نقل اللفظة القرآنية من محيطها الدلالي القرآني وامتزاجها بعلاقات متمكنة دلاليًّا في كلامه عليه السلام؛ الغرض منه الاستفادة من انطباعها واستقرارها في الأذهان، وذلك للمعاني التي أضافها النص السابق عليها، فكان للكناية القرآنية أثرٌ واضحٌ في الكشف عن خبايا النفس ورصد حالاتها، فالقرآن هو المعين الأول الذي استقى منه الإمام كلِّما توخَّى التعبير بلغة الإيحاء^(١)، ودلالة العبارة باختصار هي الرجوع عن الطريق القويم وتركه^(٢)، وقد استعمل عقبي الإنسان بدلاً من قدميه لدلالة العقب على التخلف، فضلاً عن أنَّ رجوع الإنسان إلى الخلف يكون بالاعتماد على عقبيه، ويساند لفظ العقب حركة جسدية لاكتمال الصورة وتوضيح غزارة المعنى بقول الإمام عليه السلام عن النبي محمد في الشاهد الثاني للعقب:

«وَقَائِدًا نَطًا عَقِبَهُ».

والتعبير المتعلق بدلالة وطوء العقب جاء كناية عن المبالغة في الاتباع والسلوك على طريقه، والمراد نقفوه خطوة خطوة حتى كأننا نطاً مؤخر قدمه، كالمتصلين به، ويأتي استعمال هذا الجزء من مؤخرة القدم، وهذه الحركة الإنسانية، للدلالة على شدة الاتباع لطريق الرسول وسلوكه^(٣).

ويذكر الإمام العقب من الرجل في نصوصٍ أُخر لا يسعنا ذكرها^(٤)؛ توخياً للإيجاز، لم يخرج في استعماله لهذا الجزء من الإنسان عن دلالة التبعية على الرغم من

(١) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٨٧، ١٠٣.

(٢) ينظر: الدلالات المجازية للأعضاء جسم الإنسان في معجم لسان العرب: ١٥٠، والصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين الصغير: ١٨٨.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، البحراني: ٣/ ١٧٤.

(٤) ينظر: نهج البلاغة، على سبيل المثال: ١/ ٣٤٤، خ ١٥٠، ١٢٢١، خ ٥٧، ١/ ٢٠٣، ك ٣٢، ١

الفصل الثالث: المبحث الثاني الألفاظ الدالة على الرّجل وما يلحق بها ٢٦٧
اختلاف السياقات التي وضع فيها، ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام لم يستعمل لغة
العقب بالتسكين وهي لغة تميم، وإنما استعمل لغة العقب بالكسر.

ويلاحظ في سياقات الألفاظ الدالة على الرّجل وملحقاتها وضوح الاقتباس
القرآني فيها، وإنّ هناك ألفاظاً بيّن الإمام ﷺ استعمالها بتبعيتها للمرجعية اللغوية لها
ومنها السّاق، ولا يخفى أنّ هناك ألفاظاً قد إنازت بظهور دلالات برزت كنتائج
لحركات جسدية لبعض الأجزاء تبينّت في مواضعها.

الخاتمة

الخاتمة

مثلاً كان البدء بالحمد والتسبيح للخير العليم والصلاة على حبيبه سيد الأنام الأمين المصطفى، يكون المنتهى، وهنا يُختتم البحث رحلته لشهور مضت وأيام خلت مع نهج البلاغة، مستخلصاً أهم النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة بعد أن قطعت أشواطاً من الاستقراء والرصد والتحليل، وهذه خلاصة موجزة لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

أثبتت الدراسة أنّ كتاب نهج البلاغة غنيٌّ بألفاظ أجزاء جسم الإنسان ودلالاتها، كما أثبتت أهميتها الكبرى في عملية التواصل الشفهي وغير الشفهي، وقد ظهر ذلك في كثرة استعمال ألفاظ الجسم في النهج؛ إذ استعمل فيه قرابة المائة جزء تقريباً، فأفرز ذلك أكثر من ألفٍ ومائة وخمسين شاهدٍ لمائةٍ وواحد وثلاثين لفظٍ، كوَّنت عينة البحث.

ظهر أنّ وراء كل لفظ من الألفاظ مغزى يؤديه ذلك اللفظ ولا يؤدي بغيره عند استبداله كالجسم والجسد، والرقبة والعنق، والإصبع والبنان... الخ؛ لأسباب تتعلق بخصوصية كل لفظ وسماته ذُكرت في تحليل نصوصها، فضلاً عن ذلك فإنّ بعضاً من هذه الألفاظ (كالأذن والسمع) كان استعمالها في النهج مادياً في الأول ومعنوياً يرتبط بالنفس الإنسانية في الثاني.

يتضح من البحث في معاني الألفاظ الخاصة بجسم الإنسان أنّ هذا باب منفتح

٢٧٢ أَلْفَاظُ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

على معارف كثيرة، بعضها يخصّ تسمية الأجزاء التي تكوّن الجسم وبعضها يخص حركاتها وأبعادها الإشارية والاجتماعية، وبعضها ديني يخص سلوكها في نطاق إسلامي يهّم الخلق والحياة والمعاد، وحركة الجسد وحدوده، وبعضها فكري يخص رمزية الجسد في مستوى معين.

بدأت بالدليل العلمي والعملي العلاقة الوثيقة بين اللغة المنطوقة ولغة الجسد التي أكّدها الإمام في بعض نصوص نهج البلاغة، وفي بعضها الآخر نرى الصراع بينها كقوله عليه السلام:

«مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ».

فقد أكّد الإمام (اللغة غير الشفهية)، وهو ما لم تثبته الدراسات إلا في خمسينيات القرن الماضي؛ فقد أثبت الإمام أن تعبيرات بعض أجزاء الجسم يمكن أن تحلّ محل اللفظ بنسبٍ متفاوتة، وفي أخرى تماماً؛ لأن بعضها يغني عن الكلام في مستوى معين من التداول.

أثبتت الدراسة أنّ المعنى السياقي مأخوذ فيه المعنى الحقيقي لكل صيغ الاشتقاق ومنها الاسمية موضع البحث، وذلك بذكر الدلالة المعجمية والأصل فيها، ثم إرجاع جميع المعاني وفروعها إليها بالمناسبة على غرار ما فعل ابن فارس في دلالة الأصل اللغوي، وقد حاول الباحث تقديم دلالة استعماله جامعة لأكثر الألفاظ موضع الدراسة في كلام الإمام ومناسبتها مع الأصل.

من مظاهر استعمال ألفاظ الجسم عند الإمام توظيفه لبعض لغات العرب ولهجاتها من دون أخرى، مثل لغة التحريك في اللفظين (فخذ وعقب) وتجنب لغة التسكين في (فخذ، وعقب)، ولغة (الصباح) من دون لغة (الساخ)، كما استعمل بعض لغات الجمع وأوزانها ومنها أضراس من دون ضروس، وشفاه من دون شفوات.

كان لاستعمال ألفاظ جسم الإنسان في نهج البلاغة أثر مهم في التكوين اللغوي؛ إذ نجد أصحاب المعجمات المتأخرين قد استعانوا بالألفاظ الواردة في نهج البلاغة؛ لأنها جزء من مدونة لغوية يحتج بها في إثبات دلالات معينة ومنهم ابن منظور؛ لما تميّز به الإمام من استعمال فريد للألفاظ، وتصرّف في الصيغ والمباني الصرفية؛ فقد أضاف الإمام بعض صيغ الجمع للمعجم، ومنها: مصائخ جمع صماخ.

أظهر استعمال ألفاظ أجزاء الإنسان عند الإمام كثيراً من القدرات العقلية لصاحبها تناسب والمناسبة التي قيلت فيها والأسس التي تعينت بها اللفظة المختارة في السياق العام، فباتت من كنوز التعبيرات اللغوية التي لا تنقص جمالاً ولا إيجاءً ممثلة أيضاً ودليلاً وعلمياً عبر التاريخ، وقد جاءت الآن العلوم الحديثة بأدواتها، ومناهجها في العمل لتزيل الحيف الذي وقع على هذا الأثر من جرّاء الأحكام المعيارية، ولتمكنا من النظر إلى الجوانب العلمية والعملية فيه.

من مستويات الاستعمال العلوي لألفاظ الجسم الإنساني عدّه عليه السلام بعض أعضاء الجسم مصدراً بديلاً للأدوات النحوية الظرفية المعبرة عن الاتجاه والاحتواء والتجاور بعيداً عن التصور المعجمي لها؛ إذ استعمله مركزاً في التعبير عن الاتجاهات في اللغة عن طريق نوع مخصوص من الأعضاء كالرأس والوجه والجنب والعقب...، فربط عليه السلام بين اختلاف الدلالة وتنوع المسمى على وفق حركة الإنسان وزاوية وجوده من مظاهر الطبيعة، كما وظّف الإمام بعض الأعضاء للتعبير عن أنحاء الأشياء بصورة عامة كاستعمال الظهر والبطن.

كان لرؤى الإمام إلى معاني ألفاظ الجسم الإنساني دورٌ مهمٌ في اكتساب نصوصه بعداً استعمالياً خاصاً بكل لفظ؛ إذ تُفصح بعض الألفاظ موضع الدراسة في نصوصها عن تمكّنها دلاليّاً، وقد بينت الدراسة الغرض من استعمال الألفاظ في نصوصها بصورة خاصة، وذلك لعلو منزلته عليه السلام في البلاغة وتمكّنه من عنان

٢٧٤ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

الكلام، لذا فقد مثلت بعض الألفاظ مثل الوجه واللسان والقلب واليد والقدم لفظاً محورياً في التركيب لتوليد الدلالة.

تحقق في استعمال بعض الألفاظ الاتساق اللغوي، وذلك بظهور عدد من المصاحبات اللغوية مع ألفاظ متعلقة بسماها مثل (شعث، شعر)، وظهر الاتساق المعجمي بنسبة أقل في ملازمة بعض الأفعال لأدواتها، ومنها الفعل (سمع) الذي ارتبط بالأذن، والفعل (عض) الذي ارتبط بلفظ الأسنان في النصوص جميعها.

عمد الإمام في بعض استعمالاته للألفاظ إلى بعض آليات التلقي التي تستهوي المخاطب، ومنها حضور النص الآخر لفظياً ومعنوياً كالنص القرآني؛ لما له من أثر في انسيابية التلقي، وتصويره ﷺ لجزء معين من جسم الإنسان بموازاة أجزاء أخرى حتى تكون بمثابة الناقل الحقيقي للصورة وتلقي الرسالة الناتجة عن الاستعمال بنوع من التأثير والإيحاء.

تبين من الخوض في غمار معاني ألفاظ أجزاء الجسم الإنساني ودراساتها في سياقاتها، اهتمام الإمام بقضايا لغوية، مثل تحديده لبعض المعاني اللغوية، وقضية التذكير والتأنيث، وترجيحه لبعض استعمالات العرب المجازية لأجزاء جسم الإنسان، والاختلافات في جذورها، والارتقاء ببعض الدلالات للألفاظ مقارنة بما كان شائعاً في استعمال العرب...، وهذا يشير إلى أثر ألفاظ الجسم الإنساني في التكوين اللغوي بوصف نصوص النهج مما يحتجُّ به من كلام العرب.

مثلت مدونة نهج البلاغة مرحلة عالية من الثراء بألفاظ تابعة للجسم الإنساني، وما يؤكد ذلك ذكر الإمام ﷺ بعض أجزاء الإنسان بمشتقاتها أو بأفعالها وحركاتها من دون ذكر صيغة الاسم موضع البحث، مثل (البشرة، واللِّحَظ، والمرفق...)، لكن البحث أعرض عن دراستها مكثفياً بالإشارة إليها؛ التزاماً بعنوان البحث وحفاظاً على المنهج الذي سار عليه.

مثل البحث دراسة إحصائية عامة وخاصة بألفاظ جسم الإنسان في نهج البلاغة وشواهدها، إذ قدّم الباحث إحصائية خاصة بالشواهد التي تخصّ الإنسان لكل لفظ بذكرها في مواضعها.

حاول الباحث تحديد معاني الألفاظ وسماتها بدقة، وربطها بما توصل إليه العلم حديثاً ومطابقة ذلك مع ما توصل إليه القدماء من علوم في هذا الميدان، بالاعتماد على المعجم وكتب خلق الإنسان والرسائل اللغوية والعلم البايولوجي.

هذا كان أبرز ما أفضت به فصول البحث من نتائج توصل إليها البحث، وأرى من المناسب وأنا أختتم سطور هذا البحث المتواضع أن أشير إلى بعض الاقتراحات والتوصيات، منها:

ضرورة الاهتمام بالجانب الخَلقي للإنسان في الموروث العربي وربطه بالعلم الحديث، والثقيف له والسعي لإعطائه حقه في دراسات مشتركة تنضوي تحت عنوان (فقه اللغة العربية البايولوجي) أو (فقه اللغة العربية الطبي)؛ لذا يتوسم الباحث الأمل في إدخال هذا النوع من الدراسة إلى كليتنا.

أوصي الدارسين أن ينهلوا من هذا المنبع الثرّ موضوعات لدراستهم؛ لأن هذا البحث المتواضع يقف موقف الخجول أمام غزارة الظواهر اللغوية وكثرة الاستعارات البلاغية في المتن المدروس (نهج البلاغة).

وبعد ذلك لا يسعني إلا أن أحمد الله العلي العزيز على توفيقه، وحسن تسديده، وأعوذ به مما أنساني الشيطان من النقص أو الزلل أولاً، وأعتذر من الخطأ إن وقع في هذا البحث ثانياً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
أولاً: الكتب المطبوعة:
الأثر القرآني في نهج البلاغة: د. عباس علي حسين الفحام، ط ١، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف-العراق، ٢٠١١م.
الأداء البياني في لغة القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: صباح عباس عنوز، ط ١، التميمي للنشر والتوزيع، النجف الأشرف-العراق، ٢٠١٢م.
أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٤م.
أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تعليق: محمد رشيد رضا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
أسرار لغة الجسد: ليل شحرور، ط ١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨م.
الأسلوبية الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس، ط ٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م.
إشكاليات القراءة وآليات التأويل: نصر حامد أبو زيد، ط ٧، بيروت، ٢٠٠٥م.
الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م.
أصول تراثية في اللسانيات الحديثة: كريم زكي حسام الدين، ط ٣، الرشاد للطباعة والتغليف، القاهرة، ٢٠٠٠م.
أطلس جسم الإنسان: د. أحمد الخزاغي، دار الشمس، بغداد - العراق، (د، ت).
الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: بسيوني عبد الفتاح فيود، ط ١، مؤسسة المختار، القاهرة،

٢٧٨ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

٢٠١٠م.

أعلام نهج البلاغة: هاشم مرتضى، سلسلة في رحاب نهج البلاغة، (د.ط)، ٢٠١٢م.
الإمام علي \$ في ملاحم نهج البلاغة: علي عزيز الابراهيم، ط١، الدار الاسلامية، بيروت، ١٩٩٦م.

الإنسان في الشعر الجاهلي: عبد الغني أحمد زيتوني، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.

الإنسان الكامل في الإسلام: عبد الرحمن بدوي، ط٢، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ت).
الإنسان والتاريخ في شعر أبي تمام: أسعد أحمد علي، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢م.
بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

البرجماتية: وليام جيمس، ترجمة: محمد علي العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل ابراهيم، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

بلاغة العرب نشأتها - تطورها - علومها: د. علي سلوم، ط١، دار المواسم للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.

البلاغة العربية البيان والبديع: طالب الزوبعي وناصر حلاوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٦م.

بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي التستري، ط١، دار أمير كبير، طهران، ١٩٩٧م.
البيان في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.
تاج العروس من جواهر القاموس: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٦٥.

التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الهائم (ت ٨١٥هـ)، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
التحقيق في كلمات القرآن: حسن مصطفوي، ط١، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، ١٣٩٣هـ.

التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه: كريم زكي حسام الدين، ط١، كتب عربية، (د.ت).
التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: محمود عكاشة، ط١، دار النشر للجامعات، القاهرة - مصر، ٢٠٠٥م.

- المصادر والمراجع..... ٢٧٩
- التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون، ط٣، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، ١٤١٧هـ.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون وآخرون، ط١، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٧٦م.
- التوقيف على مهمات التعريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الجرانيم: أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، ج١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٧م.
- جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية (دراسة دلالية ومعجم): محمد محمد داوود، ط١، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، ط١، دائرة المعارف، حيدر آباد، ١٣٤٤هـ.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، ط٢، مطبعة الأمير، إيران، ١٣٨٣هـ.
- الجيم: إسحاق بن مرار أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الإيباري، ط١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤م.
- الحجاج وبناء الخطاب في أضواء البلاغة العربية الجديدة: أمينة الدهري، ط١، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠١١م.
- الحج في نهج البلاغة: فارس الحسون، سلسلة في رحاب نهج البلاغة (١٢)، ط١، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١١م.
- حياة القلوب: مركز نون للتأليف والترجمة، ط١، المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ٢٠٠٩م.
- خلق الإنسان: أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: وليد بن أحمد الحسين، ط١، سلسلة إصدارات الحكمة (٢٠)، مانشستر - بريطانيا، ٢٠٠٤م.
- خلق الإنسان: أبو محمد ثابت بن ثابت، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م.
- خلق الإنسان ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي

- ٢٨٠ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ
- (ت٢١٦هـ) تعليق: د. أوغست هفنز، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٣ م.
- خلق الإنسان في اللغة: محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٤ م.
- دراسات في نهج البلاغة: محمد مهدي شمس الدين، ط٢، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٩٧٢.
- دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧ م.
- دراسة مخارج الأصوات العربية وصفاتها عند القدماء والمحدثين: أحمد جاسم النجفي، ط١، دار البصرة، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١٥ م.
- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣ م.
- الدنيا في نهج البلاغة: سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٣)، إعداد مكتبة الروضة الحيدرية، ط١، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١٢ م.
- ديوان حسان بن ثابت: تحقيق وتعليق: وليد عرفات، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦ م.
- رؤى الحياة في نهج البلاغة: حسن الصفار، ط٤، ١٩٩٧ م.
- رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة لغوية: رملة خضير مظلوم البديري، ط١، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١٢ م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢ م.
- السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- سنن النبي (صلى الله عليه وآله): العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تحقيق: الشيخ محمد هادي الفقهي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤١٦ هـ.
- السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: علي آيت أوشان، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠٠٠ م.
- سيرة الإمام أمير المؤمنين \$ في نهج البلاغة: هاشم الميلاني، ط١، سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٧)، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١١ م.
- السيمائيات مفاهيمها وتطبيقاتها: سعيد بنكراد، ط٢، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا -

- المصادر والمراجع ٢٨١
- اللاذقية، ٢٠٠٥ م.
- شرح حكم أمير المؤمنين: الشيخ عباس القمي، سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٥)، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١١ م.
- شرح كتاب أمير المؤمنين \$ إلى عثمان بن حنيف الأنصاري: هاشم الميلاني، سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٢٢)، ١، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١٢ م.
- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٦ م.
- شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، ط ١، منشورات دار الثقلين، بيروت، ١٩٩٩ م.
- الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٦هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠ م.
- صفوة شروح نهج البلاغة: جمع وضبط: أركان التميمي، ط ١، دار الاعتصام، إيران، ١٤٢٩ هـ.
- الصورة الفنية في المثل القرآني: محمد حسين علي الصغير، ط ١، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢ م.
- طوق الحمامة في الألفة والألاف: محمد بن علي بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، مكتبة عرفة، دمشق، ١٣٤٩ هـ.
- الظاهرية وفلسفة اللغة: عز العرب لحكيم بناني، ط ٢، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣ م.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر: رضي الدين الحسن بن محمد الصاغانى (ت ٦٥٠هـ)، تحقيق: د. فير محمد حسن، ط ١، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨ م.
- العلامة تحليل المفهوم وتاريخه: إمبرتو إيكو، ترجمة: سعيد بنكراد، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٧ م.
- علم التشريح: د. قيس إبراهيم الدوري، ط ٢، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨.
- علم الدلالة: أف. آر. بالمر: ترجمة: مجيد الماشطة، ط ١، بغداد، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥ م.
- علم الدلالة: بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، ط ١، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٢ م.
- علم الدلالة: كلود جرمان وريمون لوبلون، ترجمة: نور الهدى لوشن، ط ١، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي - ليبيا، ١٩٩٧ م.
- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: د. هادي نهر، ط ١، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد - الأردن، ٢٠٠٧ م.
- علم الفراسة (قراءة الوجه والأفكار والحاسة السادسة): خليل حنا تادرس، ط ١، كتابنا للنشر،

٢٨٢ ألفاظ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة

بيروت، ٢٠١٢م.

عهد الإمام علي بن أبي طالب لملك الأشتر دراسة تحليلية في ضوء علم النص: د. عبد الكاظم محسن الياسري، ط ١، دار المتقين، بيروت، ٢٠١٣م.

العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

غريب الحديث: أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق: سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، ط ١، جامعة أم القرى، ١٩٨٥م.

غريب الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

غريب الحديث: أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط ١، مطبعة المعاني، بغداد، ١٣٩٧هـ.

غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، ط ١، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، ١٩٦٤م.

الغريب المصنف: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٩م.

غريب نهج البلاغة: عبد الكريم حسين السعداوي، ط ١، مكتبة الروضة الحيدرية المقدسة، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١١م.

الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م.

فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى الشلبي وآخرين، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٨م.

الفهرست: ابن النديم، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ت).

في ذكر شيء من الحلي: أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز التميمي (ت ٤١٢هـ)، ضبط: طاهر النعمان وأحمد قدوري كيلاني، ط ١، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٢٢م.

في ظلال نهج البلاغة: شرح: محمد جواد مغنية، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

الفيثومينولوجيا عند هوسرل: سماح رافع محمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١م.

القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق

التراث، ط ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

- المصادر والمراجع ٢٨٣
- قراءة راشدة لكتاب نهج البلاغة: عبد الرحمن بن عبد الله الجميعان، ط ١، سلسلة نحو وحدة إسلامية صادقة (٢)، ٢٠٠٥ م.
- القوى العقلية الحواس الخمس: مايكل هاينز، ترجمة: عبد الرحمن الطيب، ط ١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠٠٩ م.
- كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، ط ١، دار احياء الكتب العربية، عيسى الباي الحلبي وشركاه، ١٩٥٢ م.
- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، ضبط وتنسيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط ٢، مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٩٩٨ م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧ م.
- اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة: حسن ظاظا، ط ٢، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠ م.
- لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري: أحمد مدارس، ط ٢، عالم الكتب الحديث، أربد - الأردن، ٢٠٠٩ م
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: أحمد المتوكل، ط ١، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠١٠ م.
- اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، ١٩٩٤ م.
- اللغة والجسد: الأزهر الزناد، ط ١، دار نيور، بيروت - لبنان، ٢٠١٤ م
- اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود: عبد الوهاب المسيري، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- المجموع من شرح المذهب: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧ م.
- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٧هـ)، ط ١، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ١٣١٦هـ.
- مستدرك نهج البلاغة، وهو مجموع مختار من كلام مولانا أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) \$

- ٢٨٤..... ألفاظُ أجزاء الإنسان في نهج البلاغة
- مروي في غير النهج: الهادي كاشف الغطاء، ط١، مطبعة الراعي، النجف الأشرف-العراق، ١٣٥٤هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م.
- المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (ت٧٧٠هـ)، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.
- معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م.
- معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٩م.
- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ)، ط١، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.
- معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزء من كتاب السيد نور الدين الجزائري: تنظيم الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٢هـ.
- المعجم المبتكر فيما يتعلق بالمؤنث والمذكر: ذو الفقار أحمد النقوي، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٨م.
- معجم المتفق والمفترق في ألقاب أئمة اللغة والنحو وكناهم وأنسابهم: محمد كاشش، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م.
- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٩م.
- المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية: الأب. أ. س. مرمجي الدومنيكي، ط١، مطبعة الآباء الفرنسيين، القدس، ١٩٣٧م.
- المعنى في علم المصطلحات: إعداد المنظمة العربية للترجمة، ترجمة: ريتا خاطر، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م.
- المعنى وظلال المعنى: محمد محمد يونس، ط٢، دار المدار الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م.
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط١، دار القلم، دمشق، (د، ت).

- المصادر والمراجع ٢٨٥
- المقاربة التداولية: فرانسوار أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، ١٩٨٦م.
- مقالة في أسماء أعضاء الإنسان: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: الدكتور فيصل دبدوب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٧م.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، ١٤٠٦ق.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، ضبط وتحقيق: علي عاشور، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: علي زوين ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري، ط ١، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، ط ١، دار الأضواء، بيروت، ٢٠١٠م.
- نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي: أحمد عفيفي، ط ١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.
- النص والسلطة والحقيقة: نصر حامد أبو زيد، ط ٥، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م.
- نظرية النحو العربي: نهاد الموسى، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
- نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي، ط ٣، دار نشر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم - إيران، ١٤٣٠هـ.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزائري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
- نهج البلاغة: تحقيق: فارس الحسون، ط ١، مركز الأبحاث العقائدية في قم المقدسة والنجف الأشرف، ١٤١٩هـ.
- نهج البلاغة: تحقيق: هاشم الميلاني، ط ١، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١٢م.
- نهج البلاغة: تعليق: محمد الحسيني الشيرازي، ط ١، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٨م.

- ٢٨٦ ألفاظُ أجزاءِ الإنسانِ في نهجِ البلاغةِ
- نهج البلاغة: تقديم وشرح: محمد عبده، ط ١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- نهج البلاغة: ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: صبحي الصالح، ط ٤، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠٠٤م.
- نهج البلاغة: قرأه وعلق عليه: يحيى مراد، ط ١، كتب عربية، بيروت، (د.ت).
- نهج البلاغة الميسر: أركان التميمي، ط ١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٣م.
- نهج البلاغة والطب الحديث: الدكتور صادق عبد الرضا علي، دار المؤرخ العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٣م.
- نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه: إعداد: دار التعارف للمطبوعات، ط ١، بيروت، ١٩٩٠م.
- نهج البلاغة، وهو ما جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب \$، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٨م.
- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: محمد باقر المحمودي، ط ١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٦م.
- ثانياً: الرسائل الجامعية:
- الاحتراز في نهج البلاغة دراسة نحوية ودلالية: صباح رحمن داخ، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، العراق، ٢٠١٥م.
- الأداء البياني في خطب الحرب في نهج البلاغة: نجلاء عبدالحسين عليوي الغزالي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، ٢٠٠٢م.
- الإنسان الكليات والجزئيات في القرآن الكريم دراسة دلالية: سلام محمد ياسين الحيحي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، ٢٠١١م.
- جهود حبيب الله الخوئي النحوية في شرح نهج البلاغة: ظافر عبيس عناد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، ٢٠١٠م.
- خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: أحمد هادي زيدان نصيف، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، العراق، ٢٠٠٦م.
- لغة الجسد في القرآن الكريم: أسامة جميل عبد الغني ربيعة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين، ٢٠١٠م.
- ما بني من ألفاظ اللغة على أقوال الإمام علي في لسان العرب: رائد عبد الله أحمد زيد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥م.

- المصادر والمراجع ٢٨٧
- نظرية الحقول الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده: رزاق جعفر عبد الحسين الزيرجاوي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق، ٢٠٠٢م.
- وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية: نور مهدي كاظم الساعدي، رسالة ماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، العراق، ٢٠١٢م.
- ثالثاً: البحوث والدوريات:
- الدلالات المجازية لأعضاء الإنسان في معجم لسان العرب لابن منظور: صالح ملا عزيز وآخرون، مجلة كلية التربية، العدد ٤، مجلد ١، ٢٠١١م.
- السياق والتأويل: أحمد حساني، مجلة الموقف العربي، دمشق، العدد ٣٩٥، آذار- ٢٠٠٤م.
- العقل والقلب في الرؤية القرآنية: علي كاظم الفتال، مجلة المصباح، الأمانة العامة للعتبة الحسينية، العدد ٤، ٢٠١١م.
- مقالات في تحليل الخطاب: بسمة بالحاج رحومة وآخرون، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة، تونس، وحدة البحث في تحليل الخطاب، بحث منشور على موقع الجامعة، ٢٠٠٨م.
- رابعاً: مصادر الشبكة العنكبوتية:
- أطلس جسم الإنسان، على الشبكة العنكبوتية: www.google.iq.
- عناصر الإلقاء الجسدي - المظهر: د. محمد بدره، منشور على الرابط: http://edutrapedia.illaf.net/arabic/show_article.shtml?id=51
- لغة الجسد في القرآن الكريم: د. عمر عتيق، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية على الرابط: http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/researchersPages/omarAteeq/search_v.pdf.
- مبادئ الاتصال غير اللفظي: د. محمد بدره، منشور على الرابط: http://edutrapedia.illaf.net/arabic/show_article.shtml?id=44d
- الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ (دراسة إعجازية لسورة العلق): الدكتور محمد يوسف سكر، بحث منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي: www.eajaz.or.
- ناصيتي بيدك: عبد الدائم الكحيل، بحث المنشور على موقعه على الشبكة العنكبوتية: www.kheel.com
- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: www.eajaz.or

المحتويات

١١	مقدمة المؤسسة
١٥	المقدمة
الفصل الأول: الألفاظ الدالة على الرأس وما يلحق به		
٢٣	المبحث الأول: الألفاظ الدالة على الرأس وما يلحق به
٤٥	المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على الوجه وما يلحق به
٥٧	المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على العين وما يلحق بها
٨١	المبحث الرابع: الألفاظ الدالة على الأذن وما يلحق بها
٩٥	المبحث الخامس: الألفاظ الدالة على الأنف وما يلحق به
١٠٥	المبحث السادس: الألفاظ الدالة على الفم وما يلحق به
الفصل الثاني: الألفاظ الدالة على جذع الإنسان وما يلحق به		
١٣٩	المبحث الأول: الألفاظ الدالة على العنق وما يلحق به
١٤٧	المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على الصدر وما يلحق به
١٦٥	المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على القلب وما يلحق به
١٨٥	المبحث الرابع: الألفاظ الدالة على البطن وما يلحق بها
١٩٩	المبحث الخامس: الألفاظ الدالة على الجنب وما يلحق بها
٢١١	المبحث السادس: الألفاظ الدالة على الظهر وما يلحق به
الفصل الثالث: الألفاظ الدالة على الأطراف وما يلحق بها		
٢٢٩	المبحث الأول: الألفاظ الدالة على اليد وما يلحق بها
٢٥٥	المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على الرجل وما يلحق بها
٢٧١	الخاتمة
٢٧٧	المصادر والمراجع